سياسة الفاطميين الخارجية



سياسة الفاطميين الخارجية

تأليف

دكتور محمد جمال الدين سرور

أستاذ التاريخ الإسلامي

كلية الآداب - جامعة القاهرة

ملتزم الطبع والنشر

دار الفكر العربي

٩٥٣,٠٧٢٨ محمد جمال الدين سرور.
م ح س ى سياسة الفاطميين الخارجية / تأليف محمد جمال الدين سرور . - القاهرة: دار الفكر العربي ، ١٩٩٤.
٢٩١ ص ؛ ٢٤ سم .
ببليوجرافية : ص [-٢٥٣] - ٢٦٤ .
يشتمل على كشافات .
١- الدولة الفاطمية - العلاقات الخارجية.
أ- العنوان .

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد خاتم النبيين ، وبعد ، فهذا كتاب يتناول سياسة الفاطميين الخارجية ، يتجلى لنا من ثناياها تطلعهم إلى زعامة العالم الإسلامى ، التى كان العباسيون يحتفظون بها رغم ضعف سلطتهم ، ومن ثم وجهوا اهتمامهم إلى توسيع نطاق دعوتهم ومد نفوذهم إلى أراضى الدولة العباسية . فلما أصبحت القاهرة مقر خلافتهم تطلعوا إلى بسط سلطانهم على بلاد الحجاز ليكسبوا خلافتهم قوة أمام العالم الإسلامى ، ذلك أن السيادة على الحرمين الشريفين بمكة والمدينة صار ينظر إليها على أنها من مستلزمات الخلافة ، وأن من يظفر بها يعتبر خليفة المسلمين الحقيقى .

وعلى الرغم من أن الفاطميين واجهوا منافسة العباسيين لهم فى بسط سيادتهم على البلاد المقدسة بالحجاز ، فإنهم استطاعوا فى خلال الفترات التى استقر فيها نفوذهم بتلك البلاد ، أن ينشروا فيها الأمن ، كما أظهروا قدرتهم على درء الأخطار عنها ، وتأمين الوافدين إليها من المسلمين على أرواحهم وأموالهم .

وكانت بلاد البحرين من بين أقطار جزيرة العرب التى خضعت لسيادة الفاطميين فى النصف الأول من القرن الرابع الهجرى . وقد حرص أمراؤها من القرامطة على استمرار العلاقات الودية بينهم وبين الخلفاء الفاطميين بالمغرب . لكن صلة المودة بين الفاطميين والقرامطة مالبثت أن تبدلت فى

النصف الثانى من القرن الرابع الهجرى بسبب طموح أمير القرامطة الحسن ابن أحمد إلى استعادة سلطتهم على بلاد الشام وأدى ذلك إلى قيام العداء بين هذا الأمير ، وبين الفاطميين . ثم ضعف أمر القرامطة ببلاد البحرين بسبب الخلافات الداخلية بينهم حتى لم يبق لهم فى أواخر القرن الرابع إلا ولاية صغيرة على الشاطىء الشرقى للجزيرة العربية .

ومن ولايات الجزيرة العربية التى انتشرت فيها الدعوة الفاطمية : اليمامة وعمان . وقد تولى نشر هذه الدعوة باليمامة دعاة الإسماعيلية باليمن أثناء قيام دولة بنى الأخيضر العلوية بها . أما ولاية عمان ، فإن بعض أمراء الصليحيين باليمن بعثوا إليها بالدعاة لنشر الدعوة الفاطمية ، حتى أصبح بها عدد كبير من أنصار هذه الدعوة فى عهد الخليفة المستنصر بالله الفاطمى .

وكانت بلاد اليمن موطن الدعوة الفاطمية بجزيرة العرب فاتخذها دعاة الإسماعيلية منذ أواخر القرن الثالث الهجرى مقراً لنشر دعوتهم . وحرص هؤلاء الدعاة على الاحتفاظ بعلاقات ودية مع الخلفاء الفاطميين . وظل النفوذ الفاطمى فى اليمن رغم ذلك ، يتأرجح بين القوة والضعف حتى قام بأمر الدعوة الفاطمية أمراء الصليحيين باليمن ؛ فبذل كل منهم قصارى جهده فى سبيل توثيق عرى الصداقة مع الخلفاء الفاطميين فى مصر ، مما كان له أثر كبير فى احتفاظ الفاطميين بمركز ممتاز فى بلادهم ، وبخاصة فى عهد السيدة الحرة الصليحية .

على أن الدعوة الفاطمية فى اليمن مالبثت أن أخذت فى الضعف بعد وفاة هذه السيدة ، إذ لم يكن هناك بين الصليحيين شخصية قوية تستطيع أن تخلفها وتسيير سيرتها فى نشر تلك الدعوة كما أن آل زريع بعدن الذين كانوا موالين للخلافة الفاطمية فى مصر لم يتيسر لهم الاستمرار فى الحكم

فترة طويلة ؛ فأخذت دولتهم فى الانحلال منذ منتصف القرن السادس الهجرى . وأصبح النفوذ الفاطمى فى بلاد اليمن مهدداً بالزوال بعد أن ولى صلاح الدين يوسف بن أيوب مقاليد الأمور فى مصر ؛ إذ وجه اهتمامه إلى بسط سلطانه على تلك البلاد ، واستطاع فى فترة قصيرة أن يقضى على نفوذ الفاطميين فيها .

وكانت الضرورة السياسية والحربيـــة تقضى على الفاطميين بعد أن وطدوا سلطتهم فى مصر أن يولوا وجوههم شطر بلاد الشام ؛ لكنهم رغم نجاحهم فى مد سلطانهم على هذه البلاد واجهوا عدة صعوبات ، كان لها أثر بالغ فى عدم استقرار الحكم الفاطمى فيها ؛ فإلى جانب استياء أهالى دمشق من سياسة الفاطميين القائمة على التعصب للمذهب الشيعى ، قام قرامطة بلاد البحرين بدور هام فى مناهضة نفوذهم فى بلاد الشام ، كما أن الحركات الاستقلالية التى تزعمها أمراء العرب فى هذه البلاد أدت إلى إضعاف سلطة الفاطميين .

وكان لتضاؤل سلطان الفاطميين السياسى فى شمال الشام وجنوبه أثر كبير فى إتاحة الفرصة أمام السلاجقة للظهور على مسرح السياسة فى هذه البلاد ؛ فبذلوا جهدهم لبسط سيادتهم عليها . غير أن الفاطميين سرعان ما تأهبوا لصد غاراتهم وأصبحوا هم والسلاجقة فى أواخر القرن الخامس الهجرى يتقاسمون النفوذ فى بلاد الشام .

وكانت بلاد العراق محط أنظار الفاطميين على اعتبار أنها مقر الخلافة العباسية ، لذلك عهد الفاطميون إلى دعاتهم بالرحيل إليها لنشر دعوتهم ، وقد صادف هؤلاء الدعاة كثيراً من النجاح فى هذا السبيل ، كما لقيت الدعوة الفاطمية فى بلاد الفرس تأييداً كبيراً حتى أصبح بين صفوف جند بنى بويه

من الديلم والأتراك عدد غير قليل يميل إلى الفاطميين . وكان ذلك مما مهد السبيل لنجاح البساسيري في إقامة الدعوة الفاطمية من منابر بغداد في منتصف القرن الخامس الهجري . غير أن هذه الدعوة لم يكتب لها البقاء فترة طويلة ؛ فسرعان ما دخل السلاجقة بغداد وأعادوا الخطبة للخليفة العباسي القائم بأمر الله .

وكان السلاجقة يدركون الخطر الذي يتهددهم من وراء انتشار النفوذ الفاطمي في بلاد الشرق الإسلامي ؛ ومن ثم وجهوا سياستهم بعد أن قبضوا على زمام الأمور في بغداد إلى مناهضة هذا النفوذ ، كما اضطهدوا الشيعيين ، ووقفوا من دعاة الإسماعيلية الذين استفحل خطرهم في بلاد الدولة العباسية موقفاً ينطوي على الحزم والشدة . وكان لهذه السياسة أثرها في وقف تيار الدعوة الفاطمية .

ولم تكن الظروف في مصر مهيأة للإبقاء على هذه الدعوة ؛ ففضلا عن انقسام الإسماعيلية إلى فرق وأحزاب في أواخر القرن الخامس الهجري ، شغلت الحكومة الفاطمية بالقضاء على القلاقل التي أثارها أتباع النزارية بإيعاز من رؤساء دعوتهم في فارس ، كما انصرف فريق من وزراء العصر الفاطمي الأخير عن تأييـــد المذهب الإسماعيلي ، بل هيأ بعضهم السبيل لرجوع المذهب السني إلى مصر ؛ فكان ذلك مما مهد الطريق لسقوط الفاطميين ، واحتفظت الخلافة العباسية رغم ما أصابها من وهن وضعف بسيادتها على البلاد الإسلامية .

وكانت علاقات الفاطميين مع الأندلس ، يسودها التوتر منذ بداية العصر الفاطمي . فواجهت الخلافة الفاطمية في إفريقية عداء عبد الرحمن الناصر بالأندلس . واتخذ هذا العداء مظهراً قوياً في عهد المعز وخلفائه .

أما عن موقف أمراء بنى زيرى بالمغرب من الفاطميين بعد أن اتخذوا مصر مقرا لخلافتهم ، فإنهم ظلوا موالين لهم ؛ واستمر النفوذ الفاطمى سائدا فى تلك البلاد حتى منتصف القرن الخامس الهجرى ، حيث أعلن المعز بن باديس خروجه على طاعة الخليفة المستنصر بالله ، وأقام الدعوة للقائم بأمر الله العباسى . وأصبح من المتعذر على الخلافة الفاطمية الاحتفاظ بنفوذها فى المغرب بسبب الصعوبات التى واجهتها سواء فى مصر أو الشرق الإسلامى .

وكان الفاطميون منذ أقاموا دولتهم فى إفريقية يحرصون على الاحتفاظ بسيادتهم على جزيرة صقلية لاتخاذها قاعدة لأسطولهم فى البحر المتوسط لصد الحملات التى قد يوجهها الروم إلى سواحل دولتهم ؛ فاستمروا فى إرسال ولاتهم إليها . لكن هؤلاء الولاة ، لم تتح لهم الفرصة للبقاء طويلا فى ولايتهم بسبب المنازعات بين أهلها من المسلمين ، فضلا عن خروجهم على طاعتهم . كما أن هذه الجزيرة من ناحية أخرى لم تنعم بالاستقرار من جراء تهديد البيزنطيين لها . وأخذ النفوذ الفاطمى فى صقلية فى الضعف بعد أن انتقل المعز إلى مصر . وغدت علاقة الفاطميين بهذه الجزيره مقصورة على إرسال الولاة إليها لإدارة شئونها . كما ساد الاضطراب الجزيرة منذ منتصف القرن الخامس الهجرى من جراء النزاع بين أمرائها المسلمين والحروب الداخلية مما مهد السبيل أمام النرمانديين للاستيلاء عليها .

كذلك كان للفاطميين علاقات مع الدولة البيزنطية ، اتسمت بالتوتر فى كثير من الأحيان . ويرجع السبب فى ذلك إلى تهديد البيزنطيين الحدود الشمالية للشام ، واستيلائهم على بعض المدن الشامية . وظل النزاع قائما بين الدولتين الفاطمية والبيزنطية حتى عهد الخليفة الحاكم بأمر الله حيث عقدت معاهدة صداقة بين هاتين الدولتين . غير أن المعاهدة لم تؤد إلى استمرار

الوئام بين الفاطميين والبيزنطيين وصارت العلاقات بين الدولة الفاطمية في عهد المستنصر ، وبين الدولة البيزنطية لاتستقر على حال ، بل أن العداء بين الدولتين عاد سيرته الأولى في أواخر العصر الفاطمي .

وكانت المدن الإيطالية تحرص على إنشاء علاقات مع مصر والشام ؛ فعملت مدينة بيزا على توثيق صلة المودة مع الخلفاء الفاطميين ، كما نمت العلاقات بين مدينة جنوه وبين مصر في النصف الأخير من القرن الحادى عشر الميلادى . وكذلك الحال بالنسبة للبندقية التي اهتمت بإقامة علاقات ودية مع الفاطميين ؛ وصارت سفنها تنقل من موانى مصر منتجات آسيا إلى أوربا .

* * * *

وقد بدأتُ الكتاب بدراسة الوسائل التي اتبعها الفاطميون لنشر سلطانهم في البلاد المقدسة بالحجاز ، وبينت كيف ناهضوا نفوذ العباسيين في كل من مكة والمدينة ، وأقاموا الدعوة لهم في مساجدها . ثم تحدثت عن عوامل ضعف النفوذ الفاطمي بالحجاز .

كذلك تناولت بالبحث قيام دولة القرامطة ببلاد البحرين ، وولاء أمرائها للفاطميين واتحادهم في سياستهم العدائية إزاء العباسيين ، ثم تحدثت عن العوامل التي بدلت صلة المودة بين الفاطميين والقرامطة في أواخر القرن الرابع الهجرى ، وما تبع ذلك من ضعف السيادة الفاطمية ببلاد البحرين .

ولما كانت بلاد اليمن من أهم مراكز الدعوة الفاطمية بجزيرة العرب ، لذلك وجهت عنايتي إلى توضيح السياسة التي اتبعها الخلفاء الفاطميون للإبقاء على نفوذهم بهذه البلاد ، كما بينت ما كان لتوثق عرى الصداقة بين

هؤلاء الخلفاء وبعض أمراء الصليحيين باليمن من أثر فى احتفاظ الفاطميين بمركز ممتاز فى بلادهم .

وعنيت أيضاً ببحث سياسة الفاطميين فى بسط سلطانهم على بلاد الشام ، وشرحت الصعوبات التى واجهتهم فى مستهل عهدهم بتلك البلاد ، كما تحدثت عن النزاع بين السلاجقة والفاطميين على نشر نفوذهم فى الشام ، وبينت أثره فى عدم استقرار الأمور فى هذه البلاد ، وضعف الجبهة الإسلامية أمام الغزو الصليبي .

كذلك تناولت بالبحث سياسة الفاطميين فى نشر دعوتهم بمدن العراق ؛ فكشفت النقاب عن العوامل التى حملت الفاطميين على إرسال دعاتهم إلى بلاد الشرق الإسلامى والوسائل التى اتبعها هؤلاء الدعاة لجذب المسلمين إلى الدعوة الفاطمية .

ولما كانت حركة البساسيرى فى العراق تعد من ثمار الدعوة الفاطمية فى هذه البلاد ، فضلا عن أنها من مظاهر نجاح سياسة الفاطميين الخارجية ، لذلك اهتممت بتوضيح الظروف التى هيأت السبيل لظهور البساسيرى والقيام بحركته ، وبينت موقف الخلافة الفاطمية منه .

وكان زوال النفوذ الفاطمى ببلاد العراق من المسائل التى عنيت ببحثها ؛ فوضحت الجهود التى بذلها السلاجقة للقضاء على حركة البساسيرى وإعادة الخطبة للخليفة العباسى ، كما شرحت العوامل التى ساعدت على انحلال الدعوة الفاطمية فى أواخر القرن الخامس الهجرى .

ومن موضوعات السياســـة الخارجية التى أوليتها اهتمامى : علاقات الفاطميين بالأندلس والمغرب ؛ فبينت كيف واجهت الدولة الفاطمية عداء الخلافة الأموية بالأندلس ، كما تحدثت عن موقف الزيريين فى بلاد المغرب من الفاطميين ، وعوامل ضعف النفوذ الفاطمى فى تلك البلاد ، وتتبعت

إلى جانب ذلك علاقة الفاطميين بجزيرة صقلية منذ أن انتقلت إليهم السيادة على هذه الجزيرة فى أواخر القرن الثالث الهجرى إلى أن استولى عليها النرمانديون فى أواخر القرن الخامس الهجرى .

وكان للعلاقات بين الدولة الفاطمية ، والدولة البيزنطية ، والمدن الإيطالية نصيب وافر من عنايتى ، فوضحت المظاهر السياسية للعلاقات بين الفاطميين والبيزنطيين ، كما وضحت مدى حرص المدن الإيطالية على توثيق علاقاتها مع مصر والشام فى العصر الفاطمى .

أرجو الله سبحانه وتعالى أن يوفقنى لمتابعة البحث فى تاريخ الدول الإسلامية ؟ .

محمد جمال الدين سرور

القاهرة فى ٣ ذو الحجة سنة ١٣٨٦ هـ
١٤ مارس سنة ١٩٦٧ م

فهرس موضوعات الكتاب

الباب الأول

الدعوة الفاطمية فى بلاد الحجاز

	صفحة
تمهيد : بلاد الحجاز قبل أن يمتد إليها نفوذ الفاطميين	١٩
دولة بنى سليمان بمكة	١٩
العلويون فى المدينة المنورة	٢١
١ — السيادة الفاطمية فى البلاد المقدسة بالحجاز	٢٣
إقامة الخطبة بمكة والمدينة للمعز لدين الله	٢٤
عدم استقرار النفوذ الفاطمى بمكة والمدينة فى عهد العزيز	٢٤
موقف أمير مكة من الخليفة الحاكم بأمر الله	٢٥
استقلال الهواشم بإمارة مكة	٢٨
٢ — ضعف النفوذ الفاطمى بالحجاز	٢٩
موقف أمراء الهواشم من الخلفاء الفاطميين	٣٠
حرص الفاطميين على الاحتفاظ بسيادتهم على بلاد الحجاز	٣٥

الباب الثانى

السيادة الفاطمية فى بلاد البحرين

تمهيد : قيام دولة القرامطة ببلاد البحرين	٤١
١ — موقف أمراء القرامطة ببلاد البحرين	٤٤
ولاء قرامطة بلاد البحرين للخلافة الفاطمية ببلاد المغرب	٤٦
تبدل صلة المودة بين الفاطميين والقرامطة	٤٨
- ضعف أمر القرامطة ببلاد البحرين	٥١

الباب الثالث

الدعوة الفاطمية فى اليمامة وعمان

صفحة

دولة بنى الأخيضر العلوية باليمامة ٥٥
نشر المذهب الإسماعيلى باليمامة ٥٦
إقامة الدعوة فى عمان لعبيد الله المهدى ٥٧
محاولة البويهيين توطيد نفوذهم بعمان ٥٨
حرص الفاطميين على نشر دعوتهم بعمان ٦١

الباب الرابع

النفوذ الفاطمى فى بلاد اليمن

تمهيد : بلاد اليمن فى أواخر عهد ولاة العباسيين ٦٧
١ — جهود دعاة الإسماعيلية فى نشر الدعوة الفاطمية باليمن ٦٩
وقوع الخلف بين دعاة الإسماعيلية فى اليمن ٧٣
ولاء بعض دعاة الإسماعيلية فى اليمن لعبيد الله المهدى ٧٤
ارتداء بعض الدعاة عن المذهب الإسماعيلى وخروجهم على الدعوة الفاطمية ٧٦
الدعوة الفاطمية تستعيد مكانتها باليمن ٧٨
٢ — موقف أمراء الصليحيين من الخلفاء الفاطميين ٨٢
على بن محمد الصليحى يقيم الدعوة للمستنصر بالله الفاطمى ٨٣
ولاية المكرم أحمد الملك باليمن ، وحرصه على توطيد علاقته بالمستنصر ٨٤
الدعوة الفاطمية باليمن بعد وفاة المكرم أحمد ٨٧
النزاع بين آل الصليحى وآل الزواحى ٨٩
السيدة الحرة الصليحية تدير شئون اليمن ٩٢

صفحة

تأييد السيدة الحرة خلافة المستعلى بالله ٩٢
الخليفة الآمر الفاطمى يرسل بعض دعاته إلى السيدة الحرة ٩٧
ولاء السيدة الحرة للخليفة الآمر واعترافها بإمامة ابنه الطيب ١٠٠
عدم اعتراف السيدة الحرة بخلافة الحافظ ١٠٢
آل زريع بعدن يقيمون الدعوة للخليفة الحافظ ١٠٤
ضعف الدعوة الطيبية بعد وفاة السيدة الحرة ١٠٥
زوال النفوذ الفاطمى فى اليمن ١٠٥

الباب الخامس

سياسة الفاطميين فى بسط سلطانهم على بلاد الشام

تمهيد : الحياة السياسية فى بلاد الشام قبيل الفتح الفاطمى ١١١
حرص الإخشيديين على توطيد سلطانهم فى ولاية الشام ١١١
تطلع الحمدانيين فى حلب إلى انتزاع بلاد الشام ١١٢
تعرض بلاد الشام لغارات القرامطة ١١٦
١ ـ الفتح الفاطمى لبلاد الشام ١١٧
حملة جعفر بن فلاح إلى فلسطين ١١٨
استيلاء جعفر بن فلاح على دمشق ١١٩
عدم استقرار سلطان الفاطميين بالشام ١٢٠
٢ ـ الصعوبات التى واجهت الفاطميين فى الشام من ناحية
القرامطة وأفتكين ١٢٣
مناهضة القرامطة النفوذ الفاطمى ١٢٣
حركة أفتكين التركى ١٢٤
٣ ـ موقف أمراء العرب بالشام من الفاطميين ١٢٩
بنو الجراح فى فلسطين ١٣٩

صفحة

الحمدانيون والمرداسيون فى شمال الشام ١٤٢

٤ ـ ضعف النفوذ الفاطمى فى بلاد الشام فى أواخر القرن الخامس الهجرى ١٥١

تطلع السلاجقة إلى بسط سلطانهم على بلاد الشام ١٥٢

جهود الفاطميين للوقوف فى وجه السلاجقة ١٥٣

الزحف الصليبي على بلاد الشام وموقف الفاطميين منه ١٥٦

عجز الخلافة الفاطمية عن استعادة مكانتها فى الشام ١٥٩

الباب السادس

الدعوة الفاطمية فى بلاد العراق

١ ـ سياسة الفاطميين فى نشر دعوتهم بمدن العراق إلى أوائل القرن الخامس الهجرى ١٦٣

نشاط دعاة الفاطميين فى نشر دعوتهم بالعراق وبعض بلاد الدولة العباسية ١٦٤

موقف البويهيين من الفاطميين ١٦٨

الدعوة الفاطمية فى الموصل فى عهد العزيز والحاكم ١٧٣

مناهضة القادر بالله العباسى الدعوة الفاطمية ١٧٤

انتشار النفوذ الفاطمى بالعراق ، وسياسة القائم بأمر الله العباسى فى مناهضته ١٧٧

٢ ـ حركة البساسيرى فى العراق ١٧٩

حالة الخلافة العباسية فى أوائل عهد القائم بأمر الله ١٧٩

جهود الداعى المؤيد فى الدين فى نشر الدعوة الفاطمية ١٨٠

الصعاب الداخلية التى واجهت القائم بأمر الله فى منتصف القرن الخامس ١٨٣

صفحة

ازدياد نفوذ القائد التركى أبى الحارث أرسلان البساسيرى فى العراق ١٨٥
اتصال البساسيرى بالفاطميين فى مصر ١٨٧
دخول السلاجقة بغداد برئاسة السلطان طغرلبك ١٨٨
تأييد المستنصر بالله البساسيرى فى خروجه على الخليفة العباسى ١٨٩
مسير الداعى المؤيد فى الدين من مصر لمؤازرة حركة البساسيرى ١٩٠
حرص المؤيد على استمالة أمراء العرب بالعراق ١٩٤
وقوع الخلف بين طغرلبك وأخيه إبراهيم ينال ١٩٦
دخول البساسيرى بغداد وإقامة الخطبة للمستنصر بالله الفاطمى ٢٠٠
رحيل الخليفة القائم بأمر الله العباسى إلى حديثة عانه ٢٠٢
انصراف المستنصر بالله عن معاونة البساسيرى ٢٠٣
سعى طغرلبك لإعادة الخليفة العباسى إلى مقر خلافته ونجاحه فى ذلك السبيل ٢٠٤
٣ — زوال النفوذ الفاطمى ببلاد العراق ٢٠٧
ازدياد نفوذ السلاجقة بالعراق ٢٠٧
مناهضة السلاجقة النفوذ الفاطمى ٢٠٨
انحلال الدعوة الفاطمية فى أواخر القرن الخامس وأسبابه ٢ ٩
العوامل التى ساعدت على زوال الدعوة الفاطمية ٢١٣

الباب السابع

علاقات الفاطميين بالأندلس والمغرب وجزيرة صقلية

(ا) علاقة الفاطميين بالأمويين فى الأندلس ٢١٩
سياسة الأمويين بالأندلس فى مناهضة الخلافة الفاطمية بالمغرب ٢١٩
استمرار النزاع بين الفاطميين والأمويين بالأندلس حتى نهاية القرن الرابع الهجرى ٢٢٢

صفحة

(ب) علاقة الفاطميين بالزيريين فى المغرب ٢١٥
أمراء بنى زيرى يتولون الحكم فى المغرب بعد رحيل المعز إلى مصر ٢٢٥
خروج المعز بن باديس على الخليفة المستنصر ٢٢٨
(ج) الفاطميون وجزيرة صقلية ٢٣٠
السيادة الفاطمية على صقلية ٢٣٢
ضعف النفوذ الفاطمى بصقلية فى أواخر القرن الرابع ٢٣٥
استيلاء النرمنديين على صقلية ٢٣٦

الباب الثامن

العلاقات بين الدولة الفاطمية ، والدولة البيزنطية والمدن الإيطالية

(ا) الفاطميون والبيزنطيون ٢٣٩
البيزنطيون فى شمال الشام يهددون النفوذ الفاطمى بتلك البلاد ٢٣٩
الصلح بين باسيل الثانى والخليفة العزيز ٢٤٠
معاهدة الصداقة بين مصر فى أوائل عهد الحاكم ، والدولة البيزنطية ٢٤٣
الصلح بين الخليفة الظاهر وقسطنطين الثامن ٢٤٤
تحسن العلاقات بين الفاطميين والبيزنطيين فى أوائل عهد المستنصر ٢٤٥
عودة العداء بين الدولتين الفاطمية والبيزنطية سيرته الأولى ٢٤٧
(ب) ـ الفاطميون والمدن الإيطالية ٢٤٩
مدينتا أمالفى وبيزا تحرصان على إنشاء علاقات مع مصر والشام فى العصر الفاطمى ٢٤٩
اهتمام مدينتى جنوه والبندقية بإقامة علاقات ودية مع الفاطميين ٢٥٠
مصادر الكتاب ٢٥٥ - ٢٦٤

الباب الأول

الدعوة الفاطمية فى بلاد الحجاز

تمهيد : بلاد الحجاز قبل أن يمتد إليها نفوذ الفاطميين

١- السيادة الفاطمية في البلاد المقدسة بالحجاز

٢- ضعف النفوذ الفاطمي بالحجاز

الباب الأول

الدعوة الفاطمية فى بلاد الحجاز

تمهيد : بلاد الحجاز قبل أن يمتد إليها نفوذ الفاطميين :

كان العلويون فى بلاد الحجاز كثيراً ما يثيرون الاضطرابات ضد العباسيين ، فلما قضى خلفاء العصر العباسى الأول على حركاتهم ضعف أمرهم واستكانوا ، وظل ولاة بنى العباس يتولون الحكم فى بلاد الحجاز حتى شغل الخلفاء العباسيون بالفتن والثورات التى أثارها الأتراك فى أواخر القرن الثالث الهجرى ، فاستغل هـــذه الفرصة بعض العلويين الطامحين إلى النفوذ والسلطان من بنى سليمان بن داود بن الحسن بن الحسن ابن على بن أبى طالب وعملوا على الاستقلال بإمارة مكة(١) . وسرعان ما تغلبوا عليها وأسسوا بها دولة السليمانيين وخلع أميرهم طاعة العباسيين وخطب لنفسه بالإمامة سنة ٣٠١ هـ فى خلافة المقتدر(٢) ، وقال فى خطبة له بموسم الحج : « الحمد لله الذى أعاد الحق إلى نظامه ، وأبرز زهر الإيمان من أكمامه ، وكمل دعوة خير الرسل بأسباطه لا بنى أعمامه صلى الله عليه وعلى آله الطاهرين وكف عنا ببركته أسباب المعتدين وجعلها كلمة باقية فى عقبه إلى يوم الدين(٣) » .

على أن دولة بنى سليمان بمكة لم تكن من القوة بحيث تستطيع حماية الحجاج وصـــد المغيرين عليها ؛ فقد هددها القرامطة فى بلاد البحرين

---

(١) ابن خلدون : العبر وديوان المبتدأ والخبر جـ ٤ ص ١١ .

(٢) القلقشندى : صبح الأعشى فى صناعة الإنشا جـ ٤ ص ٢٦٧ — ٢٦٨ .

(٣) ابن خلدون جـ ٤ ص ٦٩ .

واستولوا عليها سنة ٣١٧ هـ ، وأقاموا الخطبة لعبيد الله المهدى الخليفة الفاطمى ببلاد المغرب ؛ وعلى الرغم من ذلك كله لم يقض على سيادة العباسيين على مكة إلا فترة قصيرة من الزمن ، فقد شغل القرامطة عنها بالعمل على تحقيق أطماعهم فى بلاد الشرق مما ساعد على عودة نفوذ العباسيين إلى مكة . فأقيمت الخطبة فيها للراضى بن المقتدر سنة ٣٢٧ هـ (١) ، بل إن هذا الخليفة أسند ولاية مكة والمدينة إلى محمد بن طغج الأخشيد والى مصر من قبله ، وأيد ذلك أخوه المتقى من بعده ، فضم الحجاز إلى محمد الأخشيد(٢) ، وصارت تقام له الخطبة مع الخليفة العباسى على منابر مكة والمدينة .

وقد نوه محمد الأخشيد بتقلده مكة والمدينة فى الكتاب الذى أرسله إلى رومانوس إمبراطور الروم . وكان هذا الامبراطور قد بعث إليه كتاباً قال فيه : أنه لم تكن عادته أن يكاتب إلا الخليفة والتمس تبادل الأسرى ؛ فكتب إليه محمد الأخشيد كتاباً أشار فيه إلى المكانة السامية التى يتمتع بها مدالا على ذلك بالبلاد التى فى حوزته ؛ وبعد أن ذكر أن منها مصر وبلاد الشام قال : « هذا ما نتقلده من أمر مكة المحفوفة بالآيات الباهرة والدلالات الظاهرة ، فإنا لو لم نتقلد غيرها لكانت بشرفها وعظيم قدرها وماحدث من الفضل توفى على كل مملكة لأنها محج آدم ومحج إبراهيم وارثه ومهاجره ومحج سائر الأنبياء وقبلتنا وقبلتهم عليهم السلام . ومنها مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم المقدسة بتربته وأنها مهبط الوحى ، وبيضة هذا الدين المستقيم الذى امتد ظله على البر والبحر والسهل والوعر والشرق

(١) ابن خلدون : جـ ٤ ص ١٠٠ .

(٢) ابن خلكان . وفيات الأعيان جـ ٢ ص ٥٣ — ٥٤ ، أبو المحاسن : النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة جـ ٣ ص ٢٣ .

والغرب وصحارى العرب على بعد أطرافها وتنازح أقطارها وكثرة سكانها فى حاضرتها وباديتها ، وعظمتها فى وفودها ، وشدتها وصدق بأسها ونجدتها ، وكبر أحلامها وبعد مرامها ، وانعقاد النصر من عند الله براياتها ، وإن الله تعالى أباد خضراء كسرى وشرد قيصر عن داره ومحل عزه ومجده بطائفة منها(١) » .

ظلت سيادة العباسيين قائمة بمكة بعد أن تقلد ولايتها الأخشيديون فى مصر ، فلما استولى بنو بويه على بغداد سنة ٣٣٤ هـ شاركوهم هذه السيادة ، فأقيمت الخطبة بمكة للمطيع العباسى مع معز الدولة بن بويه ، ثم عمل البويهيون على ألا يكون للأخشيديين نفوذ فى الأراضى المقدسة ببلاد الحجاز ، وقام الخلاف سنة ٣٤٢هـ بين أمير الحج المصرى وأمير الحج العراقى على الخطبة لابن بويه أو ابن الأخشيد ؛ وتطور النزاع إلى نشوب الحرب بين أنصار كل منهما ؛ فلما انهزم المصريون أقيمت الخطبة لمعز الدولة بن بويه(٢) . على أن ذلك لم يقض نهائياً على نفوذ الأخشيديين بمكة ؛ فقد ولى الخليفة المطيع كافور الأخشيدى بلاد الحجاز بالإضافة إلى مصر والشام ، وصار يدعى له بمقتضى هذه التولية على منابر هذه البلاد مع الخليفة العباسى(٣) . ثم دعى بعد وفاته للحسن بن عبيدالله بن طغج الأخشيد(٤) .

لم يكن اهتمام العباسيين ببسط سلطانهم على المدينة المنورة أقل من حرصهم على الاحتفاظ بسيادتهم على مكة . وكان العلويون قد اتخذوا المدينة مركزاً لإثارة الفتن فى وجه الخلافة العباسية مما حمل بعض الخلفاء على إسناد ولايتها إلى وال مستقل عن والى الحجاز حتى يتفرغ للعمل على

(١) القلقشندى : ج ٧ ص ١٠ — ١٤ .
(٢) ابن خلدون : ج ٤ ص ١٠٠ ، المقريزى : خطط ج ١ ص ٢٣٠ .
(٣) أبو الفداء : ج ٢ ص ١٠٧ .
(٤) أبو المحاسن : ج ٤ ص ٩ — ١٠ .

استقرار الأمور فيها والقضاء على ثورات العلويين . ولما تقلد الأخشيديون بلاد الحجاز دخلت المدينة فى حوزتهم ، فأبقوا للعباسيين سيادتهم عليها .

كان يقيم بالمدينة بعض أفراد من بنى الحسين بن على بن أبى طالب ، أخذوا يتحينون الفرص للاستقلال بولايتها كما فعل بنو سليمان بمكة ، لكنهم لم يكن لديهم القوة التى تساعدهم على تحقيق أغراضهم ؛ فلما قدم عليهم من مصر طاهر بن مسلم(١) من أحفاد الحسين ولوه أميراً عليهم ، ومالبث طاهر أن استقل بإمارة المدينة سنة ٣٦٠ هـ (٢) . ولم تقم الخلافة العباسية بأى محاولة للوقوف فى وجهه بسبب ما أصابها من ضعف .

---

(١) كان مسلم يدبر أمر مصر أيام كافور واسمه محمد بن عبد الله بن طاهر بن يحيى المحدث ابن الحسن بن جعفر بن عبيد الله بن على بن الحسين بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب (ابن حزم : جمهرة أنساب العرب ص ٤٩) .

(٢) ابن خلدون جـ ٤ ص ١٢

١ — السيادة الفاطمية في البلاد المقدسة بالحجاز

ظل العباسيون يتمتعون بالسيادة على كل من مكة والمدينة لا ينازعهم فيها منازع حتى أقام الفاطميون خلافتهم في إفريقية وأخذوا يعملون على توسيع رقعة دولتهم وذلك باستيلائهم على مصر والشام ؛ فلما تم لهم فتح هذه البلاد وأصبحت القاهرة مقر خلافتهم تطلعوا إلى بسط نفوذهم على الأراضي المقدسة بالحجاز ليكسبوا خلافتهم قوة أمام العالم الإسلامي ويضعفوا من شأن الخلافة العباسية . ولم يدر بخاطر العباسيين بعد أن تقلدوا زمام الحكم أن الاحتفاظ بالسيادة على مكة والمدينة سيكون له أثر في وثوق رعاياهم من المسلمين بأحقيتهم في الخلافة ؛ فلما طمع الفاطميون في السيطرة على هاتين المدينتين ، ظهرت من ثنايا النزاع بينهم وبين العباسيين على امتلاك الأراضي المقدسة بالحجاز نظرية جديدة تتضمن أن أمير المؤمنين الحقيق هو من استطاع بسط نفوذه على الحرمين المكي والمدني .

وكان العلويون في هذا النزاع على الأراضي المقدسة هم الخصم الثالث الذي يأتي أخيراً فيفوز بالغنيمة ، فاستقل أمراء الأشراف من بني الحسن بمكة ، كما استقل بالمدينة أمراء الأشراف من بني الحسين وأصبح هؤلاء الأمراء سادة الحرمين(١) .

بدأ اهتمام الفاطميين ببلاد الحجاز منذ خلافة المعز لدين الله الفاطمي فقد رأى هذا الخليفة على أثر ما بلغه من وقوع نزاع بين بني الحسن وبني جعفر بن أبي طالب أن يعمل على حسم الخلاف بينهم ؛ فأنفذ إليهم سراً مالا ورجالا سعوا بين هذين الفريقين حتى عقدوا بينهم صلحاً في المسجد

---

(١) متز : الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري ج ٢ ص ٥ — ٦ .

الحرام ، وقام رسل الخليفة الفاطمى بأداء دية قتلى بنى الحسن سنة ٣٤٨ هـ مما كان له أحسن الأثر فى نفوسهم . ولما تم لجوهر الصقلى فتح مصر سنة ٣٥٨ هـ ، بادر حسن بن جعفر الحسنى فاستولى على مكة ودعا للمعز على منابرها ، فبعث إليه المعز من المغرب بتقليده الحرم وأعماله(١) .

كذلك أقيمت الخطبة للمعز بالمدينة المنورة وحذف اسم الخليفة العباسى من الخطبة فى كل من مكة والمدينة (٢) ، وعمل المعز على تثبيت سلطته على هاتين المدينتين بالأموال التى صار يرسلها إليهما . فقد أنفذ سنة ٣٥٩ — كما قال المقريزى(٣) — « عسكراً وأحمال مال عدتها عشرون حملا للحرمين وعدة أحمال متاع » — وبذلك تيسر له نشر نفوذ الفاطميين فى بلاد الحجاز .

ظلت الخطبة تقام للمعز فى كل من مكة والمدينة حتى توفى سنة ٣٦٥ هـ وخلفه ابنـــه العزيز ، فانقطعت الخطبة له فى بلاد الحجاز ، فبعث إليها سنة ٣٦٧ هـ بإدريس بن زيرى الصنهاجى أميراً على الحج ، فاستولى على الحرمين وأقام له الخطبة (٤) . على أن نفوذ الفاطميين رغم ذلك لم يكن مستقراً فى مكة والمدينة طوال عهد العزيز ، فقد دعا أمير حاج العراق لعضد الدولة بن بويه ، واضطر العزيز سنة ٣٨٠ هـ إلى إرسال حملة إلى بلاد الحجاز ضيقت الحصار على أهلها ، وانتهى الأمر بإعادة الخطبة للعزيز على منابر مكة والمدينة ، وانقطعت الدعوة للعباسيين بهاتين المدينتين(٥) .

ظل طاهر بن مسلم — الذى يعد أول أمير من بنى الحسين استقل

---

(١) المقريزى : اتعاظ الحنفا ص ١٤٥ — ١٤٦

(٢) عبد القادر الأنصارى : درر الفرائد المنظمة ص ٢٠٢ .

(٣) اتعاظ الحنفا ص ١٧٢ . (٤) ابن خلدون : ج ٤ ص ١٠١ .

(٥) ابن خلدون : ج ٤ ص ١٠١ ، عبد القادر الأنصارى : درر الفرائد المنظمة ص ٢٠٣

بالمدينة - موالياً للفاطميين حتى توفى سنة ٣٨١ هـ ، فخلفه فى إمارتها ابنه الحسن بن طاهر ويلقب مهنى(١) ، فسار على نهج أبيه فى اعترافه بسيادة الفاطميين على المدينة . أما إمارة مكة فكان يليها فى ذلك الوقت عيسى ابن جعفر من بنى الحسن ، ولما توفى سنة ٣٨٤ هـ خلفه أخوه أبو الفتوح الحسن بن جعفر . وقد أقام كل منهما الخطبة للفاطميين اعترافاً بما لهم من نفوذ على مكة .

وكان الأمير أبو الفتوح الحسن بن جعفر فى بداية عهده مخلصاً فى ولائه للفاطميين ، فقد طلب منه الخليفة القادر بالله العباسى الدخول فى طاعته وأغراه بالمال والخلع التى بعثها إليه ، كما وعده بالعمل على إبقاء الحكم فى مكة وراثياً لبنيه من بعده ، لكنه رغم ذلك أبى تحقيق رغبة الخليفة العباسى وبعث إليه بأن الخطبة فى مكة تقام للخليفة الحاكم بأمر الله دون سواه(٢) ، كما أبقى للفاطميين سيادتهم على المدينة بأن سار إليها سنة ٣٩٠ هـ وأزال عنها إمرة بنى مهنى حين بلغه طعنهم فى نسب الفاطميين ، لكنه لم يحتفظ طويلا بإمارة المدينة ، فقد استعادها بنو مهنى بعد عودته إلى مكة ودخلوا منذ ذلك الوقت فى طاعة الفاطميين .

على أن أبا الفتوح أمير مكة لم يستمر على ولائه للخليفة الحاكم بأمر الله الفاطمى ، فقد خرج عليه سنة ٤٠٠ هـ ، بعد أن أغراه الوزير أبو القاسم حسين بن على بن المغربى بانتحال لقب الخلافة — وكان هذا الوزير ناقماً على الحاكم بأمر الله لغدره بأبيه وأعمامه — لذلك عول على إضعاف شأنه ، ففر من مصر إلى حسان بن مفرج بن الجراح أمير طيء بالرملة وحسّن له خلع طاعة الحاكم ، فاستجاب له وعهد إليه بالتوجه إلى

(١) ابن خلدون : ج ٤ ص ١٠٩

(٢) عبد القادر الأنصارى : درر الفرائد المنظمة ص ٢٠٤ — ٢٠٥ .

أبى الفتوح أمير مكة ليفسده على الحاكم ويدعوه إلى الخلافة(١). فلما قدم الوزير أبو القاسم بن المغربى مكة أطمع أبا الفتوح فى الرياسة وحرضه على طلب الخلافة كما حثه على الخروج إلى الرملة إجابة لرجاء حسان بن مفرج بن الجراح الذى سيكون خير عون له على تثبيت سلطته ؛ فرحب أبو الفتوح بهذه الدعوة وأقام الخطبة لنفسه وتلقب بالراشد بالله ، وأخذ ابن المغربى يدعو القبائل العربية من سليم وهلال وعوف بن عامر لمعاونة أبى الفتوح ، ثم سار من مكة قاصداً الرملة وبصحبته أبو الفتوح والعرب الذين أجابوا دعوته . فلما اقترب أبو الفتوح من الرملة تلقاه حسان بن مفرج بن الجراح وأولاده وسائر وجوه العرب بالترحاب وترجلوا له وبايعوه بالخلافة ثم ساروا فى ركابه ، ونزل أبو الفتوح فى دار حسان ونادى فى الناس بالأمان وأقيمت له الخطبة فى كثير من بلاد الشام(٢) .

ولما وصل إلى الحاكم بأمر الله الفاطمى نبأ خروج أبى الفتوح عليه وانتحاله لقب الخلافة وانحياز حسان بن مفرج بن الجراح والوزير أبى القاسم ابن المغربى إليه استاء من ذلك وعول على إعادة نفوذه فى بلاد الحجاز وإضعاف شأن أبى الفتوح ، فكتب إلى أبى الطيب ابن عم أبى الفتوح بتوليته الحرمين وأنفذ له ولشيوخ بنى الحسن مالا لخذلان أبى الفتوح ، كما تعهد بأن يدفع له خمسين ألف دينار عيناً ولكل فرد من إخوته سوى الهدايا والثياب التى بعثها إليهم ، فانصرفوا عن أبى الفتوح ودخلوا فى طاعة الحاكم .

كذلك عمل الخليفة الفاطمى على استمالة حسان وأبيه مفرج بن الجراح وغيرهما بالأموال التى بذلها لهم ، فانصرفوا عن أبى الفتوح . ولما أحس

---

(١) المقريزى : خطط ج ٢ ص ١٥٧ .

(٢) عبد القادر الأنصارى : درر الفوائد المنظمة ج ١ ص ٢٠٧ — ٢٠٨ .

أبو الفتوح بخذلان بنى الجراح إياه وعدولهم عن رأيهم فى العمل على تقوية نفوذه ، ركب إلى الوزير أبى القاسم بن المغربى وقال له : « أنت أوقعتنى وأخرجتنى من بلدى وجعلتنى فى أيدى هؤلاء ينفقون سوقهم بى عند الحاكم ويبيعونى بيعاً بالدراهم ، فيجب عليك أن تخلصنى كما أوقعتنى ، وتسهل طرقى بالعودة إلى الحجاز ، فانى راض من القسمة بالإياب » . ثم ذهب إلى مفرج بن الجراح وأخبره بخبر أولاده وموقفهم إزاءه وقال له : « أريد أن تبعث معى من يوصلنى إلى مكة ولا تخرجنى » ، فبعث معه جماعة من طيء ولم يزالوا معه حتى بلغ مكة سنة ٤٠٣ ، فتلقاه أتباعه ، وكاتب الحاكم واعتذر إليه ، فقبل عذره وعفا عنه وأعاده إلى إمارته بمكة(١) . وعمل أبو الفتوح منذ عودته إلى مكة على إقامة الدعوة للحاكم ، كما نقش اسمه على السكة(٢) .

لم يحاول الأمير أبو الفتوح الحسن بن جعفر بعد عودته إلى إمارة مكة الخروج على طاعة الفاطميين بل احتفظ بسيادتهم فى هذا البلد المقدس، وصار يقيم الخطبة للحاكم بأمر الله الخليفة الفاطمى ؛ فلما توفى هذا الخليفة خطب لابنه الظاهر ، كما خطب من بعده للمستنصر سنة ٤٢٧ هـ . وظل أبو الفتوح موالياً للفاطميين حتى توفى سنة ٤٣٠هـ ، وخلفه ابنه شكر الذى تمكن من بسط نفوذه على المدينة وأقام الدعوة المستنصر فى الحرمين واستمر الحال على ذلك حتى توفى سنة ٤٥٣ هـ(٣) .

لم ينجب شكر بن أبى الفتوح الحسنى أولاداً يتولون إمارة مكة من

---

(١) ابن خلدون : ج ٤ ص٢٧٣ ، عبد القادر الأنصارى : درر الفوائد المنظمة ص٢٠٨ ،

(٢) المقريزى : خطط ج٢ ص٢٨٨ .

(٣) دحلان : خلاصة الكلام فى أمراء البيت الحرام ص١٨ ، ابن خلدون ، ج ٤ ص١٠٢ .

بعده ، فزال بوفاته نفوذ بنى سليمان بمكة وتقلد الحكم فيها رئيس الهواشم إذ ذاك محمد بن جعفر بن أبى هاشم محمد الذى عظم ذكره بين قومه ، فحارب بنى سليمان بمكة سنة ٤٥٤ هـ وأوقع بهم الهزيمة ، وأخرجهم من الحجاز ، فساروا إلى اليمن واستقل بامارة مكة وأقام الخطبة للمستنصر بالله الفاطمى (١).

لم يعمل الأمير محمد بن جعفر على الاحتفاظ بسيادة الفاطميين على مكة . فبدأ عهده باقامة الخطبة للخليفة المستنصر بالله الفاطمى ، ثم ما لبث أن انحرف عنه وأمر بذكر اسم الخليفة القائم بأمر الله العباسى(٢) . فلما علم بذلك المستنصر عهد إلى على بن محمد الصليحى داعيه باليمن سنة ٤٥٥ هـ بارسال حملة إلى مكة لاستعادة نفوذه عليها وللقضاء على الدعوة العباسية فيها (٣) . فسار الصليحى إلى مكة وعمل على استمالة أهلها إلى جانبه بما كان معه من الأموال(٤)، وتعاون مع أمير مكة فى نشر الأمن والطمأنينة فى هذا البلد المقدس ، فطابت قلوب الناس ورخصت الأسعار ، وكسا الصليحى البيت الحرام بثياب بيض(٥) .

(١) ابن خلدون : جـ ٤ ص ١٢٢ .
(٢) القلقشندى : صبح الأعشى جـ ٤ ص ٢٧٠ (٣) ابن خلدون : جـ ٤ ص ٢١٥ .
(٤) Bulletin School of Oriental Studies.
(Letters of Al-Mustansir Billah, Part VII. 1934 P. 324)
(٥) أبو الفدا : المختصر فى أخبار البشر ، أبو المحاسن : جـ ٥ ص ٧٢ .

٢ — ضعف النفوذ الفاطمى بالحجاز

تأثرت السيادة الفاطمية على مكة بالأحداث الداخلية التى أصابت مصر فى عهد المستنصر بالله الفاطمى ، ذلك أنه لما انقطع ما كان يرد إلى محمد بن جعفر من مصر من الأموال بسبب الشدة العظمى التى حلت بالبلاد المصرية وأصبح فى حاجة إلى المال ، أخذ قناديل الكعبة وستورها وصفائح بابها والميزاب وصادر أموال أهل مكة وأمر بحذف اسم المستنصر من الخطبة ، وخطب للخليفة القائم بأمر الله العباسى(١) ، وبعث إلى السلطان ألب أرسلان السلجوقى حاكم بغداد رسولا سنة ٤٦٢ هـ يخبره باقامة الخطبة للخليفة العباسى وللسلطان بمكة وإسقاط اسم الخليفة الفاطمى من الخطبة وترك الأذان بحى على خير العمل . فبعث إليه السلطان ثلاثين ألف دينار وخلعاً نفيسة وأجرى له كل سنة عشرة آلاف دينار وقال : « إذا فعل أمير المدينة مهنى كذلك أعطيته عشرين ألف دينار وكل سنة خمسة آلاف دينار(٢) » .

على أنه يظهر لنا مما ذكره أبو المحاسن(٣) أن أمير مكة رغم قيامه بالدعوة للخليفة العباسى أبقى الأذان بحى على خير العمل وهو يعد من مظاهر المذهب الشيعى التى كانت سائدة إذ ذاك فى الأراضى الخاضعة لنفوذ الفاطميين . فقد أرسل إليه الخليفة القائم بأمر الله سنة ٤٦٤ هـ الشريف أباطالب الحسن بمال وخلع وطلب منه هذا الرسول أن يلغى الأذان

---

(١) سبط بن الجوزى : مرآة الزمان فى تاريخ الأعيان ، القسم الثانى المجلد الأول ورقة ١٢١ ب .

(٢) ابن الأثير : ج ١٠ ص ٢١ ، أبو المحاسن : ج ٥ ص ٨٤ .

(٣) النجوم الزاهرة : ج ٥ ص ٨٩ .

الشيعى فى مكة ، فناظره الأمــــير مناظرة طويلة وقال له : « هذا أذان أمير المؤمنين على بن أبى طالب ، فقال له أخو الشريف أبو طالب : ماصح عنه ، وإنما عبد الله بن عمر بن الخطاب روى أنه أذن به فى بعض أسفاره وما أنت وابن عمر ، فأسقطه من الأذان » .

كان الأمير محمد بن جعفر يتطلع إلى ضم المدينة المنورة إلى حوزته ليكون صاحب السيادة على الأراضى المقدسة ببلاد الحجاز ، فلما أمن جانب الخليفة العباسى والسلطان السلجوقى بعد أن أقام لهما الخطبة فى مكة ، وشغل عنه الخليفة الفاطمى بالعمل على استقرار الأمور فى مصر ، أعد جيشاً من الأتراك وزحف به إلى المدينة ، فتغلب على بنى مهنى من بنى الحسين الذين كانت إليهم الرياسة بها وأخرجهم منها وأزال بذلك إمارتهم بالمدينة وجمع بين الحرمين(١).

ومما لا شك فيه أن الأمير محمد بن جعفر كان يرمى من وراء انحيازه إلى الخليفة العباسى أو الخليفة الفاطمى العمل على توطيد سلطانه فى بلاد الحجاز ، فيقيم الدعوة للخليفة الذى يمده بالأموال ، لذلك نراه بعد أن انقطع ما كان يصل إليه من المـال على أثر وفاة الخليفة القائم بأمر الله سنة ٤٦٧ هـ يبطل الخطبة للعباسيين ويقيمها للخليفة المستنصر بالله الفاطمى(٢). فلما أرسل إليه المقتدى بأمر الله العباسى الأموال أحل اسمه فى الخطبة محل اسم الخليفة الفاطمى. وظلت الخطبة تقام للعباسيين فى مكة والمدينة إلى أن توفى الخليفة المقتدى سنة ٤٨٧ هـ(٣).

لم يعمل محمد بن جعفر أمير مكة طيلة عهد إمارته على تنظيم الأمور فى الأراضى المقدسة وإقرار الأمن بهـا على الرغم من المساعدات المالية

(١) القلقشندى : صبح الأعشى جـ ٤ ص ٢٧٠ .
(٢) أبو المحاسن : النجوم الزاهرة جـ ٥ ص ٩٧ .
(٣) ابن خلدون : جـ ٤ ص ١٠٣ ، القلقشندى : صبح الأعشى جـ ٤ ص ٢٧ .

التى كانت ترد إليه من الخليفة العباسى أحياناً ومن الخليفة الفاطمى أحياناً أخرى ، بل أساء السيرة فيها وأصبح الحجاج فى أواخر أيامه غير آمنين على أنفسهم(١).

كذلك لم يبد من هذا الأمير ما يشعر برغبته فى الاستقلال عن الخلافة العباسية أو الفاطمية ، بل دان لكل منها بالطاعة فى فترات متقاربة حتى وصفه أبو المحاسن(٢) بأنه كان « متلوناً تارة مع الخلفاء العباسيين وتارة مع المصريين (الفاطميين) ».

ظفر العباسيون بحظ وافر من السيادة على مكة فى عهد إمارة محمد بن جعفر بخلاف الفاطميين الذين شغلوا إذ ذاك بالعمل على توطيد سلطتهم فى مصر عن الاحتفاظ بسيادتهم فى الأراضى المقدسة ببلاد الحجاز ، وبذلك ظلت الدعوة العباسية قائمة فى مكة حتى توفى الأمير محمد بن جعفر سنة ٤٨٧ هـ ، وخلفه ابنه الأمير قاسم الذى حذا حذو أبيه فى إقامة الخطبة للعباسيين ، وأرسل إليه الخليفة المستظهر وابنه المسترشد العباسى الخلع والأموال(٣) .

لم تنعم مكة فى عهد الأمير قاسم بالهدوء والاستقرار ، بل كانت الأحوال فيها مضطربة طوال المدة التى قضاها أميراً عليها وتبلغ ثلاثين سنة(٤)، مما يثبت لنا عجز هذا الأمير عن إقرار الأمن والعمل على إصلاح شئون إمارته .

لما توفى الأمير قاسم بن محمد بن جعفر الحسنى سنة ٥١٨ هـ ، وخلفه ابنه فليته ، افتتح عهده بإقامة الخطبة للخليفة العباسى المسترشد ، وعمل على

(١) ابن الأثير : جـ ١ ص ٨٣ .
(٢) النجوم الزاهرة : جـ ٥ ص ١٤٠ .
(٣) ابن خلدون . جـ ٤ ص ٢٠٥ .
(٤) ابن خلدون . جـ ٤ ص ١٠٤

نشر العدل بين أهالى إمارته مما كان له أحسن الأثر فى نفوسهم ؛ فأثنوا عليه وتمتعوا فى عهده بالرخاء والطمأنينة ، كما حرص هذا الأمير على إظهار ولائه للخليفه العباسى المسترشد حتى توفى سنة ٥٢٧ هـ ، وولى إمارة مكة من بعده ابنه هاشم(١) ، فلم يعمل على استمرار ذكر اسم الخليفة العباسى فى الخطبة ، بل أقام الخطبة للخليفة الحافظ الفاطمى ، مما أثار السيدة الحرة الصليحية صاحبة اليمن — وكانت إذ ذاك تقيم الدعوة للإمام الطيب بن الخليفة الآمر الفاطمى — ولم تعترف بخلافة الحافظ الذى لم يكن يتمتع بصفة الإمامة التى يجب توافرها فى الخلفاء الفاطميين(٢) ؛ فأرسلت إلى هاشم أمير مكة تتوعده إن لم يعمل على قطع الخطبة للحافظ ، لكنها مالبثت أن توفيت سنة ٥٣٢ هـ . فكفاه الله شرها(٣).

على أن الدعوة لبنى العباس لم تقطع نهائياً فى عهد الأمير هاشم ، بل أقيمت فى أيامه الخطبة للخليفة المقتفى . كما أن ابنه قاسم الذى آلت إليه إمارة مكة سنة ٥٤٩ هـ حرص على ذكر اسم الخليفة المستنجد بالله العباسى فى الخطبة وحاول فى نفس الوقت التقرب إلى الخلافة الفاطمية فى مصر ؛ فأوفد الشاعر عمارة اليمنى برسالة إلى القاهرة سنة ٥٥٠ هـ — وكان الخليفة الفاطمى إذ ذاك الفائز ووزيره الصالح طلائع بن رزيك ـ فأدى عمارة الرسالة

(١) راجع ما ورد عن ولاة مكة من الهواشم العلويين فى
(Zambaur, Manuel de Génealogie et de Chronologie pour L'Histoire de L'Islam p. 21.

(٢) كان الخليفة الآمر الفاطمى قد أنجب ولداً سماه أبا القاسم الطيب وجعله ولى عهده ، فلما قتل الخليفة بعد ذلك ببضعة أشهر سنة ٥٢٤ هـ أخفى الأمير عبد المجيد بن محمد بن المستنصر الذى لقب بالحافظ لدين الله أمر الإمام الطيب ، وبايعه الناس بولاية العهد على أن يكون كفيلا لطفل مرتقب ؛ غير أن الوزير أبا على أحمد بن الأفضل ما لبث أن اعتقله ، فظل فى سجنه إلى أن تآمر الإسماعيلية على اغتيال هذا الوزير فى المحرم سنة ٥٢٦ هـ ، وأخرجوا الحافظ من سجنه .

ابن ميسر : تاريخ مصر ص ٧١ ، ٧٤ ؛ أبو المحاسن : النجوم الزاهرة جـ ٥ ص ٢٣٩ ، مجموعة الوثائق الفاطمية ص ٨٨ — ٨٩ .

ونظم قصيدة فى مدح الخليفة والوزير، نوه فيها بقدومه سفيراً من مكة المكرمة إلى القاهرة. ومن هذه القصيدة ننقل الأبيات الآتية(١):

الحمد للعيش بعد العزم والهمم	حمداً يقوم بما أولت من النعم
قرّبن بعد مزار العز من نظرى	حتى رأيت إمام العصر من أمم
ورحن من كعبة البطحاء والحرم	وفداً إلى كعبة المعروف والكرم
حيث الخلافة مضروب سرادقها	بين النقيضين من عفو ومن نقم

لم يمكث عمارة اليمنى طويلا فى مصر بعد أن تلقاه كل من الخليفة والوزير الفاطمى بالعطف والقبول، فسرعان ما عاد إلى مكة ومنها توجه إلى زبيد(٢) فى صفر سنة ٥٥١ هـ، ثم رحل منها إلى بلاد الحجاز حيث أدى فريضة الحج وأوفده أمير الحرمين برسالة أخرى إلى الملك الصالح طلائع ابن رزيك يعتذر فيها عن الأحداث التى ارتكبها جنده مع حجاج مصر والشام مع تعديهم عليهم وأخذهم أموالا منهم، فقدم عمارة للمرة الثانية إلى القاهرة حاملا رسالة أمير الحرمين واتخذ مصر موطناً له(٣)، وصار من مشاهير شعراء البلاط الفاطمى فى عهد الخليفتين الفائز والعاضد(٤).

على أن هاتين السفارتين اللتين أرسلهما أمير مكة إلى الخليفة الفاطمى الفائز ووزيره طلائع بن رزيك وإن دلت على حرص هذا الأمير على اكتساب رضاء الخلافة الفاطمية، فإنهما لم يؤديا إلى إحلال النفوذ الفاطمى محل النفوذ العباسى فقد ظلت الخطبة تقام فى الحرمين للخليفة المستنجد بالله العباسى حتى توفى الأمير قاسم بن هاشم سنة ٥٥٦ هـ وولى بعده الأمير عيسى بن فليتة الذى ضعف فى عهده شأن الفاطميين فى مصر،

(١) ابن خلكان: وفيات الأعيان ج ١ ص ٤٧٥ — ٤٧٦.

(٢) زبيد: مدينة من تهائم اليمن. القلقشندى: صبح الأعشى ج ٥ ص ٦.

(٣) عمارة اليمنى: النكت العصرية فى أخبار الوزراء المصرية ص ٣١، ٤١ — ٤٢.

(٤) حسن إبراهيم: الفاطميون فى مصر (حاشية رقم ١ ص ١٧٤).

وأخذت دولتهم تخطو واسعة نحو الزوال(١)

ومما لا شك فيه أن عدم استقرار الأمور فى مصر فى العصر الفاطمى الثانى الذى تجلى فيه ازدياد نفوذ الوزراء واستئثارهم بالسلطة دون الخلفاء شجع الخلافة العباسية فى ذلك الوقت رغم ما كانت تعانيه من جراء ازدياد نفوذ السلاجقة على نشر نفوذهم فى كل من مكة والمدينة

على أن الخلفاء الفاطميين ووزراءهم فى العصر الفاطمى الثانى لم ينصرفوا انصرافاً تاماً عن نشر الدعوة لهم فى بلاد الحجاز ، بل إنهم رغم انكماش دولتهم فى هذا العصر حتى لم يبق فى حوزتهم غير مصر ، فإنهم احتفظوا ببعض النفوذ فى الجزيرة العربية ، ويرجع الفضل فى ذلك إلى الدعوة الشيعية التى استمرت دون توقف على يد الدعاة الفاطميين(٢)

وعلى الرغم من أن ولاة مكة والمدينة أقاموا فى فترات مختلفة الدعوة لبنى العباس ، فإنهم لم ينحازوا إلى الخلفاء العباسيين فى مناهضة الخلافة الفاطمية بل حرصوا على إظهار ولائهم للخلفاء الفاطميين كلما أمكنتهم الفرص وما ذلك إلا بتأثير الدعوة الشيعية التى بذل الدعاة الفاطميون فى نشرها عناية كبيرة ، كما أن الخلفاء الفاطميين من ناحيتهم كانوا يبذلون قصارى جهدهم فى نشر الأمن والطمأنينة فى الأراضى المقدسة بالحجاز لتيسير سبل المعيشة على أهلها بما كانوا يرسلونه إليهم من الحبوب والأموال. لذلك لا نعجب إذا علمنا أن إقامة الخطبة للخلفاء الفاطميين لم تلق اعتراضا من هؤلاء الأهالى الذين عرفوا بميلهم إلى المذهب السنى ، كما أن أمراءهم احتفظوا فى كل من مكة والمدينة بكثير من مظاهر المذهب الشيعى التى

---

(١) القلقشندى : صبح الأعشى ج ٤ ص ٢٧١ .

(٢) Stanley Lane-Poole. A History of Egypt in the middle ages pp. 117-118. 123.

كانت سائدة فى مصر فى العصر الفاطمى ، وفضلا عن ذلك فإن انتماء أمراء مكة والمدينة إلى البيت العلوى كان له أثر كبير فى حرص هؤلاء الأمراء على التقرب إلى الخلفاء الفاطميين واكتساب رضائهم رغم المحاولات التى بذلها الخلفاء العباسيون لاستمالتهم إليهم وصرفهم عن الخلافة الفاطمية فى مصر .

وعلى الرغم من حرص الخلفاء العباسيين والفاطميين على بسط سيادتهم على الأراضى المقدسة بالحجاز ، فإن التنافس بينهم لتحقيق هذه الغاية لم يقرن بمظاهر العنف ، بل وجه كل منهم اهتمامه إلى إقامة الدعوة له فى تلك الأراضى بالطرق السلمية ولعل السبب فى ذلك يرجع إلى أن العباسيين والفاطميين رأوا ألا يتخذوا من الأراضى المقدسة بالحجاز ميداناً لإظهار مابينهم من عداوة وبغضاء .

وقد اقتصر اهتمام الخلفاء الفاطميين تحت تأثير الصعوبات التى واجهوها فى دولتهم على نشر سلطتهم الدينية فى بلاد الحجاز التى كانت تتمثل فى إقامة الخطبة لهم على منابرها . وكانوا يرجون من وراء تمتعهم بهذه السلطة توطيد أركان خلافتهم واستمالة العالم الإسلامى إلى جانبهم بعد أن أصبح المسلمون ينظرون نظرة إجلال وتقدير إلى الخلفاء الذين يحتفظون بسيادتهم على الأراضى المقدسة ببلاد الحجاز .

ولا شك أن حرص الفاطميين على نشر نفوذهم فى بلاد الحجاز ونجاحهم فى هذا السبيل وإن جر عليهم منافسة العباسيين لهم ، فإنهم جنوا من ورائه احترام العالم الإسلامى وتقديره ، فقد برهنوا على قدرتهم على درء الأخطار عن تلك البلاد بعد أن صدوا القرامطة عن مكة ووجهوا اهتمامهم إلى العمل على حماية الأراضى المقدسة وتأمين الوافدين إليها من المسلمين على أرواحهم وأموالهم .

ولم يكن لدى أمراء مكة والمدينة القوة التي تمكنهم من درء الأخطار عن بلاد الحجاز ، كما أن موارد تلك البلاد كانت لا تكفي لسد حاجة أهلها لذلك رأوا أنه من الخير لهم اكتساب صداقة الفاطميين والتقرب إليهم ماداموا يرعون حقوقهم في الإمارة ، ويمدونهم بما يحتاجون إليه من الأموال والغلال ؛ غير أنه يؤخذ على هؤلاء الأمراء أنهم كانوا يؤثرون مصلحتهم الخاصة على مصلحة البلاد التي يتولون الامارة عليها ، فاستغلوا التنافس بين العباسيين والفاطميين على السيادة على بلاد الحجاز لإشباع مطامعهم وصاروا يقيمون الخطبة للخلفاء الذين يواصلون إمدادهم بالأموال ، ولا يعنون بإدخال ضروب الاصلاح في بلادهم مما أدى إلى إضعاف شأنها وتأخيرها مادياً وعلمياً حتى أن المقدسي(١) لما زار بلاد الحجاز في القرن الرابع الهجري وصفها بالفقر وقلة العلم(٢) ، كما أن الرحالة الفارسي ناصر خسرو لاحظ حين زيارته مكة في القرن الخامس الهجري قلة سكانها ، وقدر عددهم بألفين ، وقال إن فريقاً من أهلها اضطروا إلى الرحيل عنها فراراً من المجاعات(٣) .

---

(١) أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ص ١٠٣

(٢) أحمد أمين : ظهر الإسلام ص ٣١٣

(٣) الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري ج ٢ ص ٢٢٦ — ٢٢٧

أمراء مكة الأشراف (١)

السليمانيون والهواشم

(من منتصف القرن الرابع إلى نهاية القرن السابع الهجرى)

الأمير		السنة
أبو جعفر بن محمد بن حسين بن محمد الثائر		٣٥٦هـ
حسن بن جعفر الحسنى(٢)		٣٥٨هـ
عيسى بن أبى محمد جعفر		٣٧٠هـ
أبو الفتوح الحسن بن أبى محمد جعفر		٣٨٠هـ
أبو الطيب داود بن عبد الرحمن بن عبد الله داود		٤٠١هـ
أبو الفتوح الحسن	(المرة الثانية)	٤٠٣هـ
محمد شكر بن أبى الفتوح الحسن		٤٣٠هـ
حمزة بن وهّاش بن أبى الطيب داود		٤٥٣هـ
أبو هاشم محمد بن جعفر بن محمد (تاج المولى)		٤٦١هـ
أبو فُليته القاسم بن محمد بن جعفر		٤٨٧هـ
فليته بن القاسم بن محمد بن محمد بن جعفر		٥١٨هـ
هاشم بن فليته بن القاسم		٥٢٧هـ
القاسم بن هاشم بن فليته		٥٤٩هـ
عيسى بن فليته بن القاسم		٥٥٦
داود بن عيسى بن فليته		٥٧٠هـ
مُكْثِر بن عيسى بن فليته		٥٧١
داود بن عيسى	(المرة الثانية)	٥٧٢هـ

(١) Zambaur, Manuel de Généalogie et de chronologie pour L'Histoire de L'Islam. p. 21

(٢) دعا للمعز سنة ٣٥٨ هـ : أنظر المقريزى : أتعاظ الحنفا ص١٤٦

الباب الثانى

السيادة الفاطمية فى بلاد البحرين

تمهيد : قيام دولة القرامطة ببلاد البحرين.

موقف أمراء القرامطة من الخلفاء الفاطميين.

الباب الثانى

السيادة الفاطمية فى بلاد البحرين

تمهيد : قيام دولة القرامطة ببلاد البحرين

كان نفوذ العباسيين فى جزيرة العرب مهدداً من ناحية القرامطة(١) الذين نجحوا فى اقتطاع بلاد البحرين حيث كان أبو سعيد الحسن بن بهرام الجنابى(٢) أحد قوادهم يعمل على نشر دعوتهم بهذا الاقليم منذ سنة ٢٨٣هـ. وقد وجدت تعاليمه مرعى خصيباً لدى الأهالى وعلى الأخص الأعراب الذين كانوا دائماً على استعداد الانضمام إلى أى حركة ثورية ضد العرب أو غيرهم ما دامت تبيح لهم فرصة للسلب والنهب(٣).

وقد تمكن أبو سعيد الجنابى من الاستيلاء على مدينة هجر عاصمة بلاد البحرين بعد حصار دام سنتين واتخذ مدينة الاحساء(٤) عاصمة لدولة

---

(١) القرامطة : طائفة سياسية اتخذت الدعوة إلى إمامة إسماعيل بن جعفر الصادق وسيلة لتحقيق أغراضها وسلاحا للوصول إلى ما تصبو إليه ؛ وقد عرفت بذلك نسبة إلى أحد دعاتها حمدان بن الأشعث الملقب بقرمط ويقال أنه سمى قرمط لقصر قامته ورجليه.

النويرى : نهاية الأرب فى فنون الأدب جـ ٢٣ ورقة ٥٦

ويرى Ivanow فى كتابه (The Rise of the Fatimids p. 69) أن « كرامته كلمة معروفة عند أهالى بلاد العراق الجنوبية لم تستعمل فى العربية معناها الفلاح أو القروى ثم عربت إلى قرمط ، وأن حمدان بن الأشعث عرف بهذا الاسم وسمى أتباعه باسمه ».

(عبد العزيز الدورى : دراسات فى العصر العباسى الثانى ص ١٠٨)

(٢) الجنابى : نسبة إلى جنابه وهى بلدة على ساحل الخليج الفارسى

ياقوت : معجم البلدان جـ٢ ص١٤٢-١٤٣)

(٣) De La cy O'Leary. Ashort History of the Fatimid Khalif ate

(٤) عرفت بهذا الاسم لما فيها من أحساء المياه فى الرمال ومراعى الإبل (ابن خلدون . جـ٤ ص٩١)

القرامطة الجديدة التي أسسها سنة ٢٨٦ هـ وكان لهذه الدولة شأن كبير في جزيرة العرب فقد استطاعت أن تبسط نفوذها على كثير من أرجائها ، كما قامت بها حكومة ملكية وراثية في بيت أبي سعيد يعاونها مجلس يتكون من إثنى عشر عضواً . وكان الحاكم هو القائد الأعلى للجيش ، بيده كافة مقاليد الأمور ، وله سلطة مطلقة . وكان العبيد يقومون بفلاحة أراضيها أما سكانها من العرب فلم يكن لهم عمل سوى الخدمة في الجيش(١) .

وقد وضع أبو سعيد نظاماً حربياً دقيقاً يستطيع بمقتضاه إعداد جيش قوى من رعاياه . فصار يجمع الأطفال في دور خاصة وعين لهم قوماً يشرفون على مصالحهم وأجرى عليهم مايحتاجون إليه ، وأخذ يدربهم على ركوب الخيل واستخدام الأسلحة الحربية ، فنشئوا نشأة عسكرية (٢) .

كان أبو سعيد يطمع في بسط سيادته على جزيرة العرب وسلخها عن الدولة العباسية ، وقد أثارت مطامعه مخاوف الخليفة العباسي المعتضد فأرسل إليه جيشاً بقيادة العباس بن عمرو الغنوى بعد أن ولاه على اليمامة والبحرين سنة ٢٨٩ هـ ، فلقى هذا الجيش هزيمة فادحة ووقع العباس في الأسر ، وما لبث أن أطلق أبو سعيد سراحه وطلب منه أن يبلغ المعتضد هذه الرسالة ، ومما جاء فيها : « هذا بلد خارج عن يدك غلبت عليه وقمت به وكان في من الفضل ما آخذ به غيره ، فما عرضت لما كان في يدك ، ولا هممت به ، ولا أخفت لك سبيلا ، ولا نلت أحداً من رعيتك بسوء ، فتوجيهك إلى الجيوش لأى سبب ؟ اعلم أنى لا أخرج عن هذا البلد ولا توصل إليه ، وفي هذه العصابة التي معى روح ، فاكفنى نفسك ولا تتعرض لما ليس لك فيه فائدة ، ولاتصل إلى مرادك منه إلا ببلوغ القلوب الحناجر(٣) .

---

(١) Encyclopaedia of Religion & Ethics, Vol III p.225

(٢) المقريزى ، اتعاظ الحنفا ص٢١٦

(٣) المقريزى ، اتعاظ الحنفا ص٢١٨

فلما وقف المعتضد على ما تضمنه حديث أبي سعيد قال : « صدق ما أخذ شيئاً كان في أيدينا » . ثم أطرق مفكراً وقال : « كذب عدو الله الكافر ، المسلمون رعيتي حيث كانوا من بلاد الله ، والله لئن طال في العمر لأشخصن بنفسي إلى البصرة وجميع غلماني ، ولأوجهن إليه جيشاً كثيفاً فإن هزمه وجهت جيشاً ، فإن هزمه خرجت في جميع قوادي وجيشي إليه يحكم الله بيني وبينه » .

يتضح لنا من حديث الخليفة المعتضد أنه مدرك حقيقة الحال في الدولة العباسية ، وأن بعض ولاياتها ومن بينها بلاد البحرين خرجت عن سلطانه ، وأن واجبه كخليفة يحتم عليه أن يظل نفوذه سائداً في جميع البلاد الإسلامية . وقد بلغ من حنق المعتضد على أبي سعيد ورغبته في القضاء عليه أنه كان يذكره خلال مرضه ويتلهف ويقول : حسرة في نفسي ، كنت أحب أن أبلغها قبل موتي ، والله لقد كنت وضعت عند نفسي أن أركب ثم أخرج نحو البحرين ، ثم لا ألقى أحداً أطول من سيفي إلا ضربت عنقه ، وإني أخاف أن يكون من هناك حوادث عظيمة (١) .

استطاع أبو سعيد بإقراره النظام في بلاد البحرين وتدريبه أهلها على الأعمال الحربية أن يقيم دولة موطدة الأركان فيها ، امتد نفوذها على هجر والأحساء والقطيف وسائر بلاد البحرين والطائف(٢) . ولو طالت حياته لتيسر له مد سلطانه على جزيرة العرب بأكملها ، ولكنه اغتيل سنة ٣٠٢هـ على يد خادم له كان قد أخذه من الجيش العباسي ، فخلفه ابنه سعيد الذي كان يدبر أمور الدولة حتى ثار عليه أخوه الأصغر أبو طاهر سليمان وقتله وتقلد زمام الحكم في دولة القرامطة .

---

(١) المقريزي : اتعاظ الحنفا ص ٢١٩ .

(٢) ابن الأثير : الكامل في التاريخ حـ٨ ص٢٧

موقف أمراء القرامطة من الخلفاء الفاطميين

قامت العلاقات الودية بين القرامطة فى بلاد البحرين والفاطميين فى بلاد المغرب منذ أن أرسل عبيد الله المهدى إلى أبى طاهر سليمان أمير القرامطة كتابا بتوليته . وقد ترتب على ذلك اتحادهم فى سياستهم العدائية إزاء العباسيين ، فطلب أبو القاسم بن المهدى سنة ٣٠٦ هـ من أبى طاهر أن يحضر إلى مصر على رأس حملة ليعاونه على فتحها . لكن الجيش العباسى بقيادة مؤنس الخادم ما لبث أن أوقع الهزيمة بجيش أبى القاسم قبل أن تصل إليه النجدة من أبى طاهر (١) .

كان أبو طاهر رجلا طموحا إلى المجد والعظمة . فقضى السنوات الأولى من حكمه ينظم شئون دولته ويعد العدة للسيطرة على جزيرة العرب ، كما وجه سياسته إلى تأييد عبيد الله المهدى فى عدائه للعباسيين(٢) فعمل على إشغالهم فى المشرق بحملاته التى وجهها إلى بلادهم حتى يتيح للمهدى توطيد نفوذه فى المغرب ، فزحف على البصرة والكوفة وبعد أن غنم منها مغانم كثيرة عاد إلى هجر(٣)، وفى سنة ٣١٦هـ تقدم أبو طاهر إلى بغداد وكادت تقع فى يده لولا دهاء مؤنس الخادم قائد الخليفة المقتدر الذى بعث بزواريق ملأى بفاكهة مسمومة ، فلما أكل منها جند القرامطة مات منهم عدد كبير وارتد جيش أبى طاهر بعد أن تكبد خسائر فادحة(٤) ، لكن هذه الهزيمة لم تفت فى عضده ، فقام فى العام التالى بحملة جريئة اضطرب من أجلها العالم الإسلامى ، ذلك أنه أغار على مكة فى ذى الحجة سنة ٣١٧هـ (يناير ٩٣٠م)

---

(١) ابن خلدون : جـ٤ ص٨٨-٨٩ .

(٢) حسن إبراهيم : الإسلام السياسى جـ٣ ٣٣٩

(٣) . جـ٨ ص٥٠ و٤٩

(٤) المقريزى : اتعاظ الحنفا ص٢٤٧

فى عدد قليل ، إذ كان معه سبعمائة فارس وتسعمائة راجل ، ونهب هو وأصحابه الحجاج وقتلوهم فى المسجد الحرام ، وقلع باب البيت وقبة زمزم والحجر الأسود ، وأخذ كسوة الكعبة ففرقها بين أصحابه ، ونهب دور أهل مكة ، وأقام الخطبة فى مكة لعبيد الله المهدى بدلا من الخليفة العباسى المقتدر ثم عاد إلى الأحساء حاملا معه الحجر الأسود(١) .

لم يقم أبو طاهر بهذه الفعلة الشنعاء - كما زعم أوليرى(٢) - بناء على تعاليم سرية أرسلت إليه من القيروان الغرض منها الانتقام من أهل مكة لأنهم لم يخطبوا لعبيد الله المهدى ، ودليلنا على ذلك أن اهتمام هذا الخليفة بإقامة الخطبة له لم يتضح إلا بعد أن فتح أبو طاهر مكة ، كما أن عبيد الله المهدى أظهر استياءه من الأحداث التى ارتكبها أبو طاهر فى هذا البلد المقدس وكتب إليه ما نصه :(٣) « والعجب من كتب إلينا ممتناً علينا بما ارتكبته واجترمته باسمنا من حرم الله وجيرانه بالأماكن التى لم تزل الجاهلية تحرم إراقة الدماء فيها وإهانة أهلها ، ثم تعديت ذلك وقلعت الحجر . . . وحملته إلى أرضك ورجوت أن نشكرك ، فلعنك الله ثم لعنك والسلام على من سلم المسلمون من لسانه ويده وفعل فى يومه ما عمل فيه حساب غده »(٤) . فبعث إليه أبو طاهر رداً على كتابه وعده فيه بأنه سيعمل على إعادة الحجر الأسود إلى بيت الله الحرام(٥).

---

(١) ابن الأثير جـ ٨ ص ٨١ وعبد القادر الأنصارى . درر الفرائد المنظمة جـ ١ ص ١٩٥-١٩٦

(٢) A Short History of the Fatimid Khalifate. p.86

(٣) عبد القادر الأنصارى . درر الفرائد المنظمة جـ١ص١٩٦

(٤) يرى أوليرى فى كتابه A short History of the Fatimid Khalifate, p. 85 . أن عبيد الله المهدى أرسل هذا الخطاب لأبى طاهر لينفى عن نفسه أية مسئولية من جراء استحواذ القرامطة على الحجر الأسود وليظهر بمظهر المدافع عن شعائر الإسلام حتى يكتسب تقدير العالم الإسلامى

(٥) ابن خلدون . جـ٤ ص ٨٩

لم يكتف أبو طاهر بمهاجمة مكة وإقامة الخطبة فيها للخليفة الفاطمى بل بسط سلطانه عليها وفرض على الحجاج سنة ٣٢٢ هـ إتاوة يؤدونها إليه مقابل حمايتهم والمحافظة على أرواحهم(١) . وبذلك أصبحت الخلافة العباسية عاجزة عن حماية رعاياها من المسلمين وتأمين طريقهم إلى بلاد الحجاز . ولا شك أن ظهورها بهذا المظهر يضعف هيبتها أمام العالم الإسلامى وهو ما كان يرجوه ويعمل من أجله أبو طاهر ليمهد السبيل أمام أنصاره الفاطميين ، ولا غرو فقد أعلن فى إحدى قصائده ولاءه للمهدى وأنه عول على القضاء على العباسيين وإعادة النفوذ إلى العلويين(٢) .

أغركم منى رجوعى إلى هجر فعما قليل سوف يأتيكم الخبر
إذا طلع المريخ من أرض بابل وقارنه كيوان فالحذر الحذر
فمن مبلغ أهل العراق رسالة بأنى أنا الموهوب فى البدو والحضر

ومنها :

فياويلهم من وقعة بعد وقعة تساقون سوق الشاة للذبح والبقر
سأصرف خيلى نحو مصر وبرقة إلى قيروان الترك والروم والخزر

ومنها :

أكيلهم بالسيف حتى أبيدهم فلا أبق منهم نسل أنثى ولا ذكر
أنا الداع المهدى لا شك غيره أنا الصارم الضرغام والفارس الذكر(٣)

* * *

حرص القرامطة طوال النصف الأول من القرن الرابع الهجرى على الاحتفاظ بعلاقتهم الودية مع الفاطميين ببلاد المغرب ، كما سمحوا لهم بالتدخل فى تعيين أمرائهم ، ذلك أنه لما توفى أبو طاهر سنة ٣٣٢ هـ عارض

(١) المقريزى . اتعاظ الحنفا ص ٢٤٤
(٢) حسن ابراهيم . تاريخ الإسلام السياسى ج٣ ص ٣٣٩
(٣) أبو المحاسن . النجوم الزاهرة ج٣ ص ٢٢٥-٢٢٦

بعض رجال دولته فى تولية أخيه الأكبر أحمد بن أبى سعيد الحسن — وكان أبو طاهر قد أوصى أن يخلفه فى الحكم — ومالوا إلى تولية سابور ابن أبى طاهر وكاتبوا الخليفة الفاطمى القائم فى ذلك . فجاءهم كتابه بولاية أحمد وأن يكون سابور ولى عهده(١) ، فنفذت رغبته وتقلد أحمد زمام الحكم فى دولة القرامطة فى بلاد البحرين ولقب بأبى المنصور ، وحذا حذو أخيه فى ولائه للفاطميين ، فأعاد الحجر الأسود من الأحساء إلى مكانه بالكعبة سنة ٣٣٩ هـ إجابة لطلب المنصور الفاطمى بعد أن ذهبت مجهودات الخلافة العباسية مع أبى طاهر بشأن استرداده هباء ، فقد رفض رده مقابل خمسين ألف دينار من الذهب(٢) ، وفى هذا دليل واضح على مدى خضوع القرامطة فى بلاد البحرين لسلطان الفاطميين .

ومما لا شك فيه أن قيام دولة القرامطة فى بلاد البحرين أثار فى وجه الخلافة العباسية كثيراً من المتاعب والمشاكل بجانب ماكانت تعانيه من ازدياد نفوذ الأتراك واستبداد البويهيين بالسلطة فى بغداد . وقد أدى انشغالها بصد غارات القرامطة عن أراضيها إلى ازدياد قوة الفاطميين فى بلاد المغرب ، كما مهد السبيل لفتح مصر ، فقد كانت غارات قرامطة البحرين على أراضى الدولة العباسية بالمشرق تتفق دائماً مع الحملات التى وجهها عبيد الله المهدى إلى مصر(٣) .

وكان لاتحاد القرامطة مع الفاطميين فى نشر آراء المذهب الإسماعيلى أكبر الأثر فى صعود نجم العلويين فى القرن الرابع الهجرى على حين بدأ

---

(١) ذكر De Goeje فى كتابه
Memoire sur Les Carmathes du Bahrain P. 146
أن المنصور بن القائم هو الذى أصدر قرار تعيين أحمد بن الحسن بدلا من سابور
(٢) ابن خلدون ، جـ٤ ص٨٩–٩٠
(٣) De Goeje. Mémoire sur Les carmathes du — Bahrain et Les Fatimides P. 69.

أمر العباسيين فى الضعف ، فبسط الفاطميون الذين يمثلون الخلافة العلوية سلطانهم على مصر وبلاد الشام وكثير من أرجاء جزيرة العرب . وكانت كل هذه البلاد تدين بالطاعة للعباسيين .

لم تتمتع دولة القرامطة فى بلاد البحرين بالهدوء والاستقرار فى النصف الثانى من القرن الرابع الهجرى ، فقد حدث نزاع بين أفراد أسرة أبى طاهر على العرش ، فقبض سابور بن أبى طاهر على عمه أحمد بن أبى سعيد الملقب بأبى المنصور سنة ٣٥٨هـ - وكان إذ ذاك يلى الحكم فى دولة القرامطة - غير أنه مالبث أن خرج من اعتقاله وقتل سابور ونفى أخوته وأشياعه إلى جزيرة أوال(١) ، وانقسم القرامطة بسبب ذلك إلى فريقين : أحدهما بزعامة بيت أبى طاهر ، وثانيهما بزعامة بيت أحمد بن أبى سعيد وعلى رأسه ابنه الحسن الملقب بالأعصم الذى آلت إليه إمارة بلاد البحرين بعد وفاة أبيه سنة ٣٥٩(٢) هـ .

اتبع الحسن بن أحمد سياسة جديدة إزاء الفاطميين تخالف سياسة من سبقه من أمراء القرامطة الذين كانوا يحرصون على استمرار العلاقات الودية بينهم وبين الخلفاء الفاطميين فى بلاد المغرب ويسمحون لهم بالتدخل فى تعيين أمرائهم ؛ فانتهز فرصة الخلاف الذى وقع بين أفراد أسرته بسبب التنافس على تقلد إمارة القرامطة وأبعد إخوة سابور بن أبى طاهر وأشياعهم - وهم الفريق الذى عرف بولائه للفاطميين - إلى جزيرة أوال(٣) ، حتى بلغ مااجتمع بها منهم نحوا من ثلثمائة ، كما لم يعترض أثناء وجوده بمكة على إقامة الخطبة للخليفة العباسى المطيع(٤) ، مما يدلنا على انحرافه عنهم . ولم يلبث

(١) جزيرة بناحية البحرين . ياقوت . معجم البلدان جـ٤ ص٣٦٥

(٢) حسن ابراهيم . تاريخ الإسلام السياسى جـ٣ ص٣٤٥

(٣) أوال . جزيرة بناحية بلاد البحرين . ياقوت . معجم البلدان . جـ١ ص ٣٦٥

(٤) ابن خلدون . العبر وديوان المبتدأ والخبر . جـ ٤ ص ٩٠

أن أصبح محاربا لهم ، بل راغبا رغبة أكيدة فى القضاء عليهم ؛ ذلك أنه بعد أن تم للجيش الفاطمى بقيادة جعفر بن فلاح الكتامى فتح دمشق سنة ٣٥٩ هـ طالب الحسن بن أحمد بالإتاوة التى كان يدفعها الأخشيديون للقرامطة(١) فرفض القائد الفاطمى أداءها إليه ، فأدى ذلك إلى عداء سافر بين الحسن بن أحمد القرمطى والفاطميين . ويعتقد جاستون فييت(٢) أن قطع الأتاوة كان عذراً وهمياً لقطع العلاقات بين القرامطة والفاطميين ؛ ويقول إنه من المحتمل أن يكون ذلك راجعاً إلى أن الفاطميين الذين ملكوا بلاداً غنية أرادوا القضاء على القرامطة حتى لا يذيعوا بين الناس أن الفاطميين من نسلهم ، وحتى لا يطمعوا فى سلب ما استحوذ عليه الفاطميون .

رأى الفاطميون - بعد أن تبدلت صلة المودة بينهم وبين قرامطة بلاد البحرين بتأثير السياسة التى سار عليها الحسن بن أحمد - أن يعملوا على إضعاف شأنهم بإثارة النزاع بينهم ؛ فأرسل المعز لدين الله الفاطمى إلى أبى طاهر وبنيه الذين أبعدوا إلى جزيرة أوال يخبرهم بأحقية ولد أبى طاهر فى إمارة القرامطة . فلما علم بذلك الحسن بن أحمد ، أمر بحذف اسم المعز من الخطبة فى بلاد البحرين وإقامة الدعوة للخليفة العباسى المطيع(٣) .

وكان الحسن بن أحمد يرى ضرورة استعادة سلطة القرامطة على بلاد الشام ، فبعث إلى كل من الخليفة العباسى وأمير بنى بويه ببغداد أن يمداه بالأموال والرجال لمعاونته على محاربة الفاطميين . واستطاع الحسن بن أحمد بفضل ما وصل إليه من الأمداد أن يزحف إلى بلاد الشام ؛ فاستولى على

---

(١) أغار القرامطة على بلاد الشام سنة ٣٥٧ هـ ، وعجز الأخشيد من صدهم ، واضطر الحسن بن عبد الله بن طغج الأخشيد وإلى هذه البلاد إلى الإتفاق معهم على أن يؤدى إليهم إتاوة سنوية قدرها ثلاثمائة ألف دينار .

(المقريزى . اتعاظ الحنفا . ص ٢٤٧-٢٤٨)

(٢) Histoire de La Nation Egyptienne, Vol IV p. 101-102

(٣) ابن خلدون . ج ٤ ص ٩٠

دمشق سنة ٣٦٠هـ وما زال يواصل فتوحه حتى تمكن من بسط سلطانه على كثير من مدن الشام . ولم يكتف بذلك ، بل ولى وجهه شطر مصر حتى لا يمارد الفاطميون مهاجمته من هـذه الناحية ، لكنه فشل فى المحاولتين اللتين قام بهما للاستيلاء على البلاد المصرية : الأولى فى ربيع الأول سنة ٣٦١هـ ، والثانية فى سنة ٣٦٣هـ. واضطر بعد عجزه عن الاستيلاء على القاهرة إلى التقهقر بجيوشه إلى دمشق ، ثم رحل مع بعض رجاله إلى الأحساء.(١) وأخذ الفاطميون يعملون على استرداد بلاد الشام ـ على ما سيأتى ـ .

* * *

قامت الخلافات الداخلية بين قرامطة بلاد البحرين بعد وفاة الحسن ابن أحمد سنة ٣٦٧ هـ ، كما أنهم أنكروا سياسته العدائية إزاء الفاطميين ومبايعته الخليفة العباسى ، وعمل أتباع أبى طاهر على إقصاء ولد أبى سعيد عن الإمارة ، ثم استقر الرأى على أن يتولى الحكم فى بلاد البحرين إثنان من سيادتهم وهما جعفر وإسحق(٢) ، فسارا على السياسة التى اتبعها امراء القرامطة قبل تولية الحسن بن أحمد من إقامة الدعوة الفاطمية ومحاربة بنى العباس (٣) .

عاد قرامطة بلاد البحرين بعد وفاة الحسن بن أحمد إلى القيام بحملات على أراضى الدولة العباسية ، فأغاروا على الكوفة سنة ٣٧٥ هـ وأدى ذلك إلى انزعاج أهلها لما عرف به القرامطة من شدة البأس وقوة الشكيمة حتى هابهم الناس ، فبعث إليهم صمصام الدولة أمير بنى بويه جيشاً أوقع بهم

(١) انظر المقريزى : اتعاظ الحنفا ، ص ٢٠٠ ؛ ابن الأثير : الكامل فى التاريخ جـ٨ ص ٢١١

(٢) ذكر (ابن الأثير جـ ٨ ص ٢٢٨) أنه تولى أمر القرامطة بعد وفاة الحسن بن أحمد ستة نفر اشتركوا جميعاً فى الحكم وسموا السادة .

(٣) ابن خلدون : جـ٤ ص ٩١

(٤) ابن الأثير . جـ ٩ ص ١٤ـ١٥ .

الهزيمة على نهر الفرات وتعقبهم إلى القادسية[١]، وبذلك تيسر للبويهيين إخراجهم نهائياً من بلاد العراق .

* * *

ضعف أمر القرامطة منذ أواخر القرن الرابع الهجري حتى لم يبق لهم إلا ولاية صغيرة على الشاطىء الشرقي للجزيرة العربية لا تستطيع قطع الطريق على الحجاج ، ولكن كان لها على باب البصرة ديوان صغير لأخذ الضرائب[٢].

كذلك أدى التنافس على الرياسة بين كل من جعفر وإسحق إلى التعجيل باضمحلال دولتهم فى بلاد البحرين وزوالها فى نهاية القرن الرابع الهجرى ؛ يقول ابن خلدون [٢] : « وافترق أمرهم وتلاشت دعوتهم إلى أن استولى الأصفر بن أبي الحسن الثعلبي سنة ٣٩٨ هـ عليهم وملك الأحساء من أيديهم وأذهب دولتهم وخطب للطائع واستقرت الدولة له ولبنيه » .

كان يقيم ببلاد البحرين بجانب القرامطة كثير من قبائل العرب ومن أشهرهم بنو تغلب وبنو عقيل وبنو سليم ، وكثيراً ما استنجد بهم القرامطة على أعدائهم واستعانوا بهم فى حروبهم ، وقد حدثت بينهم وبين هؤلاء العرب عدة منازعات أدت فى بعض الأحيان إلى اشتعال نار الحرب بين الفريقين .

كان بنو تغلب أكثر العرب المقيمين ببلاد البحرين عدداً ، وأظهرهم عزة ، فاستولى زعيمهم الأصفر بن أبي الحسن الثعلبي على تلك البلاد بعد

---

(١) المقدسى : أحسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم ص ١٣٤، الحضارة الإسلامية فى القرن الرابع الهجرى ، جـ٢ ص٦ .

(٢) العبر وديوان المبتدأ والخبر جـ٤ ص٩١ .

أن انحل أمر القرامطة وانقرض الملك من أسرة الجنابى ، ولكن الأمور لم تستقر فى بلاد البحرين بسبب المنازعات التى قامت بين القبائل العربية ، فقد استعان بنو ثعلب ببنى عقيل على بنى سليم وطردوهم من تلك البلاد ، فساروا إلى مصر ومنها رحلوا إلى افريقية ثم حدث خلاف بين بنى ثعلب وبنى عقيل انتهى الأمر فيه بخروج بنى عقيل إلى العراق فأقاموا لهم دولة بإقليم الجزيرة .

وقد نجح الأصفر زعيم بنى ثعلب فى جعل الحكم وراثياً فى بنيه من بعده ببلاد البحرين ، فظلوا يتولون الأمور فيها حتى ضعف أمرهم وانقرضوا وخلفهم فى حكم هذه البلاد بنو عقيل الذين عادوا إلى ديارهم ، بعد أن تغلب عليهم السلاجقة فى الجزيرة (١) . وقد ذكر أبو سعيد صاحب كتاب المغرب فى حلى المغرب أنه سأل أهـــل البحرين الذين قابلهم بالمدينة المنورة سنة ٦٥١ هـ عن بلادهم ، فقالوا : الملك فيها لبنى عامر بن عوف بن عامر ابن عقيل ، أما بنو ثعلب فأصبحوا من جملة رعاياهم .

---

(١) ابن خلدون : جـ٤ ص ٩١-٩٢

الباب الثالث

الدعوة الفاطمية في اليمامة وعمان

(أ) اليمامة

(ب) عمان

الباب الثالث

الدعوة الفاطمية فى اليمامة وعمان

(ا) اليمامة : كانت (١)اليمامة من بين ولايات جزيرة العرب التى تدين بالطاعة للعباسيين حتى منتصف القرن الثالث الهجرى حيث استولى عليها فى أيام المستعين بالله العباسى محمد الأخيضر بن يوسف بن إبراهيم بن موسى الجون بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن على بن أبى طـــالب ، واتخذ الخضرمة حاضرة له (٢). فأقام باليمامة دولة عـــلوية عرفت باسم دولة بنى الأخيضر ، استقل بها عن الخلافة العباسية التى بدأت مظاهر الضعف والانحلال تظهر عليها منذ ذلك الوقت بسبب ازدياد نفوذ الأتراك واستئثارهم بالسلطة دون الخلفاء .

لم يلق محمد الأخيضر عناء كبيراً فى إقامة دولته باليمامة ، واستطاع أن يوطد نفوذه فيها ويجعل الحكم وراثيا فى أبنائه من بعده ، وكان له من الأولاد محمد وإبراهيم وعبد الله ويوسف ، ولما توفى خلفه يوسف الذى أشرك معه ابنه إسماعيل فى إدارة شئون اليمامة طيلة حياته ، ثم انفرد إسماعيل بولاية اليمامة بعد وفاة أبيه .

وقد وجه كل من رستم بن الحسين بن حوشب وعلى بن فضل وهما من دعاة الإسماعيلية فى اليمن أنظارهما إلى اليمامة بسبب قيام دولة بنى الأخيضر

---

(١) يحدها من جهة الشرق بلاد البحرين ومن الغرب أطراف اليمن والحجاز . ومن الجنوب نجران ، ومن الشمال نجد والحجاز .

القلقشندى : صبح الأعشى جـ٥ ص٥٨ .

(٢) ابن حزم الأندلسى . جمهرة أنساب العرب ص٤١ .

العلوية بها ، واعتقدا أن أهلها سيرحبون بالدعوة الفاطمية ، لذلك بعثا إليها بالدعاة لنشر المذهب الإسماعيلي (١) ، كما بعثا دعاة آخرين لنفس هذا الغرض إلى بلاد البحرين والسند والهند ومصر والمغرب(٢).

لم يزل بنو الأخيضر يتولون الملك باليمامة حتى طمع قرامطة بلاد البحرين فى بسط سلطانهم على جزيرة العرب، فتغلبوا على اليمامة فى أوائل القرن الرابع الهجرى ، كما أخضعوا مكة وعمان لسلطانهم ، وبذلك زالت دولة بنى الأخيضر(٣) .

على أن نفوذ القرامطة فى اليمامة ما لبث أن ضعف بعد زوال دولتهم فى بلاد البحرين ، ولم يبذل خلفاء بنى العباس أى محاولة لاستعادة سلطانهم عليها ، فاستقل بإدارتها زعماء العرب المقيمين بها وعلى الأخص من قيس عيلان(٤) .

(ب) **عمان** : كانت عمان من بين الولايات الإسلامية بجزيرة العرب التى تدين بالطاعة للعباسيين فى أواخر القرن الثالث الهجرى . وقد تزعم الحكم فيها فى عهد الخليفة المعتضد بنو شامة بن لؤى بن غالب ، ففتح محمد بن القاسم الشامى عمان بمعاونة هذا الخليفة ثم وليها من قبله ، وأقام الخطبة فيها لبنى العباس ، ونجح فى جعل الحكم وراثيا فى أبنائه من بعده . على أن الضعف والانحلال مالبث أن أصاب إمارتهم بسبب الخلاف الذى

---

(١) عرف بذلك نسبة إلى إسماعيل بن جعفر الصادق . وكان أتباعه يعرفون بالإسماعيلية وهم فرقة من الشيعة تعتقد أن الإمامة انتقلت بعد النبى صلى الله عليه وسلم إلى على بن أبى طالب رضى الله عنه ، ثم إلى ابنه الحسن ثم إلى أخيه الحسين ثم تنقلت فى بنى الحسين إلى جعفر الصادق ، ويدعون أن الإمامة انتقلت من جعفر الصادق إلى ابنه إسماعيل ثم تنقلت فى بنيه (القلقشندى) صبح الأعشى ج ١ ص ١١٩ ـ ١٢٠)

(٢) المقريزى . اتعاظ الحنفا ص ٦٨

(٣) ابن خلدون ج ٤ ص ٩٨ ـ ٩٩

(٤) القلقشندى . صبح الأعشى ج ٥ ص ٦

قام بينهم سنة ٣٠٥ هـ ، فلحق بعضهم بالقرامطة فى بلاد البحرين وظل الاضطراب سائداً فى ولايتهم حتى تغلب عليها سنة ٣١٧ هـ أبو طاهر القرمطى ، وخطب بها لعبيد الله المهدى الخليفة الفاطمى ببلاد المغرب(١) ، وبذلك دخلت عمان فى حوزة دولة القرامطة ببلاد البحرين وصار ولاتها يعينون من قبلها .

لم يكن نفوذ القرامطة موطداً فى عمان ، فقد استقل بالحكم فيها يوسف ابن وجيه ، وحاول توسيع رقعة إمارته ، فسار على رأس حملة بحرية يريد البصرة ، وكاد يستولى عليها لولا ما حل بسفنه من جراء الحريق الذى دبره بعض أعوان بنى البريدى الذين استقلوا بالبصرة والأهواز وواسط فى عهد الخليفة المتقى . ومضى يوسف بن وجيه صاحب عمان هاربا فى أوائل سنة ٣٣٢ هـ(٢) . ولم يتمتع طويلا بالحكم بعد هذه الهزيمة ، فقد ثار فى وجهه مولاه نافع وتغلب عليه ثم تقلد زمام الأمور بدلا منه ، ودخل فى طاعة معز الدولة بن بويه وخطب له على المنابر وضرب اسمه على الدينار والدرهم (٣) .

انتهز القرامطة فرصة عدم استقرار الأمور فى عمان فتغلبوا عليها سنة ٣٥٤ هـ وهرب نافع منها بعد أن وثب به أهل عمان ، لكنهم لم يستأثروا بالنفوذ فيها ، فقد استقر رأى أهلها على أن يولوا عليهم عبد الوهاب بن أحمد بن مروان ، فولى إمارة عمان بعد أن كان ممتنعاً عن تقلدها ، واتخذ على بن أحمد كاتبا ــ وكان يكتب للقرامطة من قبل

بدأ الأمير عبد الوهاب عمله بمنح الجند أرزاقهم ، وكانوا طائفتين إحداهما من البيض والثانية من الزنج . فلما فرغ كاتبه على بن أحمد من

(١) ابن خلدون ، جـ ٤ ص ٩٣ .
(٢) ابن الأثير . جـ ٨ ص ١٣٠
(٣) ابن الأثير . جـ ٨ ص ١٨٦

توزيع المرتبات على البيض قال للزنج — وكانوا ستة آلاف رجل — إن الأمير عبد الوهاب أمر لكم بنصف ماوزع على البيض ، فامتعضوا لذلك وثاروا ضده ، لكنه ما لبث أن استمالهم إليه بقوله : « هل لكم أن تبايعوني فأعطيكم مثل سائر الأجناد ؟ » فأجابوه إلى ذلك وبايعوه ؛ فسواهم في العطاء مع البيض مما أدى إلى تذمر البيض وقيام الحرب بينهم وبين الزنج . فلما كانت الغلبة للزنج هدأت الفتنة في عمان واستقر على بن أحمد في إمارتها بعد عزل الأمير عبد الوهاب(١) .

رأى معز الدولة بن بويه أن الفرصة سانحة له للاستيلاء على عمان بعد ما وصل إليه من أنباء الفتن والاضطرابات التي ثارت فيها ، فسار من واسط إلى الأبلة وهناك أعد حملة بحرية لفتحها سنة ٣٥٥ هـ ، وأسند قيادتها إلى أبي الفتوح محمد بن العباس ، وطلب من عضد الدولة بفارس أن يمده بالعساكر فوافاهم المدد بسيراف(٢) ، ثم سارت المراكب حاملة الجند إلى عمان ، فتغلبوا عليها وأقيمت الخطبة فيها لمعز الدولة ؛ وتولى حكمها أبو الفرج بن العباس نائباً عنه(٣) .

لما توفى معز الدولة غادر عمان إلى بغداد نائبه أبو الفرج بن العباس ، وبعث إلى عضد الدولة يطلب منه أن يتسلمها ، فتولى أمرها عمر بن نهبان الطائي وأقام الدعوة لعضد الدولة ؛ غير أن الزنج مالبثوا أن تغلبوا على عمان ، ، وقتلوا ابن نهبان وولوا عليهم رجلا يعرف بابن حلاج ؛ فلما علم بذلك عضد الدولة أرسل إليهم جيشاً بقيادة أبي حرب طغان ، ودارت بينه وبين الزنج معركة حامية بصحار — قصبة عمان — انتهى الأمر فيها باستيلاء أبي حرب على هذه البلدة وانهزم أهلها سنة ٣٦٢ هـ .

(١) ابن الأثير ، جـ ٨ ص ١٨٦ — ١٨٧ ؛ ابن خلدون ، جـ٤ ص ٤٤٣ — ٤٤٤
(٢) سيراف . تقع على ساحل الخليج الفارسي (ياقوت ، معجم البلدان)
(٣) ابن خلدون . جـ٣ ص ٤٢٥ ؛ جـ٤ ، ص ٤٤٣ — ٤٤٣ ، ٤٥٠

على أن نفوذ عضد الدولة لم يتوطد رغم ذلك فى عمان ، فقد اجتمع بجبالها كثير من الخوارج وولوا ورد بن زياد أميراً عليهم ، كما جعلوا حفص بن راشد خليفة لهم ، واشتدت شوكتهم فبعث إليهم عضد الدولة حملة بقيادة المطهر بن عبد الله الذى تمكن - بعد أن نزلت جنوده بأرض عمان - من التغلب على الثائرين وأسر كثيراً من رؤسائهم . وظل يتتبعهم حتى أوقع بهم وقعة أتت على بقاياهم واضطر خليفتهم إلى مغادرة عمان والإقامة ببلاد اليمن ، وبذلك استقرت الأمور لعضد الدولة بعمان ودانت له بلادها بالطاعة(١).

كان بنو مكرم من وجوه عمان الذين استعان بهم البويهيون فى إدارة شئون دولتهم ، وتولى بعضهم الإمارة فى عمان وأقاموا الخطبة لبنى العباس. ولما ضعفت دولة بنى بويه ببغداد استبد بنو مكرم بالسلطة فى عمان وتوارثوا الحكم فيها . وكان منهم مؤيد الدولة أبو القاسم على بن ناصر الدولة الحسين ابن مكرم الذى ولى الإمارة سنة ٤١٨ هـ واستطاع بحسن إدارته ، وجوده وكرمه أن يجعل الحكم وراثياً فى أبنائه من بعده(٢).

ولما توفى الأمير أبو القاسم سنة ٤٢٧هـ خلفه ابنه أبو الجيش، فاستغل ضعفه قائد جنده على بن هطال، واستأثر بكثير من النفوذ وأوقع الفرقة بينه وبين أخيه المهذب الذى انتهى أمره باعتقاله وقتله ؛ ثم توفى بعد ذلك بقليل أبو الجيش ؛ فحاول على بن هطال أن يولى أخاه أبا محمد ، فأخفته أمه حتى لا تتيح له فرصة التخلص منه وطلبت إليه أن يتولى بنفسه إدارة عمان ، فرحب بذلك ؛ غير أنه ما لبث أن استبد بالسلطة وصادر التجار واستولى على كثير من أموال الأهالى .

---

(١) ابن الأثير ، جـ٨ ص٢١٣ - ٢١٤ ، ابن خلدون ، جـ٤ ص ٤٥٠

(٢) ابن خلدون ، جـ٤ ص ٩٣

ولما وصل إلى أبي كاليجار أمير بني بويه في العراق ما قام به علي بن هطال من الأعمال التي سببت تذمر أهالي عمان، عول على إقصائه عن الإمارة، فأمر وزيره العادل أبا منصور أن يكاتب المرتضى الذي كان نائبا لأبي القاسم بن مكرم بجبال عمان ويطلب إليه محاربة ابن هطال، كما جهز العساكر من البصرة لمساعدته؛ فسافر المرتضى إلى عمان وحاصرها وتمكن من الاستيلاء على أكبر أعمالها ودس لابن هطال من اغتاله؛ ثم بعث الوزير العادل أبو منصور رسولا من قبله إلى عمان ولى أبا محمد بن مكرم الإمارة سنة ٤٣١ هـ[1].

على أن أسرة بني مكرم ما لبثت أن ضعفت وزال ملكها بعمان وتولى أبو المظفر بن أبي كاليجار البويهي إمارة هذه البلاد، لكنه عجز عن إدارة شئونها بنفسه واستأثر بالسلطة خادم له، وأساء التصرف في الأموال مما أثار كراهة الأهالي وتذمرهم. ولما وقف ابن رشد — وكان من زعماء الخوارج المقيمين بجبال عمان — على ما وصلت إليه الحال في البلاد من جراء ضعف الأمير أبي المظفر واستبداد خادمه بالأمور دونه، دعا أتباعه وسار على رأسهم لمحاربة أبي المظفر؛ غير أن الهزيمة حلت بابن راشد والخوارج، فعادوا إلى محل إقامتهم. وأخذ ابن راشد يعد العدة ويحشد الجموع للتخلص من إمارة أبي المظفر. ولما تهيأ لمحاربته سار إليه وأعانه أهل البلاد بسبب كراهيتهم للديلم. وبذلك تيسر له الانتصار على أبي المظفر سنة ٤٤٢ هـ، وقبض على زمام الأمور في البلاد، فبدأ حكمه بالعمل على إقامة العدل، كما أسقط المكوس على جباية عشر ما يرد إلى الأهالي، وأمر بذكر اسمه في الخطبة وتلقب بالراشد بالله[2].

---

(١) ابن الأثير، ج ٩ ص ١٦١ — ١٦٢

(٢) ابن الأثير، ص ١٩٥، ابن خلدون، ج ٤ ص ٤٨٩ — ٤٩٠

لم تستقر الأمور فى عمان بعد أن ولى حكمها الخوارج ، كما تفككت عرى وحدتها ، فقامت فى بعض بلادها الواقعة على الخليج العباسى إمارة مستقلة تقلد زمام الحكم فيها زكريا بن عبد الملك الأزدى سنة ٤٤٨ هـ ، وكان الخوارج يدينون لأسرته بالطاعة(١). ومن ذلك يتبين انحلال النفوذ العباسى فى عمان وعجز بنى بويه عن الاحتفاظ بسيادتهم على هذه الإمارة كما أن السلاجقة الذين استبدوا بالسلطة فى بغداد فى منتصف القرن الخامس الهجرى شغلوا عنها بالعمل على توطيد نفوذهم فى العراق ومد سلطانهم على بلاد المشرق .

كانت الدولة الفاطمية فى مصر تراقب الاضطراب السائد فى عمان وتحرص على الإبقاء على دعوتها التى قام دعاتها بنشرها فى هذا القطر منذ أواخر القرن الثالث الهجرى ، فلما وصل إلى المستنصر بالله الفاطمى ضعف النفوذ العباسى فى عمان وثورة رجالها ضد الهيئة الحاكمة فيها ، بعث إلى المكرم أحمد الذى ولى الملك فى اليمن بعد وفاة أبيه على بن محمد الصليحى خطابا فى ربيع الثانى سنة ٤٦٩ هـ طلب إليه فيه القيام بإدارة شئون ولاية عمان والعمل على استتباب الأمن فيها رغم أنها لاتدخل فى نطاق دولته(٢) .

وفيما يلى بعض ما جاء فيه(٣) : « من عبد الله ووليه معد أبى تميم ، الإمام المستنصر بالله أمير المؤمنين ، إلى الملك الأجل ، والأوحد ، المنصور العادل المكرم ، عمدة الخلافة ... عظيم العرب ، سلطان أمير المؤمنين ... أبى الحسن أحمد . . . ، أما بعد : فإن أمير المؤمنين لما يعلمه من خلوص

(١) ابن خلدون جـ ٤ ص ٩٣

(٢) Bulletin School of Oriental Studies (Letters of Al— Mustansir Billah) 1934, Vol VII. Part 2. p. 322.

(٣) السجلات المستنصرية رقم ٥٤ ص ١٧٦ ــ ١٧٩

طاعتك وضميرك ، بحسن الطريقة فى سياستك وتدبيرك ... ، وإن آثارك فيما إليك من الأعمال مأثورة ، ومقاماتك فى نصرة الدين والإصابة بالدعوة العلوية معروفة مشهورة ... ، ولقد جدد السيد الأجل ، أمير الجيوش سيف الإسلام ، ناصر الإمام ، أبو النجم المستنصرى . . فى هذا الحين ذكرك بالحضرة ، وشيّد مالك لديها من الاصطفاء والأثرة . . . ، ولما انتهى إلى حضرة أمير المؤمنين حال (مدينة عمان) وما جرى فيها من الغلاء والفساد . . . ، والمروق عن أحكام الملة الدينية ... ، وقد كان غدق أمر الحرم المحروس وأعماله بولايتك ، ووكله إلى تدبيرك وسياستك ، بحكم كون الأعمال اليمنية والحجازية واحدة فى الاهتمام باحوالها ، ولقرب أعمالك من أعمالها . . . ، رأى أمير المؤمنين . . ، أن يضيف إلى ذلك وما يجرى فى نظرك ولاية مدينة عمان ، لكونها أيضاً لأعمالك مجاوره .. ، وخذ كافة الرجال والمستخدمين بوظائف الخدمة ، والمسارعة إلى كل مهمة ، وصيانة الأعمال الدائنية والقاصية ، وتثبيت قانون الخدمة ، فإن أمير المؤمنين باسط يدك فى جميعهم لتثبيت من ترتضى طريقته ، وتستبدل من ترى الصواب إلى الاستبدال به ، وأمير المؤمنين يشعرك ماطالع به حضرة الأمير مستخلص الدولة العلوية وعدتها : عبد الله بن على العلوى المستقر بالأحساء . . . ، وأنه اعتمد إقامة الدعوة العلوية ، وناضل كافة الأعداء من الخوارج . . ، وأصاب بالدعوة المستنصرية فى أرجائها . . ، واقتضى ذلك نفوذ السجل من حضرة أمير المؤمنين مضمناً إحماد خدمته . . . »

وكانت بلاد اليمن إذ ذاك تبعث إلى عمان والهند بالدعاة لنشر الدعوة الفاطمية ، كما أنه كان بهذين القطرين أنصار كثيرون يؤيدون المذهب الاسماعيلى الذى تحرص الدولة الفاطمية على نشره ؛ فلما ورد إلى المستنصر عدة خطابات منهم تتضمن وفاة دعاته ورغبتهم فى أن يزود بلادهم بدعاة غيرهم ، بعث إلى المكرم أحمد كتابا فى ربيع الأول سنة ٤٧٦ ﻫ أخبره

بموافقته على تعيين مرزبان بن إسحق داعياً بالهند ، وإسماعيل بن إبراهيم بن جابر داعيا بعمان .

ويتجلى لنا حرص الخليفة الفاطمى على تعيين الدعاة بهذين القطرين من قوله(١) : « . . . فأما ماذكرته من أمر الدعوة الهادية بالهنــد وجزائرها ، وعمان وعملها ، وفقد المتوالين لها . . . ووردت مكاتبات إلى أمير المؤمنين من هناك يلتمسون استخدام من يجمع شملهم ويثقفون به ـ بعد من فقدوه ـ ميلهم ، وسؤالك تقليد الرئيس : مرزبان بن إسحق بن مرزبان الهند وجزائرها ، واسماعيل بن ابراهيم بن جابر عمان وعملها ، لما وصفته من ديانتهما وحميد أثرهما ومذهبهما ، فقد وقف أمير المؤمنين على ماشرحته ، وتقدم بإصدار ملطفين عن حضرته الى المذكورين بتقليدهما ، من مجلس السيد الأجل ، أمير الجيوش ، وجميع ذلك واصل بإذن الله بوصول هذه الإجابة ... »

كما أرسل المستنصر فى أواخر سنة ٤٨١هـ خطابا إلى السيدة الحرة التى آل إليها الملك ببلاد اليمن أخبرها بموافقته على تعيين أحمد بن مرزبان داعيا بالهند بعد وفاة والده ، وأبدى ارتياحه لاختيارها حمزة بن سبط حميد الدين ليقوم بمعاونة الداعى أحمد فى نشر الدعوة الفاطمية ببلاد الهند ونوه المستنصر فى خطابه بثقته فى المجهودات التى تقوم بها السيدة الحرة فى سبيل نشر الدعوة له فى كل من بلاد اليمن وعمان والهند(٢) .

ومما ورد فيه(٣) : « من عبد الله ووليه : معد أبى تميم الإمام المستنصر بالله ، أمير المؤمنين إلى الحرة الملكة السيدة . السديدة . الخلصة . . ولية أمير المؤمنين . . أدام الله تمكينها ونعمتها . . أما بعد : فإنه عرض بحضرة أمير المؤمنين كتابك المضمن وفاة داعيه بالهند : غرس الدين ، ولى أمير

---

(١) السجلات المستنصرية رقم ٦٣ ص ٢٠٥

(٢) (B. S. O. S.). 1934. Vol. VII Part 2, P.321, 324

(٣) السجلات المستنصرية رقم ٥٠ ص ١٦٧ ـ ١٦٩

المؤمنين ، مرزبان ، وأنه خلف ولدين ذوى دين وتقية واستصلاح للخدمة ، وأن المومأ إليه منهما أحمد الأكبر لتمييزه وحميد طريقته . . . ثم شفعت ذلك بما اعتمده اسماعيل بن ابراهيم الداعى بعمان من التخلى عن الخدمة . . . ، وأن سبط حميد الدين خلف ولداً يسمى حمزة يصلح للاستخدام عوض المذكور . . . وأحمد الله تنبيهك على هذه المصالح وتفقدك أحوال الدعوة والدعاة فى (تلك) الأطراف والنواحى . . . وأوعز أمير المؤمنين إلى فتاه السيد الأجل ، امير جيوشه . . بإصدار التقليدين عن مجلس نظره باسم كل من الداعيين المذكورين . . . ، وانت قد جعل اليك امير المؤمنين النظر فى تلك البلاد والأعمال ومراعاة دعاتها وانتظام حال الدعوة فيها . . . »

يتضح لنا مما تقدم الى أى حد عنيت الخلافة الفاطمية بنشر دعوتها فى عمان وكيف أصبح لهذه الدعوة أنصار كثيرون بتلك الولاية . ولاشك أن الدولة الفاطمية كانت ترمى من وراء بث الدعوة بعمان إلى تحقيق سياستها فى بسط سلطانها على إقطار جزيرة العرب ليتيسر لها بذلك إضعاف الخلافة العباسية والقضاء عليها .

الباب الرابع

النفوذ الفاطمي في بلاد اليمن

تمهيد : بلاد اليمن فى أواخر عهد ولاة العباسيين

١- جهود دعاة الإسماعيلية فى نشر الدعوة الفاطمية باليمن

٢- موقف أمراء الصليحيين من الخلفاء الفاطميين

الباب الرابع

النفوذ الفاطمى فى بلاد اليمن

تمهيد : بلاد اليمن فى أواخر عهد ولاة العباسيين

دخلت بلاد اليمن فى حوزة العباسيين بعد أن انتقلت إليهم الخلافة وصار الولاة يتعاقبون عليها من قبلهم ، واتخذوا صنعاء حاضرة لهم ؛ غير أن الأمور لم تستقر استقراراً تاماً فى هــذه البلاد ، فلما بلغ المأمون اضطراب الأمن فيها وذيوع الدعوة الشيعية بين أهلها ، عول على أن يختار لولايتها رجلا يستطيع أن يقضى على عوامل الفساد فيها ؛ فأشار عليه الحسن ابن سهل بأن يسند إلى محمد بن إبراهيم الزيادى ولاية اليمن ؛ فولاه عليها سنة ٢٠٣ هـ ولم يمض عام واحد على هـذا الوالى حتى اختط مدينة زبيد واتخذها حاضرة له(١)، وأخذ منذ ذلك الوقت يوطد نفوذه فى جميع أرجاء بلاد اليمن ، فدخلت فى طاعتـه حضرموت والشحر وديار كندة ولحج والتهايم(٢) ؛ وما زال نفوذه فى ازدياد حتى أصبح فى مقام الملوك المستقلين لكنه مع ذلك احتفظ بولائه للخلافة العباسية وصار يقيم الخطبة لبنى العباس ويرسل إليهم الخراج والهدايا كل عام(٣) .

نجح محمد بن إبراهيم الزيادى فى جعل ولاية اليمن وراثية فى أبنائه تدين بالطاعة للعباسيين ، فلما توفى سنة ٢٤٥ هـ خلفه ابنه إبراهيم ، ثم تولى بعده ابنه زياد ؛ غير أن هـذا الوالى لم يمكث طويلا فى الحكم وأعقبه فى ولاية اليمن ابنه أبو الجيش اسحق ، فظل يلى أمورها حتى بلغ الثمانين من عمره .

---

(١) عمارة اليمنى : تاريخ اليمن ص ٣ .

(٢) ابن خلدون : جـ ٤ ص ٢١٢ .

(٣) عمارة اليمنى : تاريخ اليمن ص ٤

أخذت الدولة الزيادية فى بلاد اليمن فى الاضمحلال، فى أواخر عهد الأمير أبى الجيش إبراهيم، فخرج بصنعاء أسعد بن أبى يعفر، وثار بصعدة يحيى بن القاسم الرسى الملقب بالهادى(١)، وكان يدعو للزيدية - أتباع زيد ابن على زين العابدين -، ولما عظم نفوذه وكثر أنصاره زحف على صنعاء، فاستولى عليها من يد أسعد بن يعفر، غير أن بنى أسعد مالبثوا أن استردوها منه، فعاد إلى صعدة وأسس فيها دولة بنى الرسى. وهكذا أصبح فى بلاد اليمن ثلاث دويلات: إحداها فى زبيد، والثانية فى صنعاء، والثالثة فى صعدة (٢).

(١) ورد نسبه فى جمهرة أنساب العرب لابن حزم ص ٣٨ على الوجه الآتى:
يحيى بن الحسين بن القاسم الرسى بن إبراهيم طباطبا بن إسماعيل بن ابراهيم بن الحسن ابن على بن أبى طالب.
Kay, Yamen, Its Early Mediaeval History p. 242
(٢) صعدة: بلدة على ستين فرسخاً من صنعاء «القلقشندى: صبح الأعشى جـ٥ ص٤٢».

١ — جهود دعاة الإسماعيلية فى نشر الدعوة الفاطمية باليمن

كان لضعف الدولة الزيادية أثر كبير فى نجاح الدعوة الفاطمية فى بلاد اليمن ففى الوقت الذى تفككت فيه عرى وحدة هذه الدولة بعث محمد الحبيب إمام الإسماعيلية بسلمية(١) كلا من على بن الفضل اليمانى وأبى القاسم رستم بن الحسين بن فرج بن حوشب الكوفى إلى تلك البلاد لينشر الدعوة للمهدى من آل محمد ، فلما وصلا إلى اليمن سنة ٢٦٨ هـ(٢) أخذا فى بث دعوتهما . ثم بنى ابن حوشب حصناً بجبل لاعة وأعد جيشاً زحف به على صنعاء وأخرج منها بنى يعفر ، كما بعث الدعاة إلى جميع أرجاء اليمن فنشروا الدعوة الإسماعيلية بين أهلها ، وتمكن بمعاونتهم من التغلب على كثير من بلادها(٣) .

لما رأى ابن حوشب الذى عرف بمنصور اليمن أن دعوته إلى المهدى لقيت قبولا لدى كثير من أهالى بلاد اليمن كتب إلى محمد الحبيب وابنه عبيد الله بسلمية يخبرهما بما فتح من البلاد ، كما بعث إليهما بالأموال والهدايا ، فسرهما ذلك(٤) .

على أن محمد الحبيب لم يكتف بنجاح تلك الدعوة فى بلاد اليمن بل حرص أيضاً على نشرها فى بلاد المغرب ، فأرسل أبا عبد الله الحسين بن أحمد بن محمد بن زكريا المعروف بالشيعى إلى ابن حوشب وأمره بالدخول فى طاعته والاقتداء بسيرته ، على أن يرحل بعد ذلك إلى المغرب لينشر بها الدعوة الإسماعيلية . فقدم أبو عبد الله على ابن حوشب وصار من كبار

---

(١) بلدة من أعمال حماه وكانت تعد من أعمال حمص . ياقوت : معجم البلدان .

(٢) Kay, Yamen. Its Early Mediaeval History p 225

(٣) ابن خلدون : ج ٤ ص ٣٠ — ٣١ ، المقريزى : اتعاظ الحنفا ص ٦٧ — ٦٨

(٤) الحمادى اليمانى : أسرار الباطنية وأخبار القرامطة ص ٢٧ — ٢٨ .

أصحابه. ولما اتصل بابن حوشب نبأ وفاة الداعيين أبى سفيان والحلوانى فى بلاد المغرب، عهد إلى أبى عبد الله الشيعى بالقيام بالدعوة إلى المهدى فى تلك البلاد. فخرج أبو عبد الله إلى مكة، ثم رحل منها قاصداً بلاد المغرب، وأخذ ينشر بين أهلها الدعوة الإسماعيلية ويتحدث إليهم عن قرب ظهور المهدى من آل على بن أبى طالب وظـــل أبو عبد الله موالياً للإمام محمد الحبيب يرسل إليه رسله وهداياه(١).

كان محمد الحبيب قد عهد لابنه عبيد الله بالإمامة من بعده وقال له: «إنك ستهاجر بعدى هجرة وتلقى محناً شديدة»، فلما توفى خلفه فى إمامة الإسماعيلية، فواصل القيام بنشر الدعوة لنفسه. وبذل الأموال الكثيرة فى سبيل نجاحها.

كان دعاة الإسماعيلية فى اليمن إذ ذاك يعتقدون أن دولة المهدى ستظهر فى بلادهم، كما حرص رؤساؤهم على أن يكون قيامها على أيديهم، وكذلك كانت الحال بالنسبة لدعاة الإسماعيلية فى بلاد المغرب، فكانوا يرجون قدوم المهدى إليهم لإقامة دولته المنشودة. فأرسل كبيرهم أبو عبد الله الشيعى إلى عبيـد الله وهو بسلمية وفداً من رجال كتامة يدعوه للقدوم إلى بلاد المغرب. يقول المقريزى (٢): «وسير أبو عبد الله إلى عبيد الله بن محمد رجالا من كتامة ليخبروه بما فتح له وأنه ينتظره، فوافوا عبيد الله بسلمية من أرض حمص».

كان الخليفة المكتفى العباسى فى ذلك الوقت قد وصله خبر ذيوع الدعوة الإسماعيلية فى بلاد اليمن والمغرب فعهد إلى بعض رجاله بتعقب حركات عبيد الله والقبض عليه(٣). فخرج عبيد الله هارباً من سلمية بعد

---

(١) ابن الأثير: ج ٨ ص ١٠ — ١١، المقريزى: اتعاظ الحنفا ص ٦٨ — ٦٩، ٧٤ — ٧٧ (٢) المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار ج ٢ ص ١١.
(٣) ابن خلدون ج ٤ ص ٢٣

مقابلته وفد كتامة ووقوفه على مدى نجاح دعوته في بلاد المغرب ، وأخبر بعض أتباعه بأنه سيقصد اليمن . يقول جعفر الحاجب الذي صحبه عند رحيله من سلمية : «وأمرنا المهدي بالأخذ في أهبة السفر والخروج معه وأظهر لنا أنه يريد اليمن »(١).

على أن عبيد الله المهدي لم يكن راغباً رغبة أكيدة في إقامة دولته ببلاد اليمن بل أزمع الرحيل إلى بلاد المغرب منذ خرج من سلمية تلبية للدعوة التي وجهها إليه داعيته أبو عبد الله الشيعي. يؤيد ذلك ماقاله ابن الأثير(٢): «وشاع خبره عند الناس أيام المكتفي، فطلب وهرب هو وولده أبو القاسم نزار ، وخرج معه خاصته ومواليه يريد المغرب» . وفضلا عن ذلك فإن عبيد الله المهدي كان حريصاً على تحقيق رغبة أبيه في إقامة دولته بالمغرب؛ فقال له حين بلغه نجاح ابن حوشب في نشر الدعوة إلى المهدي في اليمن : «هذه دولتك قد قامت ، لكن لا أحب ظهورها إلا من المغرب(٣)» .

ومما لا شك فيه أن عبيد الله المهدي كان يحرص ألا يقع في قبضة العباسيين الذين بثوا رجالهم لاستقصاء أخباره ، لذلك عول على إخفاء حقيقة الجهة التي سيقصدها ، وقال لبعض أتباعه إنه سيذهب إلى اليمن رغبة منه في ألا تصل أخبار هـــربه إلى العباسيين الذين كانوا إذ ذاك يبذلون قصارى جهدهم للقضاء عليه .

أما ماذكره ابن خلدون(٤) والمقريزي(٥) عن توجه عبيد الله المهدي إلى المغرب وعدوله عن إقامة دولته في بلاد اليمن بسبب ما بلغه عن انحراف علي بن الفضل عن الدعوة الإسماعيلية وإساءته السيرة في بلاد اليمن

(١) اليماني : سيرة جعفر الحاجب ص ١١٠ «مجلة الآداب ديسمبر ١٩٣٦» .
(٢) الكامل في التاريخ : جـ ٨ ص ١٢ (٣) البهاء الجندي : أخبار القرامطة باليمن المنقول من كتاب السلوك في طبقات العلماء والملوك ص ٤٢ .
(٤) جـ ٤ ص ٦٩ (٥) اتعاظ الحنفا ص ٦

بما نشره من آراء أفسدت عقول فريق من أهلها . فلا يستند إلى أدلة صحيحة، لأن المتتبع لرحلة المهدى من سلمية إلى مصر، ثم إلى بلاد المغرب يتضح له أنه لم يفكر فى الذهاب إلى بلاد اليمن ، كما أن مناهضة على بن الفضل للدعوة الإسماعيلية لم تظهر إلا بعد أن استقر الأمر لعبيد الله المهدى فى بلاد المغرب ، ولو أن عبيد الله المهدى كان حريصاً على إقامة دولته فى بلاد اليمن لما ثناه عن ذلك خروج على بن الفضل على دعوته لأن داعيه ابن حوشب ظل مواليا له وصار له أنصار كثيرون بين أهالى بلاد اليمن يرحبون بقدوم المهدى إليهم ويعتقدون بصحة إمامته ، فإذا ما قصد بلادهم دخل الجميع فى طاعته والتفوا حوله .

كان عبيد الله المهدى يصحب عند خروجه من سلمية داعى دعاته فيروز ، فلما وصل إلى مصر وشرع فى الرحيل منها إلى المغرب شق ذلك على فيروز ، وتخلف عن السير معه ، ومضى إلى اليمن حيث استقبله ابن حوشب بمظاهر الحفاوة والاحترام ، لما كان يتمتع به من مكانة خاصة عند المهدى. وقد تحدث فيروز عن مهمته فى بلاد اليمن ، فقال : إن الإمام بعث به مشرفا عليه إلى أن يقوم من المغرب بجنده إلى مصر ويكتب إليه ليمده بالعساكر من أهل اليمن (١) .

على أن ابن حوشب مالبث أن وقف على الأسباب التى حملت فيروز على القدوم إلى اليمن حين وصله كتاب من المهدى مقرونا بكتاب الداعى أبى على — صهر فيروز — الذى كان إذ ذاك يقوم بنشر الدعوة الفاطمية فى مصر . وقد تضمن هذان الكتابان كيف انصرف فيروز عن المهدى ورحل إلى اليمن مغاضبا له . وكان المهدى يخشى عاقبة خروج فيروز عليه ، لذلك أمر ابن حوشب فى كتابه بالعمل على التخلص منه .

---

(١) اليمانى : سيرة جعفر الحاجب ، مجلة كلية الآداب — ديسمبر ١٩٣٦ ، ص ١١٤ — ١١٥ .

لما وصل إلى فيروز ما تضمنه الكتاب الذى بعثه المهدى إلى ابن حوشب ولى هاربا . ولم يزل ابن حوشب يتابع البحث عنه حتى بلغه خبر اتصاله بعلى بن الفضل ، وأنه فتنه عن الدعوة الإسماعيلية ودعاه إلى نفسه ، فخرج إليهما وحاربهما مدة طويلة(١) .

كانت الدعوة الإسماعيلية فى بلاد اليمن فى حاجة إلى توحيد جهود كل من ابن حوشب وعلى بن الفضل فى سبيل نشرها ، لكن على بن الفضل لم يتعاون مع ابن حوشب تعاونا صادقا لتحقيق هذه الغاية ، بل كثيراً ما استقل عنه فى نشر تلك الدعوة .

كذلك لم يكن على بن الفضل مخلصا فى ولائه لعبيد الله المهدى ، فوقع تحت تأثير فيروز الذى أغراه بقبول دعوته ، كما طمع فى الاستقلال ببلاد اليمن بعد أن استقرت له الأمور فى كثير من أرجائها ، وخلع طاعة عبيد الله المهدى الخليفة الفاطمى فى بلاد المغرب ، فبعث إليه ابن حوشب رسالة يعاتبه فيها ويذكره بما كان من رعاية محمد الحبيب لهما ، وقيامه بأمرهما وقال له : « كيف تخلع طاعة من لم تنل خيراً إلا به ، وتترك الدعاء له ؟ أو ما تذكر ما بينك وبينه من المواثيق والعهود(٢) » ؛ فلم يعبأ ابن الفضل بقوله وكتب إليه : « إنما هذه الدنيا شاة ومن ظفر بها افترسها(٣) » .

لم يكتف ابن الفضل بخروجه على عبيد الله المهدى . بل ثار أيضا على ابن حوشب طمعاً فى استخلاص بلاد اليمن لنفسه ، فأعد جيشا كبيراً لمحاربته ؛ ودار بين الفريقين قتال عنيف . ولما اشتدت وطأته على ابن حوشب ، أرسل إلى على بن الفضل فى طلب الصلح ، فاشترط أن يبعث إليه أحد أبنائه ليكون ذلك دليلا على دخوله فى طاعته . فأجابه ابن حوشب

---

(١) اليمانى : سيرة جعفر الحاجب ص ١١٥

(٢) ابن المؤيد اليمنى : أنباء الزمن فى أخبار اليمن ورقة ٣١

(٣) الحمادى اليمنى : أسرار الباطنية وأخبار القرامطة ص ٣٣

إلى طلبه وأرسل إليه ولده ، فأبقاه ابن الفضل عنده سنة ثم رده إليه[١] .

لم يؤد هذا الصلح إلى عودة الوفاق بين ابن حوشب وعلى بن الفضل سيرته الأولى ، بل ظل كل منهما يعمل مستقلا عن الآخر ، مما ساعد على إضعاف الدعوة الإسماعيلية فى بلاد اليمن ، كما أن عبيد الله المهدى رغم حرصه على بسط سيادته على تلك البلاد لم يوجه اهتمامه إلى وضع حد لهذا النزاع الذى قام بين ابن حوشب وعلى بن الفضل ، بل تركهما وشأنهما . ولعل انشغاله بتوطيد دعائم خلافته فى بلاد المغرب هو الذى حمله على الانصراف عنهما .

ظل ابن حوشب حريصاً على ولائه لعبيد الله المهدى حتى توفى سنة ٣٠٢ هـ . أما على بن الفضل فإنه منذ خلع طاعة عبيد الله المهدى لم يعدل عن خطته فى العمل على الاستئثار بالنفوذ فى بلاد اليمن مما أثار ضده السنيين وأنصار المهدى ، ولم يتمكن فى النهاية من التغلب على هذين الفريقين والانفراد بالزعامة فى بلاد اليمن ، وبذلك لم تتحقق مطامعه ، بل فشل فى تكوين حزب قوى يكون عوناً له على نشر دعوته . فلما توفى سنة ٣٠٣ هـ لم يجد ابنه الذى ولى الأمر من بعده أنصاراً أقوياء يدرءون عنه خطر السنيين فى بلاد اليمن ، فتعرض لهجومهم ، ووقع إخوته أسرى فى أيديهم ، وما زالوا يتتبعون أعوانه حتى قضوا عليهم[٢] .

ظل للدعوة الإسماعيلية فى بلاد اليمن أنصار كثيرون بفضل ما بذله ابن حوشب من مجهود فى سبيل نشرها . وبلغ من اهتمامه بأمرها أن أوصى قبيل وفاته سنة ٣٠٢ هـ كلا من ابنه أبى الحسن وتابعه عبد الله بن عباس الشاورى بأن يستمرا فى إقامة الدعوة لعبيد الله المهدى وأهل بيته ، وقال فى وصيته : « قد أوصيتكما بمبدأ الأمر فاحفظاه ولا تقطعا دعوة بنى

(١) الحمادى اليمانى : أسرار الباطنية وأخبار القرامطة ٣٥ — ٣٦

(٢) الحمادى اليمانى أسرار الباطنية وأخبار القرامطة ص ٣٦ — ٣٩

عبيـد . . فنحن غرس من غرسهم ، ولولا ناموسهم وما دعونا به إليهم ما صار إلينا من الملك ما قد نلناه . ولا تم لنا فى الرياسة حال فعليكما بمكاتبة القائم منهم واستيراد الأمر منهم ، وأوصيكما بطاعة المهدى . . . حتى يرد أمره بولاية أحدكما ويكون كل واحد منكما عوناً لصاحبه(١) » .

كان عبد الله بن عباس الشاورى يطمع فى الاستقلال بأمر الدعوة فى بلاد اليمن ، فكتب إلى عبيد الله المهدى الخليفة الفاطمى ببلاد المغرب يخبره بوفاة ابن حوشب ، كما أبلغه أنه يقوم بأمر الدعوة له وسأله الولاية وعزل ولد ابن حوشب(٢) . ولما كان أبو الحسن ولد ابن حوشب يرى أحقيته فى أن يخلف أباه فى القيام بأمر تلك الدعوة ، لذلك رحل إلى بلاد المغرب ، حيث قابل المهدى وطلب منــــه أن يقلده محل أبيه ، ورجاه ألا ينزع هـذا الأمر من إخوته ؛ غير أن المهدى لم يجبه إلى طلبه لأنه أقر قبيل قدومه عليه عبد الله بن عباس الشاورى فى القيام بأمر دعوته ، فعاد أبو الحسن إلى بلاد اليمن دون أن تتحقق رغبته(٣) .

وليس من شك فى أن عبيد الله المهدى أثبت بتدخله فى تولية عبد الله ابن عباس الشاورى أمر الدعوة الفاطميـة فى بلاد اليمن وإقصائه أولاد ابن حوشب عنها ما كان يتمتع به من نفوذ فى بلاد اليمن ، كما أنه حرص على اختيار من يثق به ليكون عوناً له على نشر دعوته فى تلك البلاد وخاصة بعد أن ضعف أمرها من جراء النزاع الذى قام بين كل من على بن الفضل وابن حوشب .

على أن تولية عبـد الله بن عباس الشاورى أمر الدعوة الفاطمية فى اليمن لم تلق ارتياحا من نفس أبى الحسن ولد ابن حوشب على الرغم مما

(١) الحمادى اليمانى ، أسرار الباطنية وأخبار القرامطة ص ٣٩

(٢) البهاء الجندى : أخبار القرامطة باليمن المنقول من كتاب السلوك فى طبقات الولى والملوك ص ١٥٠ (٣) الحمادى اليمانى : أسرار الباطنية وأخبار القرامطة ص ٤٠

أظهره ابن عباس الشاورى من شعور طيب نحوه ونحو أخويه جعفر وأبى الفضل وإكرامه إياهم وترحيبه بمقابلتهم فى أى وقت شاءوا دون أن يعترضهم حجابه(١).

وقد أدى حرمان أبى الحسن من رياسة الدعوة الفاطمية فى بلاد اليمن إلى إضماره السوء والعداوة لابن عباس الشاورى الذى قبح رأيه وزجره وقال له: «أنت تعلم أنه غرس أبينا وأنه لايقدم علينا سوانا فى هذا الأمر فأجابه بقوله: «والله لا تركته يتنعم فى ملك عنى به غيره، ونحن أحق به منه». فقال له أخوه جعفر: «إن أمرنا إذن يتلاشى ويزول ملكنا وتفترق هذه الدعوة ويذهب الناموس الذى نمسناه(٢) على الناس، فلا تحدث نفسك بهلاكه فتهلك»؛ فلم يلتفت أبو الحسن إلى قول أخيه جعفر وعول على التخلص من ابن عباس، وما لبث أن قتله غدراً وولى الأمر من بعده(٣).

لم يعمل أبو الحسن بعد أن تقلد ما كان يليه أبوه ابن حوشب على نشر الدعوة الفاطمية، بل انقلب معاديا لها، حريصا على القضاء عليها بعد أن كان من أنصارها، فارتد عن المذهب الإسماعيلى واعتنق مذهب أهل السنة، وجمع العشائر وأشهدهم أنه رجع عما كان عليه أبوه، فأحبه الناس ودانوا له بالطاعة(٤).

كان الخروج أبى الحسن على الدعوة الفاطمية أسوأ الأثر فى نفس

---

(١) البهاء الجندى: أخبار القرامطة باليمن المنقول من كتاب السلوك وطبقات الموالى والملوك ص ١٥١ (٢) نمس السر: كتمه، ونمس بين القوم أفسد وأغرى (حسن إبراهيم وطه شرف: كتاب عبيد الله المهدى حاشية رقم ٢ ص ٢٣٨).

(٣) الحمادى اليمانى: أسرار الباطنية وأخبار القرامطة ص ٤٠

(٤) البهاء الجندى: أخبار القرامطة باليمن المنقول من كتاب السلوك فى طبقات الموالى والملوك ص ١٥١

أخيه جعفر الذى عارضه فى سياسته وقبح رأيه وقال له : « قطعت يدك بيدك » ، فلم يكترث بقوله ، وخرج جعفر من بلاد اليمن مغاضباً له وقصد بلاد المغرب رغبة منه فى الاتصال بعبيد الله المهدى وإخباره بمناهضة أخيه للدعوة الفاطمية ، فوجده قد توفى وخلفه ابنه القـــائم سنة ٣٢٢ هـ ، فأقام عنده .

مضى أبو الحسن فى سياسته التى اختطها لنفسه والتى كان من أثرها أن فرقت بينه وبين أخيه جعفر ، دون أن ينظر إلى عاقبتها الوخيمة عليه ، فأخذ يتتبع أنصار أبيه من الإسماعيلية تتبعاً مقروناً بالشدة والعسف ، أدى إلى تفرقهم وقتل الكثيرين منهم ، غير أن بعض الإسماعيلية فى اليمن استطاعوا النجاة من اضطهاده كما حرصوا على كتمان أمرهم حتى لا يتعرضوا لإيذائه وولوا عليهم رجلا منهم — وكان لا ينقطع عن مكاتبة الخليفة الفاطمى ببلاد المغرب —[1] مما يثبت لنا أن الدعوة الفاطمية لم يقض عليها فى بلاد اليمن ، وأنه لم يزل لها أنصار يرجون سيادتها على الرغم مما لاقوه من عنت واضطهاد .

لم يجن أبو الحسن ثمرة مناهضة الدعوة الإسماعيلية وخروجه على طاعة الخلافة الفاطمية ، فإنه فضلا عن انقسام أهل بيته وما ترتب عليه من انصراف كثير من أنصاره عنه ، لم يلق من أنصاره الجدد من السنيين تأييداً يكون عوناً له على نجاح هذا الانقلاب الذى أحدثه ، بل شكوا فى إخلاصه رغم ارتداده عن المذهب الإسماعيلى ، وتآمروا عليه وقتلوه وتتبع السنيون من أهالى بلاد اليمن الغربية أولاده وحريمه ، فقتلوا الصغير منهم والكبير وسبوا حريمهم ، وبذلك قضوا على أسرة ابن حوشب(٢).

---

(١) الحمادى اليمانى : أسرار الباطنية وأخبار القرامطة ص ٤٠

(٢) الحمادى اليمانى : أسرار الباطنية وأخبار القرامطة ص ٤١

لما توفى أبو الحسن ، طمع ابراهيم بن عبد الحميد الشيعى — وكان من كبار الإسماعيلية فى بلاد اليمن — فى أن يتقلد ما كان يليه من البلاد ، فأعلن ارتداده عن المذهب الإسماعيلى وأقام الخطبة لبنى العباس(١). ولم يزل يتبع الإسماعيلية ويقتلهم حتى قضى على الكثيرين منهم ، وما لبث أن اجتمع شمل الفريق الذى نجا من هذا الاضطهاد بناحية جبل مسور جنوبى صنعاء تحت زعامة ابن الطفيل(٢). ولما وصل إلى إبراهيم بن عبد الحميد الشيعى نبأ تزعمه الإسماعيلية باليمن خرج إليه وقتله ، فتفرق من بقى من أصحابه وقصدت جماعة منهم نواحى عمان (٣).

اتخذت طائفة الاسماعيلية باليمن بعد وفاة ابن الطفيل ، ابن رحيم رئيساً لها ويعرف أيضا بابن جفتم (٤) ، وكان كثير التنقل ، لا يستقر فى موضع واحد خوفا من تعقب السنيين له — ولم يصرفه ذلك عن مكاتبة الخليفة المعز لدين الله الفاطمى منذ قدم من بلاد المغرب إلى مصر ، واتخذ القاهرة حاضرة له ، وأظهر له فى كتبه دخوله فى طاعته ، كما حرص على أن ينهى إليه وإلى الخليفة العزيز بالله الفاطمى من بعده أخبار أهل اليمن (٥) . ولم يزل على ولائه لهذا الخليفة حتى شعر بدنو أجله ، فاستخلف على أتباعه من الإسماعيلية رجلا منهم يقال له يوسف بن الأسد(٦).

لم يكن دعاة الاسماعيلية فى بلاد اليمن هم الذين أقاموا الدعوة وحدهم للخليفة العزيز بالله الفاطمى ، بل أقامها أيضاً أمير صنعاء عبد الله بن قحطان

---

(١) البهاء الجندى : أخبار القرامطة باليمن المنقول من كتاب السلوك فى طبقات الموالى والملوك ص ١٥٢ . (٢) العرشى : بلوغ المرام فى شرح مسك الختام ص ٢٤ .

(٣) الحمادى اليمانى : أسرار الباطنية وأخبار القرامطة ص ٤١

(٤) الديبع الشيبانى : قرة العيون فى تاريخ اليمن الميمون ورقة ١٦

(٥) الحمادى اليمانى : أسرار الباطنية وأخبار القرامطة ٤١ — ٤٢

(٦) البهاء الجندى : أخبار القرامطة باليمن المنقول من كتاب السلوك فى طبقات الموالى والملوك ص ١٥٢

ابن أبى يعفر سنة ٢٧٩ هـ . وكان أمراء بنى يعفر قد استعادوا هذه المدينة بعد وفاة على بن الفضل سنة ٣٠٣ هـ ، وضموا إلى حوزتهم بعض البلاد المجاورة لها ، وأقاموا فيها الخطبة للخليفة العباسى فلما استقرت الأمور لعبد الله بن قحطان فى صنعاء . تجهز افتتح تهامة وأوقع الهزيمة بأميرها أبى الجيش إسحق بن إبراهيم بن زياد ، ثم دخل زبيد حاضرة بنى زياد واستولى عليها وأمر بقطع الخطبة للخليفة العباسى فى جميع البلاد التى تحت سيطرته وإقامتها للخليفة العزيز بالله الفاطمى ، واستمر الحال على ذلك حتى توفى سنة ٣٨٧ هـ(١) .

وهكذا أتيح للدعوة الفاطمية أن تستعيد مكانتها فى بلاد اليمن بعد أن لاقى دعاتها كثيراً من العنت والاضطهاد على يد السنيين ، كما أخذت الدعوة العباسية فى تلك البلاد فى الضعف والانحلال تبعا لنشاط دعاة الإسماعيلية وانصراف أمراء اليمن — الذين كانوا يدينون بالطاعة لبنى العباس — إلى التنافس والتنافر فيما بينهم مما أدى ببعضهم إلى إحلال اسم الخليفة الفاطمى فى الخطبة محل الخليفة العباسى . وليس من شك فى أن هذا العمل مهد السبيل لازدياد النفوذ الفاطمى ببلاد اليمن .

كان دعاة الإسماعيلية فى بلاد اليمن لا يألون جهداً فى القيام بنشر الدعوة للخلفاء الفاطميين ، فظل يوسف بن الأسد يدعو سراً للخليفة الحاكم بأمر الله حتى توفى ، فخلفه داع جرىء يدعى عامر بن عبد الله الزواحى ـ كان كثير المال والجاه ، وقد استغل ماله ونفوذه فى سبيل نشر الدعوة الفاطمية ، واستمال عدداً كبيراً من أهالى اليمن إلى المذهب الإسماعيلى ، وظل يدعو للفاطميين طيلة عهد الحاكم والظاهر وأوائل أيام المستنصر(٢) . ولما حضرته الوفاة استخلف على بن محمد الصليحى(٣) . الذى نشأ فقيها صالحا ، وصار

(١) الديبع الشيبانى : قرة العيون فى تاريخ اليمن الميمون ورقة ١٧

(٢) البهاء الجندى : أخبار القرامطة باليمن المنقول من كتاب السلوك فى طبقات الموالى والملوك ص ١٠٢

(٣) عرف بالصليحى نسبة إلى الإصلاح من بلاد حراز باليمن ، العرشى : بلوغ المرام فى شرح مسك الختام ص ٢٤

دليلا لحاج اليمن عدة سنين . وما لبث أن عظمت شهرته وذاع بين الناس أنه سيمتلك اليمن بأكمله . ولما حج سنة ٤٢٨ هـ ، اجتمع بفريق من قومه همدان ودعاهم إلى نصرته ومؤازرته فى دعوته ، فأجابوه وبايعوه ، وكانوا ستين رجلا من رجالات عشيرته(١) .

وجه على بن محمد الصليحى اهتمامه بعد عودته من بلاد الحجاز إلى اليمن سنة ٤٢٩ هـ إلى إحياء الدعوة الإسماعيلية القديمة التى قلده عامر بن عبد الله الزواحى زمامها ، فأخذ فى إظهارها واتخذ حصن مسار بجبل حراز مقراً له وما زال يستميل الناس حتى اجتمع إليه من سنحان وهمدان وحمير خلق كثير (٢).

لم تكن الأمور ممهدة لعلى بن محمد الصليحى ليقوم بنشر دعوته فى جميع أرجاء اليمن ؛ فعلى الرغم من زوال دولة بنى زياد سنة ٤٠٩ هـ ، فقد ورث ملكهم مواليهم الذين ساروا على سياستهم فى إقامة الخطبة لبنى العباس ، وكان من بين هؤلاء الموالى نجاح الذى تمكن من إقامة دولة سنية فى زبيد خلفت دولة بنى زياد . وقد تمتع نجاح بكثير من مظاهر الاستقلال فى دولته ، فصار يركب بالمظلة كغيره من السلاطين ويسك العملة باسمه . وبلغ من ازدياد نفوذه أن فوض إليه الخليفة العباسى تقليد القضاء لمن هو أهل له ، كما عهد إليه بالنظر فى شئون البلاد اليمنية ولقبه بالمؤيد نصر الدين(٣).

كانت دولة نجاح السنية تعمل على قمع أى محاولة يقوم بها دعاة الإسماعيلية لنشر دعوتهم فى بلاد اليمن ، لهذا لم يستطع على بن الصليحى رغم تأييده خلافة المستنصر بالله الفاطمى أن يجهر بالدعوة له ، يقول بامخرمة(٤) :

---

(١) عمارة اليمنى : تاريخ اليمن ص ١٨

(٢) العرشى : بلوغ المرام فى شرح مسك الختام ص ٢٤

(٣) عمارة اليمنى : تاريخ اليمن ص ١١ — ١٢ ، ابن المجاور : تاريخ ابن المجاور ورقة ٨٦ .

(٤) المختار فى تاريخ ثغر عدن ورقة ١٢٧ .

« وكان الصليحي يدعو للمستنصر بن معد بن الظاهر العبيدي سراً ويخاف نجاحاً » .

وقد عمد الصليحي إلى مداراة نجاح وأظهر له أنه يدين بالطاعة له كما أخذ يتودد إليه ليأمن جانبه ، ثم دبر مؤامرة للتخلص منه ، فأهدى إليه جارية سنة ٤٥٢ هـ ، دست له السم فمات(١)، وخلفه من أولاده سعيد الأحول وجياش ؛ غير أنهما لم يستطيعا أن يقفا في وجه الصليحي طويلا وهربا إلى دهلك (٢) ، وبذلك قضى الصليحي على دولة نجاح وضم زبيد إلى حوزته .

---

(١) ابن خلدون : جـ ٤ ص ٢١٤ . O. Leary De Lacy, A Short History of the Fatimid Khalifate P 202

(٢) المقريزي : خطط جـ ٢ ص ١٧٢ .

دهلك : جزيرة في بحر اليمن (ياقوت : معجم البلدان) .

٢ — موقف أمراء الصليحيين من الخلفاء الفاطميين

لما قوي أمر علي بن محمد الصليحي وتوطد نفوذه في بلاد اليمن التي استولى عليها، كتب إلى المستنصر بالله الفاطمي سنة ٤٥٣ هـ يستأذنه في إظهار دعوته، كما بعث إليه هدية ثمينة، تشمل سبعين سيفاً، مقابضها من عقيق وخمسة أثواب وشي وفصوص عقيق ومسك وعنبر، فقبل المستنصر هديته وأمر له برايات، كتب عليها الألقاب وعهد إليه بالولاية، وأذن له في نشر الدعوة(١).

علت مكانة الصليحي في بلاد اليمن بفضل تأييد المستنصر له، وأخذ يوجه اهتمامه إلى توسيع رقعة بلاده. فسار إلى التهائم فافتتحها، ولم تمض سنة ٤٥٥ هـ إلا وقد بسط سلطانه على بلاد اليمن واتخذ صنعاء مقراً له(٢) وفي ذلك يقول العرشي (٣): «ولم يقع لأحد فيمن ملك اليمن ما وقع لعلي ابن محمد الصليحي، فإنه استولى على اليمن، سهله وجبله، وشماله وجنوبه، وغربه وشرقه، في المدة اليسيرة، وقهر ملوكه».

استطاع الصليحي بعد أن اتسعت رقعة دولته وقضى على مناوئيه أن يعيد للدعوة الإسماعيلية مكانتها في بلاد اليمن وكانت قد وهنت بعد وفاة ابن حوشب وانقسام أبنائه على أنفسهم - وصارت الخطبة تقام على منابر تلك البلاد للمستنصر والصليحي وزوجته السيدة أسماء بنت شهاب، وزال بذلك نفوذ العباسيين في بلاد اليمن(٤).

لما استقرت الأمور للصليحي في صنعاء دعا إليه أمراء اليمن الذين

---

(١) الديبع الشيباني: قرة العيون في تاريخ اليمن الميمون ورقة ٢١.

(٢) عمارة اليمني: تاريخ اليمن ص ١٨.

(٣) بلوغ المرام في شرح مسك الختام ص ٢٥.

(٤) بامخرمة: المختار من ثغر عدن ورقة ١٣٩ — ١٤٠.

أزال ملكهم وأسكنهم معه وولى صهره أسعد بن شهاب زبيد وأعمالها تهامة — وكان قد أقسم ألا يوليها إلا لمن قدم إليه مائة ألف دينار — ثم ندم على يمينه . فلما حملت إليه زوجته أسماء هذا المبلغ ليوافق على تعيين أخيها أسعد ، قال لها الصليحى : يا مولاتنا : أنى لك هذا ؟ قالت : هو من عند الله : « إن الله يرزق من يشاء بغير حساب » فتبسم وهو موقن أنه من خزانته . وبعد أن أعيد إليه المبلغ ، قال : هذه بضاعتنا ردت إلينا . فقالت : ونمير أهلنا ونحفظ أخانا » ، فأقر الصليحى أسعد بن شهاب على ولاية زبيد سنة ٤٥٦ هـ . وكان حسن السيرة ، فلم يسىء إلى رعاياه وعلى الأخص السنيين ، وبلغ من تسامحه معهم أن أجاز لهم إظهار مذاهبهم[1].

كان الصليحى يحكم بلاد اليمن على اعتبار أنه نائب عن الخليفة المستنصر بالله الفاطمى ؛ وحرص هو وخلفاؤه من بعده على إظهار ولائهم للأئمة الفاطميين فى مصر . وقد تبودلت بين الصليحى والمستنصر بالله الفاطمى عدة مراسلات تبين لنا ما كان بينهما من صلة وثيقة ؛ فى شهر صفر سنة ٤٥٢ هـ أرسل المستنصر كتاباً إلى الصليحى أخبره فيه بمولد ابنه أحمد الملقب بأبى القاسم وطلب منه إذاعة هذا النبأ فى جميع أنحاء دولته[2] ، كما بعث إليه خطاباً آخر فى رمضان سنة ٤٥٥ هـ[3] ، وصف فيه ثورة ابن باديس بإفريقية وكيف تمكن من القضاء عليها وأعاد بلادها إلى حوزته . ويتبين لنا من هذا الخطاب الأخير مدى اهتمام المستنصر بأخبار الصليحى نائبه وداعيته فى بلاد اليمن بالأحداث التى تقع فى دولته .

كان المستنصر يثق بالصليحى ويطمئن إليه فى نشر دعوته ليس فقط فى

---

(١) عمارة اليمنى : تاريخ اليمن ص ١٩ .

(٢) (B.O.S.), Vol VII Part 2, 1934, Letters of Al. Mustansir (حسين الهمدانى) P. 313

(٣) (B. O. S.), Vol, VII, Part 2, 1934. P. 312–313.

بلاد اليمن، بل أيضاً فى بلاد الحجاز. فعهد إليه باقرار الأمور فى مكة وأبدى له فى رسالة بعثها إليه سنة ٤٥٦ هـ. ارتياحه للخدمات الجليلة التى قام بها فى سبيل إقامة الدعوة له وتوطيد نفوذه فى بلاد اليمن والحجاز، وأنعم عليه بلقب عمدة الخلافة(١).

كان الصليحى يريد السفر إلى مصر ليحظى بمقابلة الخليفة المستنصر بالله الفاطمى، فبعث إليه رسالة مع مبعوثه لمك بن مالك ليأذن له بالقدوم عليه. فأذن له الخليفة فى خطاب أرسله إليه فى جماد آخر سنة ٤٥٩ هـ(٢) غير أن الصليحى رأى أن يذهب أولا إلى مكة لأداء فريضة الحج، واستخلف ابنه المكرم أحمد بصنعاء واستصحب معه أمراء اليمن خوفا من تآمرهم على والده وإقصائه عن الملك، كما أخذ بصحبته زوجته أسماء بنت شهاب وبعض أفراد أسرته. وبينما هو فى طريقه إلى مكة اغتاله سعيد الأحول بن نجاح فى أواخر سنة ٤٥٩ هـ(٣).

ولى المكرم أحمد الملك بعد وفاة أبيه على بن محمد الصليحى وبعث إليه الخليفة المستنصر بالله رسالة فى شهر شعبان سنة ٤٦٠ هـ عبر فيها عن أسفه لوفاة والده وعهد إليه بشئون الدعوة(٤):

عول المكرم بعد أن تقلد زمام الأمور فى بلاد اليمن على التخلص من سعيد الأحول بن نجاح الذى كان إذ ذاك قد استولى على زبيد، فسار إليه على رأس جيش كبير. ولم تزل المعركة دائرة بين الفريقين حتى هرب

(١) (B. O. S.) 1934 Vol VII part 2, p. 312

(٢) (B. O. S.) 1934, Vol VII Part 2 p. 309.

(٣) عمارة اليمنى : تاريخ اليمن ص ٢٢ ، ابن المؤيد اليمنى : أنباء الزمن فى أخبار اليمن ص ٤٠ .

(٤) (B. O. S), 1934 Vol VII Part 2, p, 319

سعيد ومن معه إلى دهلك . واستعاد بذلك المكرم سلطانه على زبيد وولى عليها خاله أسعد بن شهاب . على أن بنى نجاح ما لبثوا أن عادوا إلى زبيد فأوقع بهم المكرم الهزيمة وأخرجهم منها وقتل سعيد بن نجاح ، وبعد أن تغلب المكرم على الصعوبات التى واجهته ، أمر بضرب الدينار الملكى ونقش عليه هذه العبارة : « الملك السيد المكرم عظيم العرب سلطان أمير المؤمنين »(١) .

لما وصل إلى الخليفة المستنصر بالله الفاطمى نبأ الهزيمة التى حلت بسعيد الأحول بن نجاح وقتله ، أرسل إلى المكرم خطاباً نوه فيه عن سروره لهزيمة العدو وأخذه الثأر لأبيه وقال له : « فلله درك أيها الأجل ، لقد زكى غرسك وطاب ، وحق أمل أمير المؤمنين فى تقديم قدمك وماخاب ، فاعلم أنك خليفته فى بلاد اليمن وعماده ، وعدته وسناده وقر عيناً بما أعطاك الله من الرتبة السنية والدرجة العلية » . وأبلغه فى نهاية خطابه أنه أنعم عليه بلقب أمير الأمراء(٢).

لم يكن لدى المكرم الصفات التى تؤهله ليخلف أباه فى إدارة شئون بلاد اليمن لذلك نراه بعد أن استعاد زبيد من سعيد الأحول وعاد إلى صنعاء يقلد زوجته السيدة الحرة بنت أحمد بن محمد بن جعفر بن موسى الصليحى زمام الأمور فى اليمن ، ويعهد إليها بالقيام بأمر الدعوة الإسماعيلية ، أما هو فقد انصرف إلى التمتع بملاذ الحياة(١) .

على أن المكرم رغم ذلك حرص على توطيد علاقته بالمستنصر بالله

(١) عمارة اليمنى : تاريخ اليمن ص ٢٦ — ٢٧ .
(٢) انظر السجلات المستنصرية رقم ٦٠ ص ١٩٦ — ١٩٩ .
(B. S. O. S.) 1934, Vol VII Part 2. p. 323
(٣) عمارة اليمنى : تاريخ اليمن ص ٢٩ .

الفاطمى . فظل موالياً له وعبر عن ذلك فى كتبه التى بعثها إليه ، كما أن الخليفة الفاطمى لم يهمل شأنه وأولى زوجته السيدة الحرة كل ثقته لإخلاصها الدعوة الإسماعيلية وظلت كتبه لا تنقطع عنهما ، فبعث إلى المكرم كتابا فى ٢٩ من ذى القعدة سنة ٤٧٠ ﻫ تتضمن وصفاً للمركز السامى الذى تقلده بدر الجمالى فى دولته والخدمات العظيمة التى أداها له باعتباره إماماً ، وكيف وطد نفوذ خلافته ، فقال : « وقد نشر الله تعالى به دعوة أمير المؤمنين بعد أن أصبحت رمما ونضّر به خلافة أمير المؤمنين بعد أن أصبحت هشيما ، لم يكن لأمير المؤمنين بد من أن يرقيه فى الرفع والإعلاء فوق الفراقد ، ويحله منه محل الوالد ويجعل له مقام الملك وينزله فى عقد خلافة الامامة مكان السلك ، فنص عليه فى كفالة قضاة المسلمين وهداية دعاة المؤمنين ، نص حق ونقلها منه إلى مستحق إذا كان مبرزاً فى ميدانها ، ناطقا بلسانها عالما بأحكامها . . » ، وطلب المستنصر من المكرم فى نهاية كتابه أن يطيع أوامر بدر وإرشاداته ، فقال : « فول وجهك نحو هذا السيد الأجل واجعله قبلة دينك فى مصادرك ومواردك ، وارجع إليه فيما عراك من مشكلات الدين ، واشتبه عليك من فتاوى المؤمنين ، ليرسل إليك من علمه شهابا قبسا ، ويضرب لك فى بحر ما اشتبه عليك طريقا يبساً . . ، واعلم أن الدولة الفاطمية بخدمته وجده واجتهاده أطلع الله شمسها فأصبحت من سماء العز فى الكبد ، وشق فى نصرتها غياهب الظلمات بعد ضعف الناصر وقلة العدد . . . »(١) .

ومما لا شك فيه أن بدر الجمالى الذى قلده الخليفة المستنصر بالله الفاطمى وزارة السيف والقلم كان يتمتع إذ ذاك بنفوذ كبير فى مصر ، فقد عهد

---

(١) انظر السجلات المستنصرية رقم ٣٤ ص١٠٦ — ١٢٩ .
(B. S. O. S.) 1934 Vol VII Part 2 p. 317 318

إليه الخليفة إدارة كافة شئون دولته وزاد فى ألقابه : «السيد الأجل ، أمير الجيوش ، كافل قضاة المسلمين ، هادى دعاة المؤمنين » ، ومن ثم صارت كلمته نافذة على القضاة والدعاة وسائر موظفى الدولة(١) . ولما كانت سلطة بدر الجمالى قد امتدت تبعاً لذلك إلى الولايات الخاضعة لنفوذ الخلافة الفاطمية ، لذلك رأى المستنصر أن يبعث إلى القائمين بأمر الدعوة الفاطمية فى بلاد اليمن يخبرهم بتقلد بدر الجمالى زمام دعوته . فأرسل إلى السيدة الحرة خطابا أشاد فيه بذكر هذا الوزير وقال « فهو خليفتنا وباب دعوتنا ، الحال منا محلا لم يحله أحد قبله ، القائم من أمورنا مقام الأساس لمشكلات الالتباس ، وهو عليك شفيق ولمصالح حالكم سالك فى كل طريق ، وختم خطابه بقوله : « فاعلمى ذلك وسارعى إليه إن شاء الله تعالى »(٢) .

كان المكرم قبل وفاته قد أوصى أن يخلفه فى الدعوة ابن عمه أبو حمير سبأ بن أحمد المظفر بن على الصليحى ، فلما توفى سنة ٤٨٤ ﻫ ، أرسلت السيدة الحرة خطابا إلى المستنصر بالله الفاطمى تخبره بوفاة زوجها المكرم وترجوه أن يوافق على تعيين ابنها عبد المستنصر مكانه ـ وكان لا يزال طفلا ـ فأقر الخليفة تعيينه خلفاً لأبيه وعهد إليه بالقيام بشئون الدعوة ، وأمر أن تعنون جميع المراسلات الصادرة منه إلى بلاد اليمن باسم عبد المستنصر(٣) ، كما أرسل خطابات أخرى مع رسوله عضد الدين أبى الحسن جوهر المستنصرى ، إحداها إلى السيدة الحرة يعزيها فى وفاة زوجها المكرم ويثنى على وفائها للدعوة .

على أن تولية عبد المستنصر أمر الدعوة لم يلق قبولا لدى أمراء اليمن

---

(١) المقريزى : خطط جـ ١ ص ٣٨٢ .

(٢) (B. S. O. S.) 1934 Vol VII Part 2 p. 312

(٣) (B. S. O. S.) 1934 Vol VII part 2 p. 366

بسبب صغر سنه ، يؤيد ذلك هذا الخطاب الذى أرسله الخليفة الفاطمى إلى عبد المستنصر وقد وصفه فيه بأنه « سليل الدعوة ونجلها ، ونوه بما لأسلافه من فضل السابقة فى التعلق بها وحسن الأثر فى نشرها ، وقال إنه قلده « الدعوة الهادية فى سائر أعمال اليمن وما يليها سهلا ووعراً وبراً وبحراً . » ، وتحدث فى نهاية خطابه عما وصله عن اعتراض البعض على تقليده الدعوة بسبب صغر سنه ، بقوله : « وبعد هذا ، فقد كان أمير المؤمنين عرف بما أمده الله به من التأييد الخفى ، والنظر الألمعى ، أنه إذا شوهد ما خلص إليه من شريف هذا الاهتمام والتقديم والكمال والإنعام . . . سترمقك العيون وتجول فى عظيم ما خُصصت به الظنون ، إذا وليت هذا الأمر العالى قدره وأنت فى سن الصبا ، فأنكر أمير المؤمنين ذلك عليهم . . . ووَجد على من ظن ذلك موجدته على من قدح فى الدين . . . ، لأن الله تعالى فوض إلى أمير المؤمنين الخلافة وسنه دون الثمان سنين ، وقد جاز هذا فى الإمامة وهى الدرجة التى تلى النبوة ، فكيف الدعوة التى لأمير المؤمنين أن يتصرف فيها على اختياره ويفوضها إلى من يرتضيه ويختاره(١) . . . » .

كان الخليفة المستنصر بالله الفاطمى يحرص على استقرار الأمور فى بلاد اليمن ليضمن بذلك الاحتفاظ بسيادته على تلك البلاد ، فلما قام النزاع بين الداعى أبى حمير سبأ بن أحمد الصليحى وأبى ربيع سليمان بن الأمير الزواحى على أثر تولية عبد المستنصر رئاسة الدعوة بعث رسالة إلى السيدة الحرة قال فيها إنه ينظر إلى هذا النزاع بشىء من القلق وطلب إليها أن تسعى فى الصلح بينهما .

كذلك أرسل المستنصر كتاباً فى ربيع الأول سنة ٤٨٠ هـ إلى الصليحيين

---

(١) أنظر السجلات المستنصرية رقم ٣٧ ص ١٢٢ — ١٢٨ .

وآل الزواحى رجاهم فيه أن ينهوا ما بينهم من خلاف وأن يطيعوا السيدة الحرة وابنها عبد المستنصر ، وناشدهم مناشدة قوية لكى يتحدوا فى سبيل نشر الدعوة ، وعبر فى خطابه عن ارتياحه للخدمات التى قام بها كل من الصليحى والمكرم والسيدة الحرة لنجاح دعوته.(١)

وقد جاء فيه(٢) : « من عبد الله ووليه ، معد أبى تميم ، الإمام المستنصر بالله أمير المؤمنين إلى كافة السلاطين الصيلحيين والزواحيين ، والمشايخ الحجازيين ، وطوائف الميامين ... أما بعد ، فإن الله شرف أمير المؤمنين بفضل الخلافة على بريته ، وأناف به محل الدعوة الهادية ومرتبته. .. ولما عرف أمير المؤمنين ما كان منكم من النصرة من حميـــد المساعى ومأثور مواقفكم من حماية الدعوة ... ، شكر لكم هذه المناقب ... ، وأمير المؤمنين يأمركم بالجرى على هذه السنن . : وأن تعتمدوا الائتلاف ، والتحذير من عواقب المقاطعة والاختلاف (وأمير المؤمنين) يفرض عليكم التدين بطاعة داعيكم الملك الأوحد ، المنصور ، العادل ، المكرم ، عمدة الخلافة . . . سلطان أمير المؤمنين وعميد جيوشه عبد المستنصر ... ، ويأمر أن تعتمدوا الجد والتشمير فى متابعته ومناصرته . . . والجهاد تحت رايته . . . ، وأن تخلصوا النيات فى موافقة وطاعة والدته . الحرة الملكة ، السيدة السديدة ، .. ولية أمير المؤمنين وكافلة أوليائه الميامين .. التى استكفاها أمير المؤمنين فى تدبير أمره .

لقيت الدعوة التى وجهها المستنصر إلى آل الصليحى وآل الزواحى لفض النزاع بينهم قبولا . وقد وافته بهذا النبأ السيدة الحرة فى خطاب

---

(١) (B. S. O. S.) 1934 Vol VII Part 2 p. 318 – 319

(٢) السجلات المستنصرية رقم ٣٨ ص ١٢٨ — ١٣٤

أرسلته إليه ،فبعث إليها الخليفة رداً أعلن فيه سروره لزوال الخلاف الذى قام بين سبأ بن أحمد الصليحى وسليمان بن الأمير الزواحى وعقد الصلح بينهما(١) .

لم يعمر عبد المستنصر طويلا ، فقد وافته المنية وقام بعد وفاته نزاع بين الداعى سبأ بن أحمد المظفر وبين السيدة الحرة بسبب طموحه إلى الاستحواذ على رياسة الدعوة وحكم بلاد اليمن ورغبته فى التزوج منها . لكن السيدة الحرة كرهت ذلك وأنكرته ، وتهيأ كل منهما للقتال . وبعد أن دارت الحرب بينهما أياماً أرسل سليمان بن عامر الزواحى إلى الداعى سبأ بن أحمد يقول له : « والله لا أجبتك إلى مرادك إلا بأمر المستنصر بالله (٢) » ، فبعث سبأ بن أحمد إلى المستنصر بالله رسولين هما : القاضى حسين بن إسماعيل الأصبهانى وأبو عبد الله الطيب ومعهما رسالة يرجو فيها الخليفة أن يطلب من السيدة الحرة التزوج منه(٣) . فكتب إليها المستنصر خطاباً أمرها فيه بالتزوج من الداعى سبأ بن أحمد ، وسير إليها أستاذاً من قبله يلقب بيمين الدعوة ليتحدث معها فى هذا الشأن(٤) .

لما حظى رسول المستنصر بمقابلة السيدة الحرة وقف بين وزرائها وكتابها ورجال دولتها وقال موجهاً الكلام إليها : « أمير المؤمنين يرد السلام على الحرة الملكة السيدة الرضية الزكية ، وحيدة الزمن ، سيدة ملوك اليمن ، عمدة الإسلام ، ذخيرة الدين ، عصمة المسترشدين ، كهف المستنجدين ، ولية أمير المؤمنين ، وكافلة أوليائه الميامين ، ويقول فيها :

---

(١) (B. S. O. S.) 1934 Vol Vll Part 2 P. 321

(٢) الديبع الشيبانى : قرة العيون فى تاريخ اليمن الميمون ورقة ٢٥ .

(٣) عمارة اليمنى . تاريخ اليمن ص ٣٢ .

(٤) ابن المؤيد اليمنى ، أنباء الزمن فى أخبار اليمن ص ٤٣ .

« وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم ، ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالا مبيناً » . وقد زوجك مولانا أمير المؤمنين من الداعى الأوحد المنصور المظفر عمدة الخلافة ، أمير الأمراء أبى حمير سبأ بن أحمد بن المظفر على الصليحى على ما حضر من المال وهو مائة ألف دينارعينا وخمسون ألفا أصنافا من تحف وألطاف وطيب وكساوى . فقالت السيدة الحرة « أما كتاب مولاى فأقول فيه إنى ألقى إلى كتاب كريم (إنه من سليمان وإنه بسم الله الرحمن الرحيم ألا تعلوا على وأتونى مسلمين) : (يا أيها الملأ أفتونى فى أمرى . ما كنت قاطعة أمراً حتى تشهدون) ، وأما أنت يا ابن الأصبهانى(١) فوالله ما جئت إلى مولانا من سبأ بنبأ يقين . ولقد حرفتم القول عن موضعه وسولت لكم أنفسكم أمراً ، فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون(٢) » . ثم تقدم إليها وزيرها زريع بن أبى الفتح والقاضى الحسين بن إسماعيل الأصبهانى وبعض رجال دولتها وأخذوا يحسنون لها التزوج من الداعى سبأ بن أحمد ، وما زالوا يلحون عليها فى الرجاء حتى قبلت عقد الزواج تحقيقا لرغبة الخليفة(٣) .

يتبين لنا من تدخل المستنصر بالله الفاطمى فى مسألة زواج الداعى سبأ ابن أحمد من السيدة الحرة إلى أى حد علت مكانة هذا الخليفة بين أمراء اليمن ودعاتها حتى أصبحت كلمته نافذة عليهم ، ليس فقط فى المسائل السياسية والدينية بل فى المسائل الخاصة . وقد سبق له أن أبدى رغبته فى وضع حد للنزاع بين آل الصليحى وآل الزواحى ، وهاهو يأمر السيدة الحرة بالتزوج من الداعى سبأ بن أحمد . ولا شك أنه كان يرجو من وراء هذا الزواج توثيق الصلة بين أمراء اليمن ودعاتها وعدم إثارة عوامل الخلاف بينهم حتى لا تتعرض

(١) وهو أحد الرسولين اللذين بعثهما الداعى سبأ بن أحمد إلى الخليفة المستنصر .

(٢) عمارة اليمنى : تاريخ اليمن ص ٣٢ — ٣٣ .

(٣) الديبع الشيبانى : قرة العيون فى تاريخ اليمن الميمون ورقة ٢٥ .

الدعوة للضعف من جراء تفرق كلمتهم وانشغالهم بالمنازعات التي قد تؤدي في النهاية إلى زوال نفوذهم .

على أن السيدة الحرة لم تمكن زوجها الداعي سبأ بن أحمد من السيطرة على شئون بلاد اليمن ، بل استحوذت عليها واستأثرت بالسلطة دونه ، وظلت موالية للمستنصر وآل بيته وتوثقت عرى الصداقة بينها وبينهم ، وأكبر دليل على ذلك الرسائل التي تبودلت بين السيدة الحرة والمستنصر ، وبينها وبين والدة هذا الخليفة وأخته مما يثبت أنها ثقتهم بقدرتها على إقرار الأمور في بلاد اليمن وإذاعة الدعوة بين ربوعها . بل بلغ من ثقة المستنصر بكفايتها للقيام بشئون الدعوة الفاطمية أن عهد إليها أمر تنظيمها في بلاد الهند وعمان . كما أجاز لها أن تعين من يقع اختيارها عليه من الدعاة لنشر الدعوة في تلك البلاد(١) .

لم يكن لمظاهر الضعف التي أصابت الخلافة الفاطمية في أواخر عهد المستنصر أي أثر في بلاد اليمن ، فظلت السيدة الحرة مخلصة في ولائها لهذا الخليفة رغم مابلغها عن تقلص نفوذه .

لما توفي المستنصر بالله الفاطمي سنة ٤٨٧ هـ وخلفه ابنه أبو القاسم أحمد الملقب بالمستعلي بالله أيدت السيدة الحرة خلافته ، كما أيدها دعاة اليمن رغم أن الإسماعيلية في مصر لم يجمعوا على أحقيته في تقلد عرش الخلافة بعد أبيه ، ذلك أن الأفضل بن بدر الجمالي وزير المستنصر أقدم بعد وفاة هذا الخليفة على إقصاء ابنه نزار ولي عهده وأكبر أبنائه عن الخلافة ، وبايع أخاه الصغير أبا القاسم أحمد بعد أن اجتمع بالأمراء وخوفهم مما يصيبهم من نزار إذا مارلي الحكم في الدولة الفاطمية ، وقد ترتب على إقصاء نزار عن الخلافة رغم أحقيته لها إلى خروج أهالي الإسكندرية على طاعة

---

(١) (B. S. O. S.) 1934 Vol VII Part 2 p. 321

الخليفة الجديد وانحيازهم إلى نزار . غير أن الأفضل ما لبث أن تمكن من القضاء عليه وعلى من آزره فى ثورته(١).

أرسل المستعلى إلى السيدة الحرة رسالة مؤرخة فى ٨ صفر سنة ٤٨٩ ﻫ تضمنت وصفاً لثورة نزار وتغلب وزيره الأفضل بن بدر الجمالى عليها نهائياً(٢). ومما ورد فيها(٣): « من عبد الله ووليه أحمد أبى القاسم الإمام المستعلى بالله أمير المؤمنين ابن الإمام المستنصر بالله أمير المؤمنين إلى الحرة ، الملكة ، السيدة ، السديدة ،. ولية أمير المؤمنين .. قد علمت ما كان صدر إليك من حضرة أمير المؤمنين عندما أصارة الله تعالى إليه من إرث خلافته . وذلك بالنص الذى كان من مولانا الإمام المستنصر بالله . . وإن البيعة انتظمت لأمير المؤمنين على أجمل القضايا والأسباب ، ودخل الناس فيها من كل باب ، بحسن سياسة فتاه وخليله ، السيد ، الأجل ، الأفضل ، أمير الجيوش ، سيف الإسلام ، ناصر الإمام ، كافل قضاة المسلمين ، وهادى دعاة المؤمنين .. وكان الأمراء إخوة أمير المؤمنين أول من دخل فى البيعة مسارعا وانقاد لأحكامها طائعا . . ، ومن جملتهم نزار وهو الأخ الأكبر سنا .. ، ثم إن الشيطان استزله واستغواه . ففارق جناب أمير المؤمنين .. ، وسار منه متوغلا فى القفار ، راكباً الأخطار حتى وصل إلى الإسكندرية ، وفيها أفتكين — أحد مماليك السيد الأجل ، أمير الجيوش ... ، فقابل هذا العبد العاق .. نعم مواليه بالكفر ، وأظهر ما كان كامناً فى نفسه من الخيانة والغدر ، ووافق نزاراً على ما سعى إليه من الفساد . . . فتقدم أمير المؤمنين إلى فتاه الأمين .. بأن يكاتبهم معذراً وزاجراً . . وهم على غلوائهم متمادون .. إلى أن حملهم العدوان . على البروز عن الإسكندرية فيمن انضم إليهم من الفيف

(١) ابن ميسر . تاريخ ص ٣٥ — ٣٧ .
(٢) (B. S. O. S.) 1934 Vol VII Part 2 p. 218
(٣) السجلات المستنصرية رقم ٤٣ ص ١٤٥ — ١٥١ .

من الأجناد وطوائف العربان والمغاربة والسودان ... ، وأمير المؤمنين يمده بصائب الآراء .. ،فصدمهم صدمة تزعزع منها أركان الجبال ، وأحل بجمعهم قوارع الشتات والنكال ... ، ولما يسر الله تعالى مفتتح هذا النصر أذن أمير المؤمنين لفتاه السيد الأجل باتباعهم .. ، فتوجه يقتص آثارهم ، وحمي بين الفريقين وطيس الهيجاء .. ، وكان المخــاذيل فى هذه النوبة قد تجمعوا من كل فج وواد ، فزادت عدتهم على ثلاثين ألف فارس وراجل ، فرمى الله جمعهم بالحتف العاجل .. ، وطار نزار وأفتكين على رسمهما فى الفرار .. ، وكان الفتح فى هذه الوقعة مثل ماتقدمه بحملات واصلها السيد الأجل بنفسه وغلمانه ... ، فلم تزل السيوف تتحكم فيهم إلى أن سترتهم الظلماء ، وقتل وأسر منهم ألوف كثيرة . . ، وتوجه نحوهم .. حتى نزل على البلدة .. فحصرها براً وبحراً .. وحضر شهر الصوم ، فأخر مناجزتهم حفظاً لحرمة الشهر الشريف ، .. فلما انقضى (هذا الشهر) ولم تنقض غوايتهم وبغيهم .. رماهم بحجارة المنجنيقات .. .فلم تمض إلا أيام قلائل حتى تداعى الحصن من سائر أركانه ، فتهاوت الرجال مستأمنين ، وبالعفو لائذين . ،فخرج (أفتكين) بغير عهد ولا عقد يتعلق به ، ووقف بين يدى مولاه ملتحفاً ثوب الذل والهوان ... ، فأضرب عنه صفحاً ... ، وتوفر على المهم من الحوطة على نزار ، وحفظ الثغر من عوادى النهب والأضرار ... »

كذلك حاولت والدة الخليفة المستعلى جـــذب الدعاة فى اليمن إليه فبعثت إلى السيدة الحرة رسالة ، تحدثت فيها عن عهد المستنصر لولدها أبى القاسم أحمد وثورة نزار وأفتكين بالإسكندرية على خلافته(١). وقد جاء فيها(٢) :

---

(١) (B. S. O. S.) 1934 Vol VII Part 2 P. 218

(٢) السجلات المستنصرية رقم ٣٥ . ص ١٠٩ — ١١٧ .

« من السيدة الملكة الكريمة . . . والدة الإمام المستعلى بالله أمير المؤمنين ابن الإمام المستنصر بالله ... . إلى الحرة الملكة السيدة السديدة... قد اشتهر بين كافة المؤمنين ، وأولياء الدين ، ورعايا الدولة أجمعين ، أن الإمام المستنصر بالله ..كان يشير (بالإمامة) إلى ولده الإمام المستعلى بالله ، ثم أفصح . . وأنه تولى بنفسه الشريفة الكريمة توفيقه وتفهيمه ، واختصه دون الأولياء بمزية ألفه وأنسه ، ثم انتقل إلى دار الكرامة ، ومحل الإقامة ، بعد أن أظهر النص عليه ، وأعلن بنقل الأمر إليه ... ، وجعل خليله ووزيره ، السيد الأفضل ، أمير الجيوش ، سيف الإسلام .. ولياً أعلى الله همته فى ارتياد الصلاح واغتنامه .. ، ومدبراً جرى به أمر المملكة على اطراده وانتظامه ، فقام لأمير المؤمنين بأمر البيعة أحسن قيام .. ، وكان أول داخل فيها الأمراء أخوة أمير المؤمنين تسليماً لحقه وإذعاناً ، وعلماً بأن الله تعالى يفيض شعار الإمامة على من يرتضيه . . ومن جملتهم نزار أخوه الأكبر سناً ، فإنه عرف الحق فعاهد وبايع . ثم أدركه الحسد ... فانسل دليلا تحت جنح الليل .... ومضى إلى الإسكندرية وبها افتكين ، واجتمعا معاً على الفتنة ... ، واستغويا طوائف من المنافقين ، ... وكان أمير المؤمنين بما آتاه الله تعالى من شرف العلم ، وحبب إليه من الفضل والحلم ، موعزاً إلى فتاه وخليله السيد الأجل الأفضل ، بمواصلتهم بالمكاتبات المشتملة على الإنذار والإعــذار ... ، وهم متمادون على غلوائهم فى البغى والعناد . . . فعند ذلك أذن له مولانا فى القائم . . »

لم يتأثر دعاة الإسماعيلية فى بلاد اليمن بهذا النزاع الذى حدث فى مصر حول الخلافة والذى ترتب عليه ظهور فرقتين ، عرفت الأولى بالنزارية ، وكانت تدعى أن المستنصر أوصى لابنه الأكبر نزار بالخلافة من بعده . أما الفرقة الثانية فادعت أنه أوصى بها لابنه المستعلى . وقد انحاز دعاة

الإسماعيلية فى اليمن إلى هذه الفرقة وظلوا على ولائهم للخليفة المستعلى .

كذلك لم تلق فرقة النزارية التى اتخذت من بلاد المشرق مركزاً لها بزعامة الحسن بن الصباح(١) — الذى مال إلى القول بإمامة نزار وأنكر إمامة المستعلى — أنصاراً فى بلاد اليمن ، بل لقد أصبح اسم نزار مبغضاً عند أهالى هذه البلاد كما هى الحال عند غالبية الإسماعيلية فى مصر .

كان النزارية فى مصر لا يعترفون بإمامة المستعلى ويعملون على التخلص منه ومن وزيره الأفضل . ولم يمتد نشاطهم إلى البلاد الواقعة فى دائرة النفوذ الفاطمى ، أما فرقة المستعلية التى اتخذت مصر مقراً لها فنشطت فى بث الدعوة لإمامة المستعلى وظهر أثر نشاطها جلياً فى بلاد اليمن حيث قام الدعاة بنشر الدعوة لهذا الخليفة ، ولم تر السيدة الحرة ـ التى كانت تتمتع إذ ذاك بنفوذ كبير فى بلاد اليمن ـ فى الخلاف الذى ظهر بين الإسماعيلية فى مصر عقب وفاة المستنصر بشأن أحقية المستعلى فى الإمامة ما يجعلها تتخذ لنفسها سياسة مستقلة عن الدولة الفاطمية ، بل دخلت فى طاعة هذا الخليفة بعد أن وقفت على عوامل ثورة نزار ونجاح الأفضل بن بدر الجمالى فى القضاء عليها .

ولا شك أن تأييد السيدة الحرة ودعاتها الخليفة المستعلى ساعد على عدم تسرب النزارية إلى بلاد اليمن ، وبذلك لم تتفرق كلمة الإسماعيلية فى تلك البلاد كما تفرقت فى مصر .

ظلت السيدة الحرة تعمل جاهدة على شد أزر الدعوة الفاطمية فى اليمن ، فلما مات زوجها الداعى سبأ بن أحمد سنة ٤٩٢ هـ ، ولّت المفضل ابن أبى

---

(١) ابن ميسر . تاريخ مصر ص ٦٥ .

البركات بن الوليد الحميرى داعياً مكانه(١) ، كما عهدت إليه بمعاونتها فى القيام بأمور الدولة . وقد ثار فى عهده جماعة من الفقهاء بحصن التعكر(٢) وبايعوا رجلا منهم يعرف بابراهيم بن زيدان على الدعوة الإسماعيلية وانحازت إليهم قبيلة خولان ، غير أن المفضل ما لبث أن حاصرهم وانتهى الأمر بالقضاء على ثورتهم(٣) .

كان من أثر انضمام الخولانيين إلى الخارجين على الدعوة الإسماعيلية فى بلاد اليمن سنة ٥٠٤ هـ وقيام النزاع بينهم وبين السيدة الحرة أن وجهت الخلافة الفاطمية بالقاهرة اهتمامها إلى معاونة السيدة الحرة ، فأوفد إليها الخليفة الآمر بأحكام الله الفاطمى الداعى على بن إبراهيم بن نجيب الدولة سنة ٥١٣ هـ ليكون عوناً لها ضد أعدائها ومنافسيها ٤) — وكان ذا دراية كبيرة بمذهب الشيعة — فلما وصل إلى جزيرة دهلك فى طريقه إلى بلاد اليمن ، قابله أحد الدعاة وأدلى إليه بأخبار تلك البلاد وأحوال أهاليها وتواريخ ميلادهم وأسمائهم وما يميزهم من علامات ، فكان إذا ما تحدث معهم عن غوامض الأشياء التى تتصل بهم اعتقدوا أنه يعلم الغيب(٥) .

اشترك ابن نجيب الدولة مع السيدة الحرة فى إدارة شئون بلاد اليمن . وصار من كبار الدعاة فى تلك البلاد ، كما ظل مخلصاً للسيدة الحرة ومنفذاً فى الوقت نفسه لسياسة الخليفة الفاطمى بالقاهرة ، وبذل جهداً مشكوراً فى العمل على استقرار الأمور فى بلاد اليمن . ولما ولى المأمون البطائحى الوزارة فى مصر فى عهد الخليفة الآمر ، أمده بالمال والرجال ليضعف من

(١) الديبع الشيبانى : قرة العيون فى تاريخ اليمن الميمون ورقة ٢٥ .
(٢) قلعة باليمن من مخلاف جعفر مطلة على ذى جبلة (ياقوت - معجم البلدان) .
(٣) ابن خلدون . جـ ٤ ص ٢١٦ — ٢٢٢ .
(٤) Enc of Islam, V 4, p. 517
(٥) عمارة اليمنى . تاريخ اليمن ص ٤٢ .

شوكة أمراء اليمن الذين حاولوا الاستقلال ببعض البلاد[١].

أثارت الحملات التي شنها ابن نجيب الدولة على بعض أمراء اليمن والتي انتهى الأمر فيها بهزيمتهم حقدهم عليه، وصاروا ينتهزون الفرص للتخلص منه، فلما بعث المأمون البطائحي وزير الخليفة الآمر الفاطمي رسولا من قبله إلى اليمن سنة ٥٢٠هـ لم يحفل به ابن نجيب الدولة وعول على الغض من شأنه، فاستغل أعداؤه من الأمراء والدعاة موقفه العدائي من رسول الوزير الفاطمي للانتقام منه. فاستمالوا هذا الرسول إليهم بالهدايا وانضموا إليه في عدائه لابن نجيب الدولة، فأوعز إليهم بتدبير أمرين للتخلص منه: أما عن أولهما فقال: « اكتبوا على يدي إلى مولانا الآمر كتباً تذكرون فيها أنه دعاكم إلى نزار وراودكم على ذلك فامتنعتم »، وقال عن ثانيهما: « اضربوا سكة نزارية وأنا أوصلها إلى مولانا الآمر بأحكام الله »، فأجابوه إلى طلبه، وبعث بكتبهم وبالسكة إلى الخليفة الآمر[٢].

ولما وصل إلى الآمر الفاطمي الكتب والسكة وفيها مايدل على انصراف ابن نجيب الدولة عن الدعوة له وانحيازه إلى طائفة النزارية[٣] عهد إلى

---

(١) عمارة اليمني . تاريخ اليمن ص ٤٣ – ٤٤ الديبع الشيباني قرة العيون في تاريخ اليمن الميمون ورقة ٢٧

(٢) عمارة اليمني . تاريخ اليمن ص ٤٦ .

(٣) كان للنزارية أتباع في مصر لايعترفون بإمامة الآمر ويثيرون القلاقل ضده بإيعاز من رؤساء دعوتهم في قلعة الموت الذين كانوا يمدونهم بالمال ؛ فرأى الخليفة الفاطمي أن يرسل إلى زعيمهم الحسن بن الصباح كتابا يفند فيه حجج فرقته التي تقول بأحقية نزار في الإمامة ودعا إلى قصره قبل أن يرسل كتابه . الفقهاء من الإسماعيلية الإمامية وقال لهم وزيره المأمون البطائحي : مالكم من الحجة في الرد على هؤلاء الخارجين على الاسماعيلية ؛ فقال كل منهم لم يكن لنزار إمامة ؛ ومن اعتقد هذا فقد خرج عن المذهب وضل ووجب قتله » .

وكانت أخت نزار إذ ذاك تجلس في قاعة صغيرة بجانب الإيوان بالقصر وعلى الباب ستر ؛ فلما فرغ فقهاء الإسماعيلية من الإدلاء برأيهم في أقوال الخارجين على الخليفة قالت : « اشهدوا على يا جماعة الحاضرين وبلغوا عني جماعة المسلمين أن أخي شقيقي نزاراً لم يكن له إمامة وإنني (بريئة) من إمامته جاحدة لها لاعنة لمن يعتقدها ... » ؛

الأمير الموفق بن الخياط بالقبض عليه وإرساله إلى مصر ؛ فقدم ابن الخياط على السيدة الحرة وطلب منها أن تسلم إليه ابن نجيب الدولة تحقيقاً لرغبة الخليفة فامتنعت أول الأمر وقالت له : « أنت حامل كتاب مولانا فخذ جوابه » ، وبعثت إلى الآمر بأحكام الله هدية وكتاباً مع رسولها محمد بن الأزدى شفعت فيه لابن نجيب الدولة ، غير أن شفاعة السيدة الحرة لم تصل إلى مسامع الخليفة الفاطمى، فقد أحاط أعداء ابن نجيب الدولة(١) به واعتقلوه وأرسلوه إلى مصر ، وأخروا رسول السيدة الحرة خمسة عشر يوماً حتى لا يعلم الخليفة بحقيقة موقف ابن نجيب الدولة منه ولم يكتفوا بذلك ، بل أوعزوا إلى ربان المركب الذى أبحر عليه هذا الرسول أن يغرقه فى الماء ، فلبى رغبتهم ومات محمد بن الأزدى غريقاً قبل أن يواصل سفره إلى مصر . فجزعت السيدة الحرة على وفاته ، كما أسفت على فقد ابن نجيب الدولة - وكان نصيراً لها ومن أكابر دعاة اليمن - وقد قتل بأمر الخليفة الآمر ، على أثر قدومه إلى القاهرة سنة ٥٢١ هـ(٢) ، فأقامت مكانه الداعى إبراهيم بن الحسين الحامدى(٣) .

كانت السيدة الحرة على اتصال وثيق بالخليفة الآمر ، فتبودلت

= ولما انقضى المجلس ، عهد المأمون البطائحى إلى ابن الصيرفى بكتابة رسالة لابن الصباح يدحض فيها آراء النزارية فى الإمامة ؛ غير أن هـــذه الرسالة لم يتح لها أن تصل إلى يد ابن الصباح لعدول رسل الخليفة عن مواصلة السفر إليه بسبب الأنباء التى وصلت إلى مصر عن ازدياد نفوذ طائفة النزارية ببلاد المشرق ، واتصالها بأتباعها فى مصر لتدبير مؤامرة اغتيـــال الآمر ووزيره المأمون . لذلك لا نعجب إذا رأينا الآمر يتتبع حركاتهم فى جميع البلاد الخاضعة لنفوذه ويعمل على التخلص ممن تحوم الشبهات حول انحيازه إليهم ، لـكنه رغم اتخاذه الحيطة لدرء خطرهم عنه اغتاله فريق منهم .

ابن ميسر . تاريخ مصر ص ٦٥ — ٦٨ ، المقريزى . خطط جـ ١ ص ٤٠٧ .

(١) ابن المؤيد اليمنى . أنباء الزمن فى تاريخ اليمن ص ٤٧ .

(٢) عمارة اليمنى : تاريخ اليمن ص ٤٧ ، ٤٨ ، ابن ميسر . تاريخ مصر ص ٧٠ .

(٣) Kay, Yaman, Its Early Mediaeval History p. 298.

بينهما الكتب والرسل . وقد أظهرت ولاءها لهذا الخليفة ، فاعترفت بإمامته ، كما اعترفت من قبل بإمامة أبيه المستعلى وأقامت الدعوة لهما مما ساعد على احتفاظ الفاطميين بسيادتهم على بلاد اليمن .

وكان الخليفة الآمر ينظر إلى السيدة الحرة نظرة تقدير وإجلال ويرى أنها من خيرة أعوانه بعد أن تبين له إخلاصها فى نشر دعوته ؛ لذلك حرص على أن تظل موالية لأبنائه من بعده ، فلما رزق ابنه أبا القاسم الطيب فى ربيع الأول سنة ٥٢٤ هـ وجعله ولى عهده ، كتب إلى السيدة الحرة يبشرها بمولد ولده الإمام أبى القاسم الطيب ويعرفها أنه ولى عهده ويأمرها أن تذيع هذا الخبر بين أهالى بلاد اليمن(١) ، وفيما يلى نص السجل الذى أرسله الخليفة الآمر بأحكام الله الفاطمى إلى الملكة الحرة الصليحية فى هذا الشأن(٢) (بسم الله الرحمن الرحيم) : من عبد الله ووليه المنصور أبى على الآمر بأحكام أمير المؤمنين إلى الحرة الملكة السيدة الرضية الطاهرة الزكية وحيدة الزمن وسيدة ملوك اليمن ، عمدة الإسلام ، خاصة الإمام ، ذخيرة الدين ، عمدة المؤمنين ، كهف المستنجدين ، عصمة المسترشدين وولية أمير المؤمنين وكافلة أوليائه الميامين أدام الله تمكينها ونعمتها وأحسن توفيقها ومعونتها سلام عليك ، فإن أمير المؤمنين يحمد الله الذى لا إله إلا هو ويسأله

---

(١) ذكر (ابن ميسر . تاريخ مصر ص ٧٢) كيف احتفل الخليفة الآمر بإعلان البشرى بولاية ابنه أبى القاسم الطيب وتوليته الإمامة من بعده فقال : « زينت مصر والقاهرة وعملت الملاهى فى الأسواق وبأبواب القصور ، ولبست العساكر وزينت القصور ، وأخرج الآمر من خزائنه وذخائره قماشاً ومصاغاً ما بين آلات وأوانى ذهب وفضة تزين بها وعلق الإيوان جميعه بالستور والسلاح ، فأقام الحال كذلك أربعة عشر يوماً وأحضر الكبش الذى يذبح فى العقيقة وعليه جل ديباج وقلائد فضة وذبح بحضرة الآمر وأحضر المولود ، فتشرف قاضى القضاة ابن ميسر بحمله ونثرت الدنانير على رؤوس الناس وعملت الأسمطة ، وكتب إلى الفيوم والشرقية والقليوبية بإحضار الفواكه ، فأحضرت وملىء القصر من الفواكه وغيرها وامتلأ الجو بدخان العود والعنبر » .

(٢) عمارة اليمنى . تاريخ اليمن ص ١٠٠ — ١٠١ .

أن يصلى على جده محمد خاتم النبيين وسيد المرسلين صلى الله عليه وسلم وعلى آله الطاهرين الأئمة المهتدين وسلم تسليما ، أما بعد ، فإن نعم الله عند أمير المؤمنين لاتحصى لها عد، ولا تقف عند أمد ولاحد ولا تنتهى إلى الإحاطة بها الظنون لكونها كالسحاب الذى كلما انقضى سحاب أعقبها سحاب . فهى كالشمس الساطعة الإشراق الدائمة الانتظام والاتساق والغيوث المتتابعة الاتصال الموالية بالغدو والآصال ، ومن أشرفها لديه قدراً وأعظمها صيتاً وذكراً ، وأسناها جلالا وفخراً الموهبة بما جدده الآن بأن رزقه مولوداً زكياً مرضياً براً تقياً ، وذلك فى الليلة المصبحة بيوم الأحد الرابع من شهر ربيع الأول سنة ٥٢٤ هـ ؛ ارتاحت إلى طيب ذكره أسرة المنابر وتطلعت إلى مواهبه آمال كل باد وحاضر ، وأضاءت بأنوار عزته وبهجة طلعته ظلم الدياجر ، وانتظمت به للدولة الزاهرة الفاطمية عقود المفاصل والمفاخر استخرجه من سلالة النبوة كما يستخرج النور من النور . ومنح المؤمنين منه بما قدح زناد السرور وسماه الطيب لطيب عنصره وكناه أبا القاسم كنية جده بنى الهدى المستخرج جوهره من جوهره ؛ وأمير المؤمنين يشكر الله تعالى على مامن به من إطلاعه كوكبا منيراً فى سماء دولته وشهابا مضيئا فى فلك جلالته ورفعته شكراً يقضى باستدامة نعمته . . ويسأله أن يبلغه فيه كنه الآمال ويصل به حبل الإمامة ما اتصلت الأيام بالليالى ويجعله عصمة للمسترشدين وحجة على الجاحدين وعونا للمنتجين وسعادة للعارفين لتنال الدنيا بسعادته أوفى حظوظها وقسمها . . ولما كانت من حضرة أمير المؤمنين المكين ومحلك الذى امتنع عن المماثل والقرين ، أبشرك هذه البشرى الجليل قدرها ، العظيم فخرها المنتشر صيتها وذكرها لتأخذى من المسرة بها بأوفى نصيب وتذيعيها فيمن قبلك من الأولياء والمستجيبين إذاعة يتساوى فى المعرفة بها كل بعيد منها وقريب لينتظم بها عقد السرور ، فاعلمى هذا واعملى به إن شاء

الله تعالى وصلى الله على رسوله سيدنا محمد وعلى آله والأئمة الطاهرين وسلم وشرف وكرم إلى يوم الدين » .

لما قتل الخليفة الآمر فى أواخر سنة ٥٢٤ هـ ، انتقلت السلطة إلى الأمير عبد المجيد بن محمد بن المستنصر فأخفى أمر الإمام الطيب وبايعه الناس بولاية العهد على أن يكون كفيلا لحمل منتظر[1] ، ولقب الحافظ لدين الله ، لكن سرعان ما حيل بينه وبين التصرف فى شئون الدولة ، فقد سجنه الوزير أبو على أحمد بن الأفضل ، وظل فى سجنه إلى أن قتل هذا الوزير ، فأعاده رجال الدولة ولياً للعهد[2] ، ثم استقرت له الخلافة وقرىء فى ٣ ربيع الآخر سنة ٥٢٦ هـ سجل بإمامته ، وأمر بأن يدعى له على المنابر بهذه العبارة : اللهم صلى على الذى شيدت به الدين بعد أن رام الأعداء دثوره وأقررت به الإسلام بأن جعلت طلوعه على الأمة وظهوره آية لمن تدبر الحقائق بباطن البصيرة مولانا وسيدنا وإمام عصرنا وزماننا عبـــد المجيد أبى ميمون وعلى آبائه الطاهرين وأبنائه الأكرمين صلاة دائمة إلى يوم الدين[3] »

لم تنظر السيدة الحرة إلى الوسيلة التى اتبعها الخليفة الحافظ للوصول إلى عرش الخلافة بعين الرضا ، فقد اعتبرت إمامته باطلة على الرغم من الكتب التى أرسلها إليها ؛ فقد بعث إليها على أثر توليته الحكم سجلا بدأه بعبارة « من ولى عهد المسلمين » ، ثم أرسل إليها سجلا آخر فى السنة التالية مبتدئا بعبارة « من أمير المؤمنين » وقد حاول الحافظ فى كتبه التى بعثها إلى السيدة الحرة أن يستميلها إليه ، لكنه أخفق فى ذلك لأنها كانت على علم بمولد

(١) يتضح مما أورده كل من ابن ميسر « تاريخ مصر ص ٧٤ » ، أبو المحاسن (النجوم الزاهرة ، ج ٥ ، ص ٢٤٠ — ٢٤١) أن الآمر لما مات ترك إحدى نسائه حاملا ، فأقيم الحافظ ولياً للعهد وكفيلا لطفل مرتقب .

(٢) المقريزى ، خطط ، ج ٢ ، ص ٣٥٧ .

(٣) ابن ميسر ، تاريخ مصر ص ٧٤ — ٧٥ .

الإمام الطيب وأخذت على نفسها العهد بنشر الدعوة له ؛ ولهذا تخلت عن الدعوة للخليفة الحافظ وقالت،حسب بنى الصليحى ما عندوه من أمر مولانا الامام الطيب(١) .

ظلت السيدة الحرة تعمل جاهدة على أن يكون للدعوة الطيبية فى بلاد اليمن النفوذ الأسمى وامتد نشاطها فى سبيل الإبقاء على تلك الدعوة إلى بلاد الحجاز،ذلك أنها حين وصل إليها أن أمير مكة هاشم بن فليتة بن القاسم(٢) (٥٢٧ — ٥٤٩ ﻫ) يقيم الخطبة للخليفة الحافظ بعثت إليه تتوعده إن لم يعمل على قطع الخطبة لهذا الخليفة(٣) ؛ ولا شك أنها كانت تأمل من وراء ذلك أن يحذو الأمير حذوها فى إقامة الدعوة للإمام الطيب .

لقى عدم اعتراف السيدة الحرة بإمامة الخليفة الحافظ ارتياحا من فرقة المستعلية بمصر التى كانت ترى وجوب انحصار الإمامة فى أولاد المستعلى ، بل إن هذه الفرقة نظرت إلى السيدة الحرة على أنها الممثلة الحقيقية للمذهب الإسماعيلى فى بلاد اليمن .

على أن الخليفة الحافظ لم يفقد الأمل فى نشر الدعوة له فى بعض مدن اليمن ؛ فقد استعان بآل زريع بعدن فى بث دعوته . وكان لجدهم عباس بن المكرم(٤) مآثر طيبة فى نشر الدعوة المستنصر بالله الفاطمى مع الداعى

---

(١) عمارة اليمنى ، تاريخ اليمن ص ١٠٢ .

(٢) صح هذا الإسم طبقاً لما أورده « Zambaur, Manuel de- Généalogic et de Chronologie pour L, Histoire de L' Islam p. 21 »

(٣) ابن خلدون ، ج ٤ ص ١٠٤ .

(٤) كان بنو معن بن زائدة قد ملكوا عدن أيام الخليفة المأمون العباسى ورفضوا الدخول فى طاعة إبنى زياد بزبيد واكتفوا باقامة الخطبة للخليفة العباسى، ولما استولى الداعى على بن محمد الصليحى على بلاد اليمن رعى لهم حق العروبة وأبقاها فى أيديهم ، وقرر عليهم ضريبة سنوية ، ولم يزالوا بها حتى أخرجهم منها ابنه المكرم أحمد وولى عليها العباس ومسعود ابنى المكرم الهمدانى .

تاريخ ابن المجاور القسم الأول ورقة ٩٩ . العرشى ، بلوغ المرام فى شرح مسك الختام ص ٢٧ .

علي بن محمد الصليحي ثم مع ابنه أحمد المكرم(١).

ولي العباس بن المكرم وأخوه مسعود ولاية عدن من قبل السيدة الحرة ، وظلا يحملان إليها كل سنة مائة ألف دينار ، ولما توفي العباس انتقل عمله إلى ابنه زريع ، وخلف مسعود ابنه أبو الغارات . وقد خرج كل من زريع وأبو الغارات على طاعة السيدة الحرة ، فحاربهما وزيرها المفضل بن أبي البركات ، ثم تصالحا معه على أن يؤديا للسيدة الحرة نصف خراج عدن ؛ غير أن هذا الصلح لم يدم طويلا . وظل آل زريع يناضلون السيدة الحرة حتى تخلصوا من نفوذها في عدن(٢) .

عني دعاة آل زريع بإقامة الدعوة للخليفة الحافظ ، كما حرص هذا الخليفة على تقليدهم أمر دعوته ، فبعث في سنة ٥٣٥ هـ رسالة مع أحد رسله تتضمن تقليد علي بن سبأ بن أبي السعود بن زريع الدعوة . ولما علم الرسول أن هذا الرجل قد توفي قلدها أخاه محمد بن سبأ(٣) ولقب بالداعي المعظم المتوج المكنى بسيف أمير المؤمنين(٤) . وبلغ من اهتمام الخليفة الحافظ بإقامة الدعوة له أن أرسل في سنة ٥٣٩ هـ رسولا من قبله إلى بلاد اليمن يدعى أحمد بن علي بن إبراهيم بن الزبير الغساني الأسواني ليقوم بنشر دعوته(٥) .

كان من أثر قيام السيدة الحرة بالدعوة للإمام الطيب دون الخليفة الحافظ وانفراد آل زريع بالدعوة لهذا الخليفة أن انقسمت إسماعيلية اليمن تبعاً لذلك إلى طائفتين : إحداهما تؤيد الدعوة الطيبية وعلى رأسها السيدة الحرة ، والأخرى تناصر الخليفة الحافظ يتزعمها آل زريع .

---

(١) عمارة اليمني . تاريخ اليمن ص ٤٨ ، تاريخ المجاور : القسم الأول ورقة ٩٨ .
(٢) تاريخ ابن المجاور . القسم الأول ورقة ٩٩ .
(٣) ابن المؤيد اليمني . أنباء الزمن في تاريخ اليمن ص ٤٧ .
(٤) ابن خلدون . جـ ٤ ص ٢١٩ .
(٥) الأدفوي . الطالع السعيد الجامع لأسماء نجباء الصعيد ص ٥ .

على أن الدعوة الطيبية مالبثت أن ضعف أمرها بعد وفاة السيدة الحرة سنة ٥٣٢ هـ. ويرجع السبب فى ذلك إلى أنه لم يكن هناك بين الصليحيين شخصية قوية تستطيع أن تخلف هذه السيدة وتسير سيرتها فى نشر الدعوة للإمام الطيب؛ فقد زال ملكهم وآلت الحصون والذخائر والأموال التى كانت تحت السيدة الحرة إلى منصور بن المفضل بن أبى البركات الذى عجز عن الاحتفاظ بما انتقل إليه من ملك.

تطلع آل زريع بعد أن توفيت السيدة الحرة إلى بسط سلطانهم على قلاع الصليحيين الذين زالت دولتهم، فاستغل الداعى محمد بن سبأ الزريعى ضعف المنصور بن المفضل بن أبى البركات الذى آلت إليه هذه القلاع وابتاعها منه بمائة ألف دينار فى سنة ٥٤٧ هـ(١)، فقوى نفوذهم تبعاً لذلك؛ وظلوا موالين للخلافة الفاطمية فى مصر، يؤدون إليها فى كل سنة مبلغاً معيناً من المال للانفاق منه على المذهب الاسماعيلى(٢).

أخذت دولة بنى زريع بعدن فى الانحلال بعد وفاة محمد بن سبأ الزريعى سنة ٥٤٨؛ وتجلى ضعفها فى عهد ابنه عمران الذى استعان بياسر بن بلال فى تدبير أمور دولته واستمر على ولائه للفاطميين إلى أن توفى سنة ٥٦٠ هـ؛ فاستأثر ياسر بالسلطة(٣) وزال بذلك ملك بنى زريع.

* * *

زوال النفوذ الفاطمى فى اليمن: أصبح النفوذ الفاطمى فى بلاد اليمن مهدداً بالزوال منذ ولى صلاح الدين يوسف بن أيوب مقاليد الأمور فى مصر بعد قضائه على الخلافة الفاطمية سنة ٥٦٧ هـ، فقد طمع فى بسط سلطانه

(١) المقريزى: خطط جـ ٢ ص ١٧٤.
(٢) تاريخ ابن المجاور: القسم الثانى ورقة ١٠٣.
(٣) ابن خلدون: جـ ٣ ص ٢٤٩.

على البلاد التي كانت تحت السيادة الفاطمية وولى وجهه في بادىء الأمر نحو اليمن(١) ، فبعث إليها أخاه الأمير شمس الدولة توران شاه على رأس حملة سنة ٥٦٩ هـ ، ولما وصل توران شاه إلى تلك البلاد بدأ عمله بالقضاء على دولة بنى مهدى بزبيد التي كانت تناصر الفاطميين بمصر(٢) ، فقبض على أميرها عبد النبي بن مهدى لقطعه الخطبة العباسية واستولى على زبيد ، ثم فتح صنعاء وسار إلى عدن حيث أوقع الهزيمة بواليها ياسر بن بلال وضمها إلى حوزته . ولما فرغ من أمرها عاد إلى زبيد وامتلك قلعة تعز — وهي من أحسن القلاع — . ولم يزل يتقدم في فتوحه حتى بسط سلطانه على معظم بلاد اليمن(٣) ، وتلقب بالملك المعظم وخطب له بذلك بعد الخليفة المستضىء بأمر الله العباسي في جميع البلاد التي فتحها(٤) . وولى سيف الدولة مبارك ابن منقذ على زبيد ، وعز الدين عثمان بن الزنجبيلي على عدن ، كما عين في كل قلعة من قلاع اليمن التي دخلت في حوزته نائباً من أصحابه(٥) ، ثم عاد إلى مصر سنة ٥٧١ هـ(٦) .

وهكذا قضى على الدعوة الفاطمية ببلاد اليمن ، كما زال نفوذ الفاطميين منها وانتقلت السيادة في تلك البلاد إلى الأيوبيين الذين حرصوا على إظهار ولائهم للخلفاء العباسيين وأقاموا الخطبة لهم في جميع البلاد التي تحت سيطرتهم .

---

(١) ذكر المقريزى « السلوك لمعرفة دول الملوك ج ١ القسم الأول ص ٥٢ ، ٥٣ » أنه من الأسباب التي حملت صلاح الدين على فتح بلاد اليمن رغبته في إقامة دولة بها يلجأ إليها إذا ما حاول نور الدين محمود أن ينزع منه مصر .

(٢) أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ج ٦ ص ٦٩ .

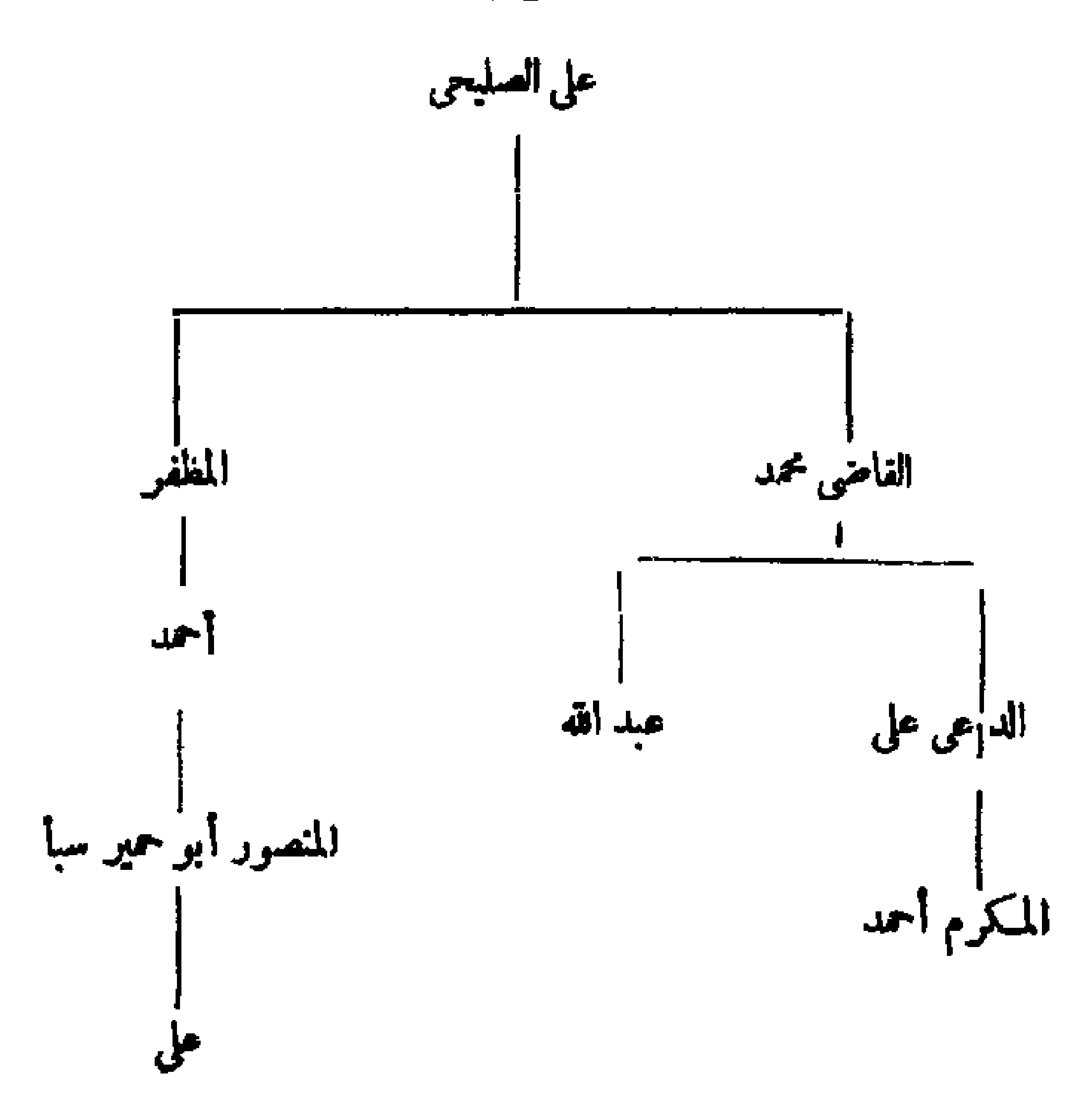
(٣) ابن الأثير : الكامل في التاريخ ج ١١ ص ١٤٨ — ١٤٩ ، المقريزى خطط ج ٢ ص ١٧٣ .

(٤) المقريزى : السلوك لمعرفة دول الملوك ج ١ القسم الأول ص ٥٣ .

(٥) ابن الأثير : الكامل في التاريخ ج ١١ ص ١٤٩ .

(٦) العرشي : بلوغ المرام في شرح مسك الختام ص ٤١ .

أسرة الصليحى ببلاد اليمن (١)



(١) Kay, Yaman, Its Early Mediaeval History p. 304

الباب الخامس

سياسة الفاطميين فى بسط سلطانهم على بلاد الشام

تمهيد : الحياة السياسية فى بلاد الشام قبيل الفتح الفاطمى

١- الفتح الفاطمى لبلاد الشام.

٢- الصعوبات التى واجهت الفاطميين فى بلاد الشام من ناحيتى القرامطة وأفتكين التركى.

٣- موقف أمراء العرب بالشام من الفاطميين.

(أ) بنو الجراح فى فلسطين .

(ب) الحمدانيون والمرداسيون فى شمال الشام.

٤- ضعف النفوذ الفاطمى فى بلاد الشام فى أواخر القرن الخامس الهجرى.

الباب الخامس

سياسة الفاطميين فى بسط سلطانهم على بلاد الشام

تمهيد : الحالة السياسية فى بلاد الشام قبيل الفتح الفاطمى :

حرص الاخشيديون أثناء ولايتهم على مصر على توطيد نفوذهم بولاية الشام التى تقلدوا حكمها ؛ فلما علم محمد بن طغج الاخشيد أن محمد بن رائق الخزرى ، أمير الأمراء فى بغداد يطمع فى ولاية الشام ، كتب إلى نائبه ببغداد يطلب إليه أن يستطلع رأى الخليفة فى هذا الأمر . غير أن الخليفة العباسى لم يكن إذ ذاك لديه من النفوذ بحيث يستطيع أن يتخذ قراراً يلزم أحد الفريقين باتباعه ، لذلك استقر رأى الاخشيد على إعداد العدة لمحاربة محمد بن رائق[1] ، فخرج على رأس جيشه فى أوائل سنة ٣٢٨ هـ ، ودارت بينه وبين ابن رائق معركة فى العريش ؛ فمضى ابن رائق منهزماً إلى الرملة ، ثم عقد الصلح بين الفريقين واتفقا على أن تكون طبرية وما فى شمالها من البلاد لمحمد بن رائق[2] .

على أن ابن رائق ما لبث أن نقض هذا الصلح ، وقصد الرملة فى طريقه إلى مصر . واستؤنف القتال بينه وبين الأخشيد ، فلحقت الهزيمة فى بداية الأمر بالأخشيد عند العريش ، ثم أرسل الأخشيد جيشاً لمطاردة ابن رائق ؛ غير أنه لم يتمكن من إحراز النصر عليه . ورأى محمد بن رائق رغم ذلك أن يسعى لمصالحته[3] . وانتهى النزاع بينهما بعقد الصلح على أن

---

(١) الكندى : الولاة والقضاة ص ٢٨٩ .

(٢) سيدة كاشف : مصر فى عهد الأخشيديين . ص ٨٢ — ٨٣ .

(٣) انظر : مصر فى عهد الاخشيديين . ص ٨٣ .

يحكم ابن رائق الولايات الشامية شمالي الرملة ، وعلى أن يدفع الإخشيد إليه جزية سنوية قدرها مائة وأربعون ألف دينار(١) . ومن المحتمل أن الإخشيد اضطر إلى قبول الصلح على هذه الصورة رغم ما أحرزه من نصر خشية أن تواصل الخلافة العباسية الحملات عليه ورغبة لإعداد نفسه لدرء الخطر الفاطمي الذي كان يهدده من ناحية حدود مصر الغربية(٢) .

استطاع الإخشيد أن يعيد بلاد الشام إلى حوزته من غير حرب بعد وفاة ابن رائق ؛ وبذلك استقر حكمه في هذه البلاد وأصبح من القوة بحيث استطاع أن يحصل على تقليد في بداية سنة ٣٣٣ هـ من الخليفة المتقي بولاية مصر وحق توريث إمارتها لأبنائه من بعده ، كما أخذ تقليداً من الخليفة المستكفي في جمادى الآخرة من هذه السنة ، أقره فيه على ولاية مصر والشام(٣) .

لم يحتفظ الإخشيد فترة طويلة بسلطانه على جميع بلاد الشام ويرجع السبب في ذلك إلى تطلع الحمدانيين(٤) إلى انتزاع هذه البلاد من أيدي الإخشيديين .

---

(١) المقريزي : المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار ، ج ١ ، ٣٢٩ .

(٢) حسن إبراهيم : كتاب تاريخ الإسلام السياسي ، ج ٣ ص ٦٨ .

(٣) الكندي : الولاة والقضاة ، ص ٢٩٢ ، سيدة كاشف : مصر في عصر الأخشيديين ص ٨٦ .

(٤) ينسب الحمدانيون إلى حمدان بن حمدون من قبيلة تغلب وموطنها ديار ربيعة في الجزيرة بالقرب من سنجار ونصيبين . وكان لحمدان ستة أولاد هم ؛ إبراهيم والحسين ونصر وأبو السرايا وأبو الهيجاء عبد الله ، وأبو العلاء سعيد ، وداود . وقد ظهر نفوذ الحمدانيين في الموصل منذ أن تقلد ولايتها عبد الله بن حمدان من قبل الخليفة المكتفي سنة ٢٩٢ هـ ، (ابن خلكان : وفيات الأعيان ، ج ١ ، ص ١٧٥) . ولما ولى المقتدر الخلافة أقره والياً عليها ، فظل يلي أمورها حتى سنة ٣١٧ هـ حيث اشترك في المؤامرة التي دبرت لخلع المقتدر ، فكان مصيره القتل (أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ، ج ٢ ص ٢٢٣) .

على أن الخليفة المقتدر رغم ذلك حرص على الاستعانة بالحمدانيين وعلى الأخص في إقليم =

فلما أسندت ولاية حلب إلى أبى الفتح عثمان بن سعيد الكلابى حقد عليه أهل بيته من الكلابيين وراسلوا سيف الدولة بن حمدان ليسلموا إليه حلب ، وكان سيف الدولة قد طلب من أخيه ناصر الدولة أن يوليه إحدى الولايات ، فقال له ناصر الدولة : الشام أمامك وما فيه أحد يمنعك منه . فلما وقف سيف الدولة على الخلاف القائم بين الكلابيين وأيقن من عجز أبى الفتح والى حلب عن مقاومته ، سار فى جيشه الصغير قاصداً حلب ، فقابله إخوة أبى الفتح الكلابى عند نهر الفرات وأعلنوا ولاءهم له ، كما أن أباالفتح نفسه ما لبث أن لقى سيف الدولة ودخل فى طاعته(١) ، وبذلك تيسر لسيف الدولة الاستيلاء على حلب وأصبح أميراً عليها منذ سنة ٣٣٣ هـ ، وبدأ عمله بإقامة الخطبة للخليفة العباسى المستكفى ولأخيه ناصر الدولة ولنفسه .

لما وصل إلى محمد بن طغج الإخشيد نبأ دخول سيف الدولة حلب وإقامته الخطبة للخليفة العباسى ، كتب إلى الخليفة بذلك ، فأرسل إليه وإلى ابنه أرنوجور خلعاً دليلا على تأييده له . على أن سيف الدولة ما لبث أن كشف عن نواياه بعد أن استقرت له الأمور فى حلب ، فسار إلى حمص

= الجزيرة لاعتقاده أنهم يستطيعون إخماد حركات القبائل المتنافرة بهذا الإقليم ، فأسند إلى الحسن بن عبد الله بن حمدان ولاية الموصل وقد استطاع هذا الأمير أن يحتفظ بنفوذه فى الموصل منذ سنة ٣١٧ هـ ، كما تمكن من بسط سلطانه على جميع أرجاء ديار بكر وديار ربيعة (ابن الأثير ، الكامل فى التاريخ ، ج ٨ ص ٦٧ ، ٦٨) .

ولما استولى البريديون على بغداد ونهبوا دار الخلافة اضطر الخليفة المتقى إلى الهرب منها وسار مع فريق من جيشه إلى الموصل ، فقضى بها ما يقرب من أربعة أشهر ، ثم عاد إلى بغداد فى شوال سنة ٣٣٠ هـ ، وعلا منذ ذلك الوقت شأن بنى حمدان ، فخلع المتقى على الحسن بن عبد الله ولقبه ناصر الدولة كما خلع على أخيه على بن عبد الله ولقبه سيف الدولة (مسكويه : تجارب الأمم ، ج ٢ ، ص ٢٨) .

(١) ابن العديم الحلبى . زبدة الحلب فى تاريخ حلب ، ص ٣٦٥ — ٣٦٧ .

يريد دمشق ولما بلغ الإخشيد أن سيف الدولة عزم على بسط سلطانه على دمشق ، أرسل إلى الشام جيشاً التقى بسيف الدولة عند بلدة الرستن[١] ، فكان النصر حليف الحمدانيين ، وتقهقر الجيش الإخشيدى إلى دمشق ، ثم خرج منها قاصداً الرملة فى طريق عودته إلى مصر ، وسار سيف الدولة فى أثر الجند المصريين يريد دمشق ، وكتب إلى أهلها كتاباً ، قرىء على منبر المسجد الأموى(٢). وقد تضمن هذا الكتاب حرصه على صيانة أرواحهم والمحافظة على أموالهم .

استقر رأى محمد بن طغج الإخشيد بعد أن وصلته نسخة من كتاب سيف الدولة على أن يسير بنفسه لمحاربته ، فاستخلف على مصر ابنه أونوجور وسار على رأس جيش كبير إلى دمشق ، والتقى الفريقان فى قنسرين . وكان النصر فى البداية حليف سيف الدولة ، غير أن هذا النصر ما لبث أن انقلب إلى هزيمة ، فدخل الإخشيد حلب حاضرة الحمدانيين واسترد دمشق .

وعلى الرغم من انتصار الإخشيد ، فإنه رأى أن يصالح الحمدانيين ، وتم الصلح بين الأميرين فى ربيع الأول سنة ٣٣٤ هـ ، على أن يكون لسيف الدولة حلب وما يليها من بلاد الشام شمالا ، وأن يكون للأخشيد دمشق وأعمالها ، كما تضمن الصلح أن يدفع الإخشيد لسيف الدولة جزية سنوية(٣) .

---

(١) تقع على نهر العاصى الذى يمر بالقرب من حماه .

(٢) ابن سعيد : المغرب فى ذكر بلاد إفريقية والمغرب ص ٤١ — ٤٢ ، سيدة كاشف : مصر فى عصر الإخشيديين ، ص ٣٥٠ .

(٣) أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ، جـ ٧ ص ٢٧٨ ، ٢٨٢ — ٢٨٣ .

ومن المرجح أن الإخشيد سعى إلى عقد الصلح مع سيف الدولة لأنه كان يعتقد أن انتصاره عليه لم يكن حاسماً وأن الحرب بينهما ستظل قائمة إلى أن يتم النصر لسيف الدولة ، كما أنه كان على يقين من أن النزاع بينه وبين الحمدانيين على الشام سينتهي بانتصارهم عليه لأن هذا الإقليم يعد المجال الحيوى لاتساع سلطانهم ، وفضلا عن ذلك فإن الإخشيد كان يرمى من إبرام الصلح مع سيف الدولة على هذه الصورة أن يبقى الدولة الحمدانية حصناً منيعاً بينه وبين البيزنطيين يكفيه مؤونة التعرض لهجومهم من وقت لآخر(١).

لما خلت دمشق من حامية قوية ترد غارة الحمدانيين على أثر وفاة محمد ابن طغج الإخشيد وعودة جنده من الشام إلى مصر ، انتهز هذه الفرصة سيف الدولة الحمدانى واتجه إليها بجيشه ، فسقطت فى يده بعد أن استسلم إليه حاكمها الإخشيدى ، ولم يكتف بذلك ، بل عمد إلى مطالبة أهلها بودائع الإخشيد ، فكاتبوا كافوراً يستدعونه من مصر ، فجاءهم بصحبة سيده أونوجور(٢) ، ثم دار القتال بين الفريقين ، فكان النصر حليف المصريين وتقهقر سيف الدولة إلى دمشق فحمص حيث أعاد تنظيم صفوفه ، وجمع جيشاً كبيراً من الأعراب هاجم به الجنود المصريين شمالى دمشق ، فلحقت به الهزيمة وطارده الإخشيديون إلى حلب ، فهرب إلى الرقة ، ثم بدأت المفاوضات بين الحمدانيين والإخشيديين ، وانتهت إلى عقد معاهدة الصلح بنفس الشروط التى كانت بين محمد الإخشيد وسيف الدولة(٣) ما عدا

---

(١) حسن إبراهيم : تاريخ الإسلام السياسى ، ج ٣ ص ٢١١ .

(٢) ابن الأثير . الكامل فى التاريخ ، ج ٨ ص ١٥١ ، ابن العديم : زبدة الحلب فى تاريخ حلب ، ص ٣٧١ — ٣٧٢ .

(٣) أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ، ج ٣ ص ٣٩١ — ٣٩٢ .

الجزية ، فإن الإخشيديين لم يقبلوا دفعها(١) وكان من نتائج هذا الصلح أن ساد الصفاء بين الحمدانيين والإخشيديين(٢) .

لم يكن الحمدانيون هم الذين حاولوا وحدهم إضعاف نفوذ الإخشيديين فى بلاد الشام ، بل تعرضت هذه البلاد أيضاً لغارات قرامطة بلاد البحرين(٣) ، فقامت فى عهد أميرهم أحمد بن أبى سعيد (٣٢٢ - ٣٥٩هـ) حملتان لغزو بلاد الشام : الأولى فى سنة ٣٥٣ هـ (٤) وتعرف بحملة طبرية . وقد تمكنت هذه الحملة بمعاونة الحمدانيين من إحراز النصر على الحسن بن عبيد الله بن طغج الإخشيد الذى كان يلى هذه البلاد من قبل الإخشيديين(٥) . أما الحملة الثانية ، فأغارت على بلاد الشام سنة ٣٥٧ هـ وعجز الإخشيديون عن صدها ، فسقطت الرملة فى أيدى القرامطة ، واضطر الحسن بن عبيد الله بن طغج الإخشيد إلى الاتفاق معهم على أن يدفع لهم ثلاثمائة ألف دينار كل سنة(٦) ، وبذلك امتد نفوذ دولة القرامطة إلى بلاد الشام فى أواخر عهد الأخشيديين

---

(١) ابن العديم : زبدة الحلب فى تاريخ حلب ، ص ٣٧٣ — ٣٧٤ .

(٢) سيدة كاشف : مصر فى عصر الأخشيديين ، ص ٣٥٤ .

(٣) أسس أبو سعيد الحسن بن بهرام الجنابى دولة القرامطة ببلاد البحرين سنة ٢٨٦ ، وقد استطاعت هذه الدولة أن تبسط نفوذها على كثير من أرجاء جزيرة العرب ، كما قامت بها حكومة ملكية وراثية فى بيت أبى سعيد (راجع كتاب النفوذ الفاطمى فى جزيرة العرب للمؤلف ، ص ٢١ — ٣٩)

(٤) المقريزى : خطط ، ج ١ ص ٣٢٩ .

(٥) حسن إبراهيم ، طه شرف : كتاب المعز لدين الله الفاطمى ، ص ١٠٠ .

(٦) المقريزى : اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الخلفا ، ص ٢٤٧ — ٢٤٨ .

De Coeje : Les carmathes du Bahrian p. 186·

١ — الفتح الفاطمى لبلاد الشام

حرص الفاطميون منذ أقاموا خلافتهم فى بلاد المغرب فى أواخر القرن الثالث الهجرى على تقويض دعائم الخلافة العباسية وانتزاع زعامة الإسلام منها ؛ فأسند المعز لدين الله الفاطمى إلى قائده جوهر الصقلى قيادة الحملة التى أرسلها إلى مصر سنة ٣٥٨ هـ وقد تكللت مجهودات جوهر الصقلى فى فتح مصر بالنجاح ، فأقيمت الخطبة للخليفة الفاطمى على منابرها بدلا من الخليفة العباسى ، وأصبحت القاهرة بعد أن اتخذها المعز لدين الله حاضرة لخلافته سنة ٣٦٢ هـ مركزاً للدعوة الشيعية التى ظل العباسيون يقاومونها زهاء قرنين .

كانت الضرورة السياسية والحربية تقضى على الفاطميين بعد أن تم لهم فتح مصر أن يولوا وجوههم شطر بلاد الشام . ولم تخف عن جوهر الصقلى تلك الحقيقة ، فعمل على فتح هذه البلاد رغبة فى تأمين حدود مصر من ناحية الشمال الشرقى والوقوف فى وجه الروم والقرامطة .

وقد تضمن كتاب الأمان الذى أعلنه جوهر للمصريين (فى شعبان سنة ٣٥٨ هـ) إشارة ظاهرة إلى خطر القرامطة الذين اجتاحوا بلاد الشام وأوقعوا الهزيمة بقوات الأخشيد بين سنة ٣٥٧ هـ ، وأخذوا يهددون مصر ؛ فجاء فيه(١) : « وهو أنه — صلوات الله عليه — لم يكن إخراجه العساكر المنصورة والجيوش المظفرة إلا لما فيه إعزازكم وحمايتكم والجهاد عنكم » كما ورد فى هذا الأمان أيضاً : « ولكم على أمان الله التام العام ، الدائم المتصل الشامل الكامل ، المتجدد المتأكد على الأيام وكرور الأعوام فى أنفسكم

---

(١) المقريزى ، اتعاظ الحنفا ، ص ١٤٨ ، ١٥١ — ١٥٢ .

وأموالكم وأهليكم . . . وعلى أن لا يعترض عليكم معترض ، ولا يتجنى عليكم متجن ، ولا يتعقب عليكم متعقب ، وعلى أنكم تصانون وتحفظون وتحرسون ويذب عنكم ويمنع منكم ، فلا يتعرض إلى أذاكم ولا يسارع أحد فى الاعتداء عليكم » .

لما تم لجوهر الصقلى فتح مصر وأيقن أن النفوذ الفاطمى قد توطد فيها ، أرسل حملة إلى فلسطين أسند قيادتها إلى جعفر بن فلاح الكتامى فى أواخر سنة ٣٥٩هـ(١) ، فرأى الإخشيديون فى الشام بعد أن وصلت إليهم أنباء هذه الحملة أن يعدوا أنفسهم لصدها ، فخرج الحسن بن عبيدالله بن طغج الإخشيد — الذى كان يلى بلاد الشام إذ ذاك — من مدينة دمشق قاصداً الرملة واستخلف شمولا الأخشيدى على دمشق ؛ على أن هذا الوالى لم يكن مخلصا للحسن بن عبيد الله ، فتقاعد عن نصرته .

لما وصل جعفر بن فلاح إلى الرملة ، دعا ولاة الشام إلى طاعة المعز لدين الله الخليفة الفاطمى ببلاد المغرب ، فأجاب دعوته فريق منهم . أما الحسن بن عبيد الله بن طغج الأخشيد ، فإنه استنجد بعماله على دمشق وطبرية فلم يسارع أحد منهم إلى نجدته . وانتهت الحرب التى دارت بين جعفر بن فلاح والحسن بن عبيد الله فى الرملة بهزيمة الحسن وأسره مع كثير من جنده(٢) ، ثم سيق إلى الفسطاط حيث أرسل إلى بلاد المغرب ؛ فظل بها حتى توفى سنة ٣٧١هـ فى خلافة العزيز بالله .

استأنف جعفر بن فلاح السير إلى طبرية بعد انتصاره فى الرملة فبنى قصراً على الجسر الذى يشرف على المدينة ليحارب فاتك — غلام ملهم — وكان يلى أمورها من قبل كافور الأخشيدى ، فخافه كل من فاتك وملهم

(١) المقريزى : اتعاظ الحنفا ، ص ١٦٨ .

(٢) المقريزى : اتعاظ الحنفا ، ص ١٧١ ، حسن إبراهيم ، تاريخ الإسلام السياسى ج ٣ ص ٢٥٤ .

ولم يتعرضا له؛ وبذلك تيسر لجعفر دخول طبرية دون أن يلقى مقاومة تذكر من أهلها .

لما وصل إلى أهل دمشق نبأ استيلاء جعفر على طبرية خشوا بأسه ، وأرسلوا إليه جماعة من كبار رجالهم ، يطلبون الأمان ، لكنه لم يحسن استقبالهم ، فعادوا إلى دمشق ، ودارت رحى الحرب بين جنـــود جعفر وأهالى هذه المدينة فى أواخر سنة ٣٥٩هـ .وعلى الرغم من أن أهالى دمشق استطاعوا بمعاونة جند الإخشيديين الوقوف بضعة أيام فى وجه جعفر بن فلاح وجنده من المغاربة والقبائل العربية بالشام التى انضمت إليه ، فإن الهزيمة لحقت بهم واستولى جعفر على دمشق(١) .

لما رأى أهالى دمشق ماحل بجندهم من الهزيمة وعجزهم عن الوقوف فى وجه الفاطميين ، ندبوا بعض رجالاتهم لمقابلة جعفر ، وطلبوا إليه إصلاح حال مدينتهم وإعادتها إلى ما كانت عليه ، فقبض عليهم بعض جنده من المغاربة وسلبوهم ثيابهم . وكان لهذا العمل أسوأ الأثر فى نفوس أهالى دمشق .

على أن جعفر لم يلبث أن أخمد هذه الفتنة واضطر أهالى دمشق إلى مقابلته لطلب الأمان ، وما زالوا يتضرعون إليه حتى قال: ما أعفو عنكم حتى تخرجوا إلى ومعكم نساؤكم مكشوفات الشعور ، فيتمرغن فى التراب بين يدى لطلب العفو » ، فقالوا له : «نفعل مايقول القائد» ، وأخذوا يلحون عليه بالرجاء لعله يعفو عنهم . فهدأت ثائرته وانبسط معهم فى الكلام ، واستقر الرأى بينه وبينهم على أن يصلى هو ورجاله يوم الجمعة فى مسجد دمشق ، فدخل المسجد هو وأصحابه ، وأقيمت فى هذا اليوم الخطبة للخليفة الفاطمى المعز لدين الله ، وحذف اسم الخليفة العباسى المطيع . وكان ذلك

---

(١) المقريزى : اتعاظ الحنفا ، ص ١٧٣ — ١٧٥ .

فى المحرم سنة ٣٦٠هـ(١) .

لم تكد تستقر الأمور فى دمشق حتى عاد جند جعفر إلى العبث بالنظام فانتهكوا حرمة بعض المنازل وسلبوا ما فيها . وكان ذلك مما حمل أهل دمشق على مقاتلتهم ، واضطر شيوخ هذه المدينة إلى مقابلة جعفر لطلب الأمان من جديد ، فقال لهم : « دخل رجال أمير المؤمنين للصلاة فقتلتموهم » ، ثم هددهم باستعمال العنف ، فأخذوا يهدئون من روعه حتى وعدهم بالعفو إذا دفعوا دية من قتل من جنوده ، فأجابوه إلى طلبه وقدموا له الأموال الكثيرة .

لما رأى جعفر بن فلاح أنه لن يستطيع توطيد سلطان الفاطميين فى دمشق إلا بالقضاء على زعماء الفتنة من أهلها ، أرسل جنده فى طلبهم ، وعندما تمكنوا من القبض عليهم ، أمر جعفر بضرب أعناقهم . وكان من بينهم إسحق بن عصودا ، ولم ينج منهم إلا أبو القاسم بن أبى يعلى العباسى ومحمد بن عصودا . وقد حاول ابن أبى يعلى الهرب إلى بغداد ، فقبض عليه عند تدمر ، وسيق به إلى جعفر بن فلاح حيث شهر به ثم أرسل إلى مصر . أما محمد بن عصودا وظالم بن موهوب العقيلى والى حوران من قبل الإخشيديين فلحقا بالقرامطة فى الأحساء(٢) .

على الرغم من أن جعفر بن فلاح حالفه النصر فى بلاد الشام ، فإن سياسة العنف التى اتبعها فى دمشق وإساءة جنده معاملة الأهلين ، واستهتارهم بأرواحهم ، أثارت سخط الناس عليه ، فدبر أهل دمشق المؤامرات لإقصاء هذا القائد والقضاء عليه والتخلص من حكم الفاطميين الذين يخالفونهم فى المذهب الدينى .

(١) المقريزى : اتعاظ الحنفا ، ص ١٧٦ .
(٢) المقريزى : اتعاظ الحنفا ، ص ١٧٦ — ١٧٧ .

لم يؤد استيلاء قوات جعفر بن فلاح على دمشق إلى بسط سلطان الفاطميين على جميع أرجاء بلاد الشام ، فكان هناك الحمدانيون فى حلب — وقد لجأ إليهم كثير من أنصار الأخشيديين — كما أن الروم كانوا يهددون من حين لآخر المدن الشمالية والساحلية ببلاد الشام ، كذلك كان لقرامطة بلاد البحرين بعض النفوذ فى هذه البلاد منذ أغاروا عليها سنة ٣٥٧ هـ .

على أن الحمدانيين لم يكونوا فى ذلك الوقت من القوة بحيث يستطيعون مناوأة الفاطميين والوقوف فى وجوههم ، فقد أخذت دولتهم فى الضعف منذ وفاة سيف الدولة سنة ٣٥٦ هـ(١) . أما الروم ، فقد تكفل الحمدانيون فى النصف الأول من القرن الرابع الهجرى بصد غاراتهم ، ولولا الجهود التى بذلوها فى هذا السبيل لاستولوا على بلاد الشام فى غفلة العباسيين .

ولما اعتلى نقفور فوكاس (Nicephorus Phocas) عرش الدولة البيزنطية (٩٦٣ — ٩٦٩ م) تقدم الروم إلى حدود سوريا الشمالية ، فاستولى جيشه سنة ٣٥٨ هـ (٩٦٩ م) على أنطاكية التى كان يطمح إليها منذ زمن طويل لأنها كانت مدينة البطارقة والقديسين . لذلك اعتبرت منافسة لبيزنطة من الناحية الدينية . وبعد احتلال أنطاكية بمدة وجيزة حاصر قائد نقفور مدينة حلب واضطر قرعويه الذى كان إذ ذاك قد ثار على سعد الدولة ابن سيف الدولة الحمدانى إلى عقد صلح مهين مع البيزنطيين(٢) سنة ٣٥٩ هـ (٩٧٠ م) .

رأى جعفر بن فلاح بعد أن استقرت له الأمور ببلاد الشام ، أن استيلاء الروم على أنطاكية يهدد الحكم الفاطمى فى هذه البلاد ، ومن ثم أخذ فى تجهيز جيش كبير ضم إليه جنوداً من أعمال دمشق وفلسطين ،

---

(١) حسن إبراهيم : تاريخ الإسلام السياسى ، ج ٣ ، ص ٢١٣ .

(٢) Hitti. History of the Arabs· p· 460

وصار يرسل الحملة بعد الحملة إلى أنطاكية لإجلاء الروم عنها ، لكن هذه الحملات منيت بالفشل[١] .

كذلك واجه جعفر بن فلاح خطر قرامطة بلاد البحرين الذى يعد من أشد الأخطار التى هددت الحكم الفاطمى فى بلاد الشام . وكان هؤلاء القرامطة يرمون إلى بسط نفوذهم على هذه البلاد وتجلت أطماعهم فيها فى عهد أميرهم أحمد بن أبى سعيد حيث فرضوا منذ سنة ٣٥٧ هـ على الإخشيديين الذين كانوا يلون بعض مدن الشام إتاوة يؤدونها إلى حكومتهم كل سنة[٢]. وإذا أنعمنا النظر فى الظروف التى فرضت فيها هذه الإتاوة لا تضح لنا مدى حرص القرامطة على الاحتفاظ بسيادتهم على بلاد الشام .

---

(١) المقريزى : اتعاظ الحنفا ، ص ١٧٧ — ١٧٨ .

(٢) المقريزى . اتعاظ الحنفا ، ص ٢٤٧ .

٢ — الصعوبات التي واجهت الفاطميين في بلاد الشام

من ناحيتي القرامطة وأفتكين التركي

(ا) قرامطة بلاد البحرين : بدأ النزاع بين قرامطة بلاد البحرين والفاطميين منذ استولى الجيش الفاطمي بقيادة جعفر بن فلاح على دمشق ، فقد طالب الحسن بن أحمد بن أبي سعيد الملقب بالأعصم الذي ولي إمارة القرامطة سنة ٣٥٩ هـ بالإتاوة التي كان يدفعها الإخشيديون لحكومته . لكن جعفر بن فلاح رفض أداء هذه الإتاوة إليه(١) . وكان لهذه السياسة أسوأ الأثر في نفس الحسن بن أحمد الذي رأى أن سيادة دولته قد قضى عليها الفاطميون ، هذا بالإضافة إلى حرمان حكومته من ضريبة كبيرة كانت تؤدى إليها ؛ ومن ثم بدأ يناصبهم العداء ، واتبع سياسة جديدة إزاء الفاطميين تخالف سياسة من سبقه من أمراء القرامطة .

استقر رأي الحسن بن أحمد على أن يعد نفسه لمحاربة القوات الفاطمية ببلاد الشام وإجلائها عن هذه البلاد ، فبعث إلى المطيع العباسي وعز الدولة بختيار أمير بني بويه في العراق سنة ٣٦٠ هـ ، يطلب منهما أن يمداه بالمال والرجال ليتسنى له استرداد بلاد الشام ومصر من الفاطميين على أن يتولى حكم هذه البلاد من قبل العباسيين(٢) .

ولما كان البويهيون يستأثرون إذ ذاك بالسلطة في بغداد دون الخليفة العباسي ، لذلك رأوا في امتداد نفوذ الفاطميين إلى بلاد الشام ما يعرض سلطانهم في العراق للضعف والزوال ، ومن ثم رحب عز الدولة بختيار بمد القرامطة بالسلاح والمال لمعاونتهم على الوقوف في وجه الفاطميين ،

---

(١) ابن خلدون . العبر وديوان المبتدأ والخبر . ج ٤ ص ٩٠ .

(٢) أبو المحاسن . النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ، ج ٤ ص ٧٤

فأرسل إليهم – كما قال ابن القلانسي(١) – « ألف ألف درهم ، وألف جوشن ، وألف سيف ، وألف رمح ، وألف قوس ، وألف جعبة ، وقال: إذا وصل الحسن أبو على الجنابى إلى الكوفة حمل إليه جميع ذلك » .

كذلك طلب عز الدولة بختيار إلى الحمدانيين بالموصل إمداد الحسن بن أحمد زعيم القرامطة بالأموال ؛ فلاقى هذا الطلب قبولا منهم رغبة فى وقف الزحف الفاطمى . وبلغ من اهتمام عز الدولة بختيار بمديد المساعدة إلى القرامطة أن أرسل إلى أبى تغلب بن ناصر الدولة بن حمدان ، يطلب منه أن يؤدى إلى الحسن بن أحمد مبلغاً قدره أربعمائة ألف درهم . وفى ذلك يقول النويرى(٢) : « وكتب له على أبى تغلب بن ناصر الدولة بن حمدان بأربعمائة ألف درهم ، فرحل الحسن (ابن أحمد) من الكوفة حتى أتى الرحبة ، وعليها أبو تغلب بن حمدان ؛ فحمل إليه المال المسبب له ، وحمل إليه العلوفة » .

لم تقتصر معاونة أبى تغلب بن ناصر الدولة للحسن بن أحمد على مده بالأموال ، بل أمده أيضاً بقوة من الرجال قوامها الإخشيدية الذين وفدوا إليه فراراً مما لحق بهم فى مصر وفلسطين على يد جند الفاطميين من المغاربة(٣) . وكان لانضواء فريق من العقيليين بزعامة ظالم بن موهوب تحت لواء الحسن ابن أحمد أثر كبير فى ازدياد قواته وإحرازه النصر على خصمه(٤) .

---

(١) ذيل تاريخ دمشق ، ص١

(٢) نهاية الأرب فى فنون الأدب ، جـ ١٣ ورقة ٩٠

(٣) المقريزى : اتعاظ الحنفا ، ص ١٧٨

(٤) حسن إبراهيم وطه شرف : كتاب المعز لدين الله ، ص ١٠٩

لما أتم الحسن بن أحمد إعداد جيشه ، سار متجهاً إلى دمشق سنة ٣٦٠ هـ ليقضي على نفوذ الفاطميين في بلاد الشام ، وكان جنوده يحملون الأعلام السود وقد كتب عليها اسم المطيع عبد الكريم ، وتحته «السادة الراجعون إلى الحق»[1] ، مما يثبت لنا انحياز القرامطة إلى العباسيين وانصرافهم عن الدعوة الإسماعيلية التي كانت من أهم دعائم دولتهم في بلاد البحرين .

أما جعفر بن فلاح فإنه بعث في طلب الحملة التي أرسلها إلى أنطاكية لإجلاء الروم عنها[2] ، وأخذ في التأهب لصد قوات الحسن بن أحمد ، لكنه رغم ذلك لم يكن يتوقع أن يهاجمه القرامطة بقوات ضخمة ، وسرعان ما اشتبكت هذه القوات مع جعفر بن فلاح في ناحية الدكة على مقربة من دمشق ، حيث دارت معركة انتهى الأمر فيها بهزيمة جعفر وقتله هو وكثير من أتباعه سنة ٣٦٠ هـ . وبذلك تمكن الحسن بن أحمد من الاستيلاء على دمشق .

على أن هذه الهزيمة التي حلت بالجيش الفاطمي في بلاد الشام ، ترجع على الأغلب إلى عدم إعداد جعفر بن فلاح القوات الكافية لصد القرامطة الذين عوّلوا على غزو هذه البلاد لاستعادة سلطانهم عليها . وكان يحسن بجعفر بن فلاح أن يبعث إلى جوهر الصقلي في مصر ليرسل إليه نجدة تعاونه في توطيد الحكم الفاطمي ببلاد الشام . يقول المقريزي[3] : «فلما صارت الشام له (لجعفر بن فلاح) شمخت نفسه عن مكاتبة جوهر ، فأنفذ كتبه من دمشق إلى المعز وهو بالمغرب سراً من جوهر ، يذكر فيها طاعته ، ويقع في جوهر ، ويصف ما فتح الله المعز على يده . فغضب المعز لذلك ورد كتبه كما هي مختومة . وكتب إليه قد أخطأت الرأي لنفسك نحن قد

---

(١) أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ، جـ ٤ ص ٧٤

(٢) المقريزي : اتعاظ الحنفا ، ص ١٧٨

(٣) خطط ، جـ ١ ص ٣٧٨

أنفذناك مع قائدنا جوهر ، فاكتب إليه فما وصل منك إلينا على يده قرأناه ولا تتجاوز بعد ، فلسنا نفعل لك ذلك على الوجه الذى أردته ، وإن كنت أهله عندنا ، ولكننا نستفسد جوهراً مع طاعته لنا ؛ فزاد غضب جعفر بن فلاح ، وانكشف ذلك لجوهر ، فلم يبعث ابن فلاح لجوهر بشيء من أمره إلى أن قدم عليه الحسن بن أحمد القرمطى » .

رأى الحسن بن أحمد بعد أن دخلت قواته بلاد الشام أن ينهج سياسة تنطوى على الرغبة فى التودد إلى أهالى هذه البلاد واكتساب ولائهم ؛ فأمن أهالى دمشق بعد أن تم له فتحها ، كما أقام الدعوة فى مساجدها للخليفة العباسى ، وأمر بحذف اسم الخليفة الفاطمى من الخطبة . وقد لقى عمله هذا ترحيباً من أهالى هذه المدينة ، ويرجع السبب فى ذلك إنهم كانوا من السنيين المتطرفين فى عدائهم للشيعة والعلويين .

واصل الحسن بن أحمد سيره إلى الرملة بعد فتحه دمشق ليقضى على ما بقى للفاطميين من سلطان ببلاد الشام ، وكان يلى هذه المدينة سعادة بن حيان المغربى ؛ فلما علم بمسير القرامطة إليها اضطر إلى الرحيل عنها والفرار إلى يافا فتمهد بذلك السبيل لدخولهم الرملة(١) ، وأصبحت معظم بلاد الشام فى يدهم ، وأقيمت فيها الدعوة للخليفة العباسى ، يقول المقريزى : « وأقام القرامطة الدعوة للمطيع بالله العباسى فى كل بلد فتحوه وسودوا أعلامهم ، وأظهروا أنهم كأمراء النواحى الذين من قبل الخليفة العباسى » .

ولما تم للحسن بن أحمد الاستيلاء على كثير من مدن الشام ، زحفت جيوشه إلى مصر فى أواخر سنة ٣٦٠ هـ ، فهاجمت مدينة القلزم وتمكنت من دخولها وأسر واليها الأخشيدى عبد العزيز بن يوسف ، ولم تلبث أن تابعت سيرها فى الأراضى المصرية فى أوائل سنة ٣٦١ هـ ، فاستولت على عين شمس ، ثم تقدمت إلى القاهرة .

---

(١) اتعاظ الحنفا ، ص ١٧٩

تأهب القائد الفاطمي جوهر الصقلي لصد زحف القرامطة منذ أزمعوا المسير إلى مصر، فأعد جيشاً قوامه المغاربة والمصريون، كما حصن القاهرة بخندق عظيم حفره حولها(١). فلما هدد القرامطة هذه المدينة فى ربيع الأول سنة ٣٦١هـ، أبدى الجنود المصريون الذين انضموا إلى جيش جوهر شجاعة فائقة استرعت انتباه المؤرخين(٢)، فتمكنوا من الوقوف فى وجههم، وتقهقر الحسن ابن أحمد بجنده ورحـــل إلى الأحساء(٣)، وقد علق المقريزى(٤) على هذه الهزيمة التى حلت بالقرامطة بقوله: «ولم يتفق على القرامطة منذ ابتداء أمرهم كسرة أقبح من هذه الكسرة، وفيها فارقهم من كان قد اجتمع إليهم من الكافورية والإخشيدية، فقبض جوهر على نحو الألف منهم».

ظل القرامطة قوة يخشى بأسها رغم انسحاب قواتهم فى مصر فى ربيع الأول سنة ٣٦١هـ. وقد انتهز جوهر الصقلى فرصة رحيل الحسن بن أحمد إلى الأحساء، فأنفذ جيشاً إلى يافا تمكن من إعادتها إلى حوزة الفاطميين. على أن الحسن بن أحمد ما لبث بعد عودته إلى دمشق أن وجه اهتمامه إلى استرداد نفوذه ببلاد الشـام، ثم أخذ فى التأهب المسير إلى مصر، فأعد حملة بحرية أرسلها إلى تنيس وسواحل مصر، كما جهز جيشاً ضم إليه عدداً كبيراً من العرب(٥).

لما قدم المعز لدين الله الفاطمى من المغرب إلى مصر سنة ٣٦٢هـ واتخذ القاهرة حاضرة لخلافته، وجه سياسته إلى مناهضة نفوذ القرامطة حتى

(١) المقريزى، خطط، جـ٢ ص١٣٧ — ١٣٨

(٢) Stanley Lane-Poole, A History of Egypt in the Middle Ages, p. 107.

(٣) المقريزى: اتعاظ الحنفا، ص ٢٥

(٤) خطط: جـ١، ص ١٣٨

(٥) المقـــريزى: اتعاظ الحنفا، ص ٢٥٠

يتيسر له توطيد أركان دولته فى مصر والشام . فرأى أن يبعث إلى الحسن ابن أحمد بكتاب قبل أن يشتبك معه فى الحرب لعله ينجح فى إثارة الساخطين من القرامطة عليه وحمله على العدول عن موقفه العدائى من الفاطميين .

وقد أشار المعز فى هذا الكتاب (١) إلى ما عرف عن القرامطة من حرص على التودد إلى الفاطميين ، كما أخذ على الحسن بن أحمد خروجه على هذه السياسة التى اتبعها أسلافه من أمراء القرامطة ببلاد البحرين ، فقال : « فأما أنت الغادر الخائن ، الناكث البائن ، عن هدى آبائه وأجداده ، المنسلخ عن دين أسلافه وأنداده ، والموقد لنار الفتنة ، والخارج عن الجماعة والسنة ، فلم أغفل أمرك ، ولا خفى عنى خبرك . أما كان لك بجدك أبى سعيد أسوة ، وبعمل أبى طاهر قدوة ؟ أما نظرت فى كتبهم وأخبارهم ولا قرأت وصاياهم وأشعارهم ؟ أكنت غائباً عن ديارهم وما كان من آثارهم ؟ ألم تعلم أنهم كانوا عباداً لنا أولى بأس وعزم شديد وأمر رشيد وفعل حميد ، يفيض إليهم موادنا ، وينشر عليهم بركاتنا ، حتى ظهروا على الأعمال ودان لهم كل أمير ووال ، ولقبوا بالسادة فسادوا ، منحة منا واسماً من أسمائنا ، فعلت أسماؤهم واستعلت هممهم ، واشتد عزمهم ، فسارت إليهم وفود الآفاق وامتدت نحوهم الأحداق ، وخضعت لهيبتهم الأعناق ، وخيف منهم الفساد والعناد ، وأن يكونوا لبنى العباس أضداد ؛ فبعثت الجيوش وسار إليهم كل خميس بالرجال المنتجبة ، والعدد المهذبة والعساكر المركبة ، فلم يلقهم جيش إلا كسروه ، ولا رئيس إلا أسروه ، ولا عسكر إلا كسروه ، وألحاظنا ترمقهم ، ونصرنا يلحقهم ، كما قال الله عز وجل (إنّا لننصر رُسلنا والذين آمنوا فى الحياة الدنيا) ، (وإن جنـــدنا لهم الغالبون) ، وإن حزبنا لهم المنصورون » .

---

(١) المقريزى : اتعاظ الحنفا ، ص ٢٥٨ — ٢٦٥

«فلم يزل ذلك دأبهم ، وعين الله ترمقهم ، إلى أن اختار لهم مااختاروه من نقلهم من دار الفناء إلى دار البقاء . ومن نعيم يزول إلى نعيم لا يزول ، فعاشوا محمودين ، وانتقلوا مفقودين ، إلى روح وريحان وجنات النعيم ، فطوبى لهم وحسن مآب » .

وقد وضح المعز أيضاً فى كتابه مدى انتشار الدعوة الفاطمية فى كثير من أرجاء العالم الإسلامى ، وعاب على الحسن بن أحمد انصرافه عنها ، فقال « ومع هذا ، فما من جزيرة فى الأرض ولا إقليم إلا ولنا فيه حجج ودعاة يدعون إلينا ، ويدلون علينا ، ويأخذون تبعتنا ، ويذكرون رجعتنا . وينشرون علمنا ، وينذرون بأسنا ، ويبشرون بأيامنا ، بتصاريف اللغات واختلاف الألسن ، وفى كل جزيرة وإقليم رجال منهم يفقهون ، وعنهم يأخذون ، وهو قول الله عز وجل : (وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليبين لهم) . وأنت عارف بذلك ، فيأيها الناكث الحانث ماالذى أرداك وصدك ؟ أشىء شككت فيه ، أم أمر استربت به ، أم كنت خلياً من الحكمة ، وخارجا عن الكلمة ، فأزالك وصدك ، وعن السبيل ردك ؟ إن هى إلا فتنة لكم ومتاع إلى حين . وأيم الله لقد كان الأعلى لجدك ، والأرفع لقدرك ، والأفضل لجدك ، والأوسع لوفدك ، والأنضر لعودك . والأحسن لعذرك ، الكشف عن أحوال سلفك . وإن خفيت عليك ، والقفو لآثارهم ، وإن عميت لديك ، لتجرى على سننهم وتدخل فى زمرهم ، وتسلك فى مذهبهم » .

كذلك أظهر المعز فى كتابه استياءه من إقامة الحسن بن أحمد الدعوة لبنى العباس ، مع ما أصابها من وهن وضعف . فقال : « . . لم تقنع فى انتكاسك وترديتك فى ارتكاسك ، وارتباكك وانعكاسك ، من خلافك الآباء ومشيك القهقرى ، والنكوص على الأعقاب ، والتسمى بالألقاب .

بئس الاسم الممسوق بعد الإيمان . وعصيانك مولاك . وجحدك ولاءك ، حتى انقلبت على الأدبار . وتحملت عظيم الأوزار . فنقيم دعوة قد درست ودولة قد طمست ، إنك لمن الغابرين . وإنك لفي ضلال مبين . أم تريد أن ترد القرون السالفة . والأشخاص البائدة . أما علمت أن المطيع آخر ولد العباس ، وآخر المتاريس في الناس ، أم تراهم (كأنهم أعجاز نخل خاوية . فهل ترى لهم من باقية) ختم والله الحساب . وطوى الكتاب . وعاد الأمر إلى أهله . والزمان إلى أوله . وأزفت الآزفة . ووقعت الواقعة ، وقرعت القارعة ، وطلعت الشمس من مغربها ، والآية من وطنها . وجيء بالملائكة والنبيين وخسر هنالك المبطلون ، هنالك الولاية لله الحق . والملك لله الواحد القهار ، فله الأمر من قبل ومن بعد » .

لم يفت المعز في كتابه أن يلوم الحسن بن أحمد على حشده القوات لغزو بلاد الشام ، وقتله جعفر بن فلاح قائد الجيش الفاطمي وكثيراً من جنده . كما عدد له الأحداث التي ارتكبها أثناء هجومه على هذه البلاد من استباحته الأموال وسبيه النساء . فقال : « ثم لم يكفك ذلك - مع بلائك وطول شقائك - حتى جمعت أرجاسك وأنجاسك . وحشدت أوباشك وأقلاسك(١) . وسرت قاصداً إلى دمشق وبها جعفر بن فلاح في فئة قليلة من كتامة وزويلة ، فقتلته وقتلتهم جرأة على الله ورداً لأمره - واستبحت أموالهم ، وسبيت نساءهم . ليس بينك ولا بينهم ترة ولا ثأر ، ولا حقد ولا أضرار ، فعل بني الأصفر والترك والخزر . ثم سرت أمامك ولم ترجع ، وأقمت على كفرك ولم تقلع ، حتى أتيت الرملة وفيها سعادة بن حيان في زمرة قليلة وفرقة يسيرة ، فاعتزل عنك إلى يافا ، مستكفياً شرك ، وتاركا

(١) ما خرج من حلق ومل ء الفم ... حاشية رقم ٣ ، ص ٣١٤ — كتاب المعز لدين الله)

حربك . فلم تزل ما كنا على نكثك باكراً وصابحاً . وغادياً ورائحاً . نقعد لهم بكل مقعد . ونأخذ عليهم بكل مرصـــد ونقصدهم بكل مقصد ، كأنهم ترك وروم وخزر . لا ينهاك عن سفك الدماء دين ولا يردعك عهد ولا يقين » .

وفى نهاية الكتاب عرض المعز على الحسن بن أحمد ثلاث خصال ليختار منها واحدة يعمل على تحقيقها ، وهدده بسوء العاقبة . فقال : « ونحن معرضون ثلاث خصال والرابعة أردى لك . وأشق لبالك . وما أحسبك تحصل إلا عليها . فاختر : إما فدت نفسك لجعفر بن فلاح وأتباعك بأنفس المستشهدين معه بدمشق والرملة من رجاله ورجال سعادة بن حيان . ورد جميع ما كان لهم من رجال وكراع ومتاع إلى آخر حبة من عقال ناقة وخطام بعير — وهى أسهل مايرد عليك — وإما أن تردهم أحياء فى صورهم وأعيانهم وأموالهم وأحوالهم — ولا سبيل لك إلى ذلك ولا اقتدار — وإما سرت ومن معك بغير ذمام ولا أمان فأحكم فيك وفيهم بما حكمت ، وأجريكم على إحدى ثلاث : إما قصاص ، وإما منا بعد ، وإما فداء ؛ فعسى أن يكون تمحيصاً لذنوبك وإقالة لعثرتك ؛ وإن أبيت إلا فعل اللعين : (فاخرج منها فإنك رجيم ، وإن عليك اللعنة إلى يوم الدين) . اخرج منها فما يكون لك أن تتكبر فيها ، وقيل اخسئوا فيها ولا تكلمون فما أنت إلا كشجرة خبيثة اجتثت من فوق الأرض ما لها من قرار . فلا سماء تظلك ولا أرض تقلك ، ولا ليل يجنك ، ولا نهار يكنك ، ولا علم يسترك ولا فئة تنصرك » .

لم يعدل الحسن بن أحمد بعد أن وصله كتاب المعز عن سياسته التى تنطوى على مناهضة النفوذ الفاطمى ، بل أظهر عدم اكتراثه بتهديد المعز له . وأساء فى رده ؛ فكتب إليه : « وصل كتابك الذى قل تحصيله

وكثر تفصله بنحن سائرون إليك على أثره والسلام(١)». ثم زحف إلى مصر سنة ٣٦٣ هـ (٩٧٤ م) وتوغلت جنوده فى الأراضى المصرية. كما تقدمت القوة الرئيسية من جيشه نحو القاهرة وعسكرت بالقرب من الخندق الذى حفره جوهر. ولما علم المعز نبأ وصوله هاله كثرة قواته، فأشار عليه أهل الرأى من نصحائه بالسعى فى تفريق كلمتهم. فعمد إلى استمالة حسان بن الجراح الطائى رئيس جند العرب الذين يعدون أقوى عناصر جيش الحسن بن أحمد. واتفق معه على أن يدفع إليه مائة ألف دينار على أن يتظاهر بالهزيمة أمام جند الفاطميين(٢). وكان هذا المبلغ كافياً لحمل بنى طيء على الانصراف عن حليفهم الحسن بن أحمد؛ فلما دارت الحرب بين الفريقين، تقهقر حسان بن الجراح أمام قوات المعز، فأدى ذلك إلى هزيمة الحسن بن أحمد وارتداده إلى الشام(٣)، وأسر الفاطميون نحو ألف وخمسمائة من القرامطة.

وقد رأى المعز رغم نجاح قواته فى صد هجمات القرامطة عن مصر أن ينفذ حملة بقيادة أبى محمود بن جعفر بن فلاح لمطاردة جيش القرامطة فى الشام، حتى لا يعاود المسير إلى مصر؛ فلحقت بهم فى أذرعات(٤). أما الحسن بن أحمد فإنه بعد أن وصل إلى دمشق، ترك بها أبا المنجا القرمطى والياً عليها من قبله ورحل مع بعض رجاله إلى الأحساء(٥).

اتجهت سياسة المعز بعد أن عجز الحسن بن أحمد عن الاستيلاء على مدينة القاهرة المرة الثانية واضطراره إلى التقهقر بجيوشه إلى القضاء على

---

(١) ابن الأثير: الكامل فى التاريخ، ج ٨ ص ٢١١
(٢) ابن الأثير: الكامل فى التاريخ، ج ٨، ص ٢١١
(٣) النويرى: نهاية الأرب، ج ٢٣، ورقة ٩٧
(٤) أذرعات: مدينة بأطراف الشام قبل الحجاز
(٥) ابن الأثير: الكامل فى التاريخ، ج ٨، ص ٢١١

ما بقى للقرامطة من نفوذ ببلاد الشام ؛ وتحقيقاً لهذا الغرض ، رأى أن يستعين ببنى الجراح من بنى طيء على استرداد هذه البلاد ، كما قرب إليه ظالم بن موهوب العقيلى بعد انصرافه عن تأييد الحسن بن أحمد ، وأسند إليه ولاية دمشق (رمضــــان سنة ٣٦٣ هـ) ؛ فقبض على واليها أبى المنجا القرمطى وعلى كثير من أتباعه القرامطة ، وبذلك تم استعادة سلطان الفاطميين على بلاد الشام(١) .

لم تستقر الأمور فى دمشق بتقلد ظالم بن موهوب العقيلى ولايتها : فقد أرسل المعز جيشاً من المغاربة بقيادة أبى محمود بن جعفر ليعاونه فى المحافظة على الأمن ، ولصد القرامطة إذا ما حاولوا العودة إلى بلاد الشام ، ولكن هؤلاء المغاربة ما لبثوا أن انصرفوا إلى العبث والفساد وقطع الطريق مما أدى إلى تذمر أهالى دمشق واشتباكهم مع جند الفاطميين فى بعض المعارك . ولاشك أن هذه الأحداث تعد من أكبر الصعاب التى واجهت ظالم بن موهوب ، فاضطر إلى الخروج بنفسه لإخماد حركات المغاربة . يقول ابن القلانسى(٢) : « فلما شاهد (ظالم بن موهوب) انهزام الناس والمغاربة فى أثرهم ، استدعى رمحه وعبر الجسر ومعه فرقة من أصحابه وحمل على أوائل المغاربة ، فردهم عن أحداث البلد » . على أن ظالم بن موهوب لم يحظ برضاء أى فريق من الفريقين المتنازعين بدمشق ، وما لبث أن عزل فى ربيع الآخر سنة ٣٦٤ هـ وخلفه جيش بن الصمصامة الذى اشترك مع ابن أخته القائد أبى محمود بن جعفر فى إدارة أمور دمشق(٣).

لم تتمتع دمشق طويلا بالهدوء مما ساعد على عــــدم استقرار الحكم الفاطمى فيها ، فقامت الفتنة من جديد بين أهالى هذه المدينة وجند المغاربة

(١) ابن خلدون : جـ ٤ ، ص ٩٠

(٢) ذيل تاريخ دمشق : ص ١٠٥

(٣) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ، جـ ٨ ص ٢١١ — ٢١٢

ونتج عنها إثارة الاضطراب بين الناس . وتخريب المنازل وإغلاق الطرق ووقف حركة البيع والشراء ، كما توفى كثير من الفقراء على قارعة الطريق بسبب الجوع والبرد .

لما وصل إلى المعز لدين الله نبأ الاضطراب الذى حدث بدمشق ثبت لديه أن هناك صعوبات تواجه حكمه فى بلاد الشام . ومن ثم عول على إقرار النظام فيها ، فبعث فى طلب ريان الخادم واليه على طرابلس وعهد إليه بدراسة الحالة فى دمشق ، وقمع الفتن التى ثارت بين أهالى هذه المدينة وبين جند المغاربة ، كما قلده ولايتها بعد عزل القائد أبى محمود بن جعفر الذى سار فى جماعة قليلة من العسكر إلى الرملة(١) . وقد بذل ريان الخادم جهده فى تهدئة الحالة فى دمشق والتوفيق بين أهلها وجند المغاربة .

(ب) حركة أفتكين التركى : أدت الاضطرابات التى سادت مدينة دمشق فى أواخر عهد المعز إلى إضعاف الحكم الفاطمى فيها . وقد مهدت هذه الحالة السبيل لدخول فريق من الأتراك بزعامة أفتكين(٢) بلاد الشام واستقرارهم بها . وبذلك واجه الفاطميون عنصراً جديداً لعب دوراً هاماً فى مناهضة نفوذهم فى هذه البلاد .

سار أفتكين التركى من بغداد قاصداً بلاد الشام مع فريق من جنده بعد انهزامه فى المعركة التى دارت بين الأتراك والديلم ، فخرج إليه ظالم بن موهوب العقيلى من بعلبك ليحول دون تقدمه فى هذه البلاد ، وأرسل إلى القائد أبى محمود بن جعفر أمير دمشق يخبره بقدوم أفتكين التركى وأنه

---

(١) ابن الأثير ، جـ ٨ ص ٢١٢

(٢) بدأ أفتكين (أبو منصور التركى العراقى) عهده فى خدمة معز الدولة أحمد بن بويه ، وما زال يترقى فى المناصب حتى ولى قيادة جند الأتراك فى بغداد فى أيام عز الدولة بختيار أمير بنى بويه بالعراق (٣٥٦ — ٣٦٧ هـ) .

المقريزى خطط ، جـ١ ، ص ٩

يزمع السير إلى دمشق لإقامة الخطبة للخليفة العباسي ، وحذره منه ، فأنفذ إليه جيشاً ليعاونه فى محاربته .

على أن أفتكين ما لبث أن استنجد بالحمدانيين فى حلب ، فأمده سعد الدولة أبو المعالى بن سيف الدولة الحمدانى (٣٥٦ — ٣٧١ هـ) بجند كثير واستقبله فى حمص بالحفاوة والتكريم ، واضطر ظالم بن موهوب إلى العودة إلى بعلبك دون أن يشترك فى حرب .

وقد انتهز بعض العناصر الثائرة بدمشق فرصة قدوم أفتكين إلى بلاد الشام ، فبعثوا يستدعونه من حمص ووعدوه بمعاونته فى إخراج الحامية الفاطمية فى دمشق ، كما أن شيوخ هذه المدينة وأشرافها رحبوا بقدوم أفتكين حين بلغهم أنه فى طريقه إليها ، وخرجوا لمقابلته ، وطلبوا منه أن يتولى الحكم فى بلدهم لينقذهم من الفاطميين الذين يخالفونهم فى المذهب الدينى ؛ فأظهر استعداده لإجابة طلبهم ، وتعهد له شيوخ دمشق بمعاونته وأن يكونوا فى طاعته . أما أفتكين فتعهد بحمايتهم وكف الأذى عنهم ، ثم دخل دمشق فى شعبان سنة ٣٦٤ هـ وأخرج منها واليها ريان الخادم ، وأمر بذكر اسم الخليفة العباسى الطائع فى الخطبة بدلا من المعز لدين الله الفاطمى (١) .

رأى أفتكين رغم نجاحه فى الاستيلاء على دمشق وقضائه على نفوذ الفاطميين فيها أن يستميل المعز لدين الله لاعتقاده أن قواته ستعاود الهجوم على بلاد الشام لتوطيد سلطانه عليها ؛ فكتب إليه رسالة على سبيل التمويه والانقياد له والطاعة لأوامره ؛ فبعث إليه المعز يدعوه للحضور إليه ليخلع عليه ويقره على ولايته ؛ لكن أفتكين لم يجبه إلى طلبه لعدم وثوقه بما وعد به(٢) ، خشية تعرضه لمكيدة يدبرها له الخليفة الفاطمى وخاصة أنه

(١) ابن الأثير ، ج ٨ ، ص ٢١٧ — ٢١٨

(٢) ابن القلانسى ، ذيل تاريخ دمشق ، ص ١٢

حارب ولاة الفاطميين فى حمص وانتصر عليهم . كما طردواليهم على دمشق .

لم يكتف أفتكين باستيلائه على دمشق ، بل رأى أن يبسط نفوذه على مدن الشام . فاتجه إلى صيدا حيث اشتبك مع واليها من قبل المعز فى معركة انتهى الأمر فيها بهزيمة هذا الوالى ، ثم قصد عكا . ومنها توجه إلى طبرية وعاد إلى دمشق بعد تغلبه على قوات الفاطميين بهذه المدن .

لما فرغ العزيز بالله الفاطمى من توطيد سلطته بمصر بعد أن آلت إليه الخلافة فى ربيع الآخر سنة ٣٦٥ هـ . وجه اهتمامه إلى استرداد بلاد الشام ، واستشار وزيره يعقوب بن كلس فيما يفعل لتحقيق هذه الغاية . فأشار عليه بأن يعهد إلى جوهر الصقلى بقيادة جيش يزحف به إلى دمشق . فلما علم أفتكين بمسيره ، خشى من الأخطار التى قد تحدق بأهل دمشق من جراء هجوم الجيش الفاطمى على بلدهم . فاجتمع بهم وأظهر لهم استعداده للرحيل عن دمشق حتى لا يلحقهم أى أذى بسببه . فأكدوا له حرصهم على التمسك ببقائه معهم بقولهم : « لا نمكنك من فراقنا ونحن نبذل الأموال فى هواك ونصرك » ، فعدل أفتكين عن مغادرة دمشق وأعد العدة لمواجهة قوات الفاطميين ، فلما وصل جوهر إلى دمشق على رأس هذه القوات فى ذى القعدة سنة ٣٦٥ هـ . حاصر المدينة ، وأبدى أفتكين شجاعة فائقة فى محاربته ، غير أن جند الفاطميين من المغاربة ظلوا فترة طويلة يحاصرون دمشق مما أدى إلى تذمر أهلها ، فأشاروا على أفتكين بمكاتبة الحسن بن أحمد زعيم القرامطة ببلاد البحرين . فكتب إليه يستنجده ، فسار إليه من الأحساء(١) .

رأى جوهر الصقلى بعد أن وصله خبر قدوم القرامطة أنه لاقبل له

---

(١) ابن الأثير ج ٧ ص ٢١٨

بمواجهة عدوين. لذلك اضطر إلى رفع الحصار عن دمشق وقصد الرملة؛ غير أنه لم يكد يصل إليها حتى سار فى أثره الحسن بن أحمد وأفتكين. وكان ذلك باعثه على الرحيل إلى عسقلان. ولما اشتدت به الحال وندر وصول الأقوات والمؤن إليه، أرسل إلى أفتكين يطلب منه المهادنة، كما أبدى رغبته فى مقابلته، فرحب بلقائه. ولما اجتمع به جوهر قال له: «قد عرفت ما يجمعنا من عصمة الإسلام وحرمة الدين، وقد طالت هذه الفتنة وأريقت فيها الدماء ونهبت الأموال ونحن المؤاخذون بها عند الله تعالى، وقد دعوتك إلى الصلح والطاعة والموافقة وبذلت لك الرغائب فأبيت إلا القبول ممن يشب نار الفتنة، فراقب الله تعالى وراجع نفسك، وغلب رأيك على هوى غيرك». فأجابه أفتكين بقوله: «أنا والله واثق لك فى صحة الرأى والمشورة منك، لكنى غير متمكن مما تدعونى إليه بسبب القرمطى الذى أحوجتنى أنت إلى مداراته والقبول منه (١)».

ظل جوهر يلح على أفتكين فى طلب الصلح، حتى أجابه إلى طلبه على أن يؤدى إليه مالا معيناً، ويخرج من تحت سيفه ورمح الحسن بن أحمد، فمر جوهر من تحتهما وهما معلقان على باب عسقلان وسار قاصداً القاهرة (٢)، وهو على يقين من أنه قد تعرض للإهانة والمذلة بسبب هذا الصلح الذى سعى إليه مضطراً. وكان يأمل أن تتاح له الفرصة ليعود مرة ثانية إلى بلاد الشام فيقضى على أفتكين وحلفائه القرامطة.

لما وصل جوهر إلى مصر أوضح للخليفة العزيز حقيقة الحال فى بلاد الشام وما أصاب سلطان الفاطميين فيها من ضعف وانحلال، فاستقر رأى الخليفة الفاطمى على الخروج بنفسه لاستعادة نفوذه على هذه البلاد، وسار على رأس جيش كبير، وجعل جوهر على مقدمته (٣).

---

(١) ابن الأثير جـ ٨، ص ٢١٨

(٢) ابن القلانسى: ذيل تاريخ دمشق، ص ١٧، المقريزى: اتعاظ جـ ٢، ص ١٠

(٣) ابن الأثير جـ ٨، ص ٢١٩

أعد كل من أفتكين والحسن بن أحمد القرمطي العدة لمواجهة زحف الجيش الفاطمي على بلاد الشام . فحشدا جموعاً كثيرة من العرب وغيرهم، وعادا إلى الرملة حيث دار القتال بين الفريقين في المحرم سنة ٣٦٧هـ . وقد شاهد العزيز في هذه الحرب من شجاعة أفتكين ما أعجبه ، فأرسل إليه يدعوه إلى طاعته ، ويعده بأن يقلده الولايات ويجعله مقدم عسكره ومستشاره في دولته ، كما طلب منه أن يحضر لمقابلته . فقال أفتكين لرسول العزيز : قل لأمير المؤمنين لو تقدم هذا القول لسارعت وأطعت وأما الآن فلا يمكن إلا ماترى ، ثم واصل السير لمحاربة الفاطميين ، فأوقع العزيز الهزيمة بقواته ، ومضى أفتكين هارباً ، ثم سبق إلى القاهرة مع بعض أنصاره من الأتراك حيث عفا عنه الخليفة وعامله معاملة قوامها العطف والرعاية ، وخصص له داراً لإقامته(١) .

أما الحسن بن أحمد ، فإنه سار منهزماً إلى طبرية(٢) حيث لحق به رسول العزيز الذي دعاه إلى مقابلة الخليفة ووعده بأنه سيكون موضع رعايته . فلم تلق هذه الدعوة قبولا منه(٣) ثم رحل إلى الأحساء مع أنصاره من القرامطة بعد أن اتفق معه العزيز على يدفع له تعويضاً سنوياً قدره عشرون ألف دينار طيلة حياته(٤) .

وهكذا فشلت الحركة التي أثارها أفتكين التركي في بلاد الشام ، كما زال نفوذ القرامطة في هذه البلاد واضطروا إلى الجلاء عنها ، مما سهل على الفاطميين استعادة دمشق إلى حوزتهم .

---

(١) المقريزي : خطط ، ج ٢ ، ص ١٠

(٢) ابن خلدون : جـ ، ص ٩١ .

(٣) ابن الأثير : جـ ٨ ، ص ٢١٩ .

(٤) Gaston Wiet, Histoire se La Nation Eoyptienne. Vol. 4. P. 181–182

٣ — موقف أمراء العرب بالشام من الفاطميين

(ا) بنو الجراح فى فلسطين :

حاول بنو طيء بفلسطين فى أواخر القرن الرابع الهجرى تكوين دولة لهم والاستقلال عن الخلافة الفاطمية ، فثار بالرملة سنة ٣٨٨هـ زعيمهم مفرج بن دغفل بن الجراح ، فأرسل برجوان الوصى على الخليفة الحاكم بأمر الله الفاطمى إلى فلسطين حملة بقيادة جيش بن الصمصامة ، فسار إلى الرملة واستولى عليها وأخضع ثوارها ، وطارد مفرج بن الجراح وقواته حتى طلب الأمان والصلح ، فعفا عنه وأمنه(١) ، ثم عادت الفتنة بفلسطين سنة ٤٠٠هـ عندما نقم الحاكم بأمر الله على آل المغربى بمصر ، ففر الوزير أبو القاسم حسن على بن المغربى (٢) إلى حسان ابن مفرج بن دغفل بن الجراح أمير طيء بالرملة ، وحسن له خلع طاعة الحاكم ، فزحف حسان إلى الرملة واستولى عليها وقتل واليها من قبل الفاطميين وعاث فيها فساداً .

اتفق بنو الجراح سنة ٤٠١هـ على استدعاء أبى الفتوح الحسن بن جعفر الحسنى أمير مكة ليبايعوه بالخلافة(٣) ، فأوفدوا إليه الوزير أبا القاسم بن المغربى ليغريه بالخروج على الحاكم بأمر الله(٤) ، فلما قدم هذا الوزير مكة ، أطمع أميرها أبا الفتوح فى الرياسة وحرضه على طلب الخلافة ، كما حثه على الخروج إلى الرملة إجابة لرجاء حسان بن مفرج بن الجراح الذى سيكون خير عون له على تثبيت سلطته ، فرحب الأمير أبو الفتوح بهذه

---

(١) ابن الأثير : جـ ٩ ، ص ٤١ .

(٢) كان هذا الوزير ناقماً على الحاكم بأمر الله لغدره بأبيه وأعمامه .

راجع : كتاب النفوذ الفاطمى فى جزيرة العرب (للمؤلف) ، ص ١٧ .

(٣) ابن خلدون : جـ ٤ ، ص ٥٧ .

(٤) المقريزى : خطط ، جـ ٢ ص ١٥٧ ، ٢٨٧

الدعوة وأقام الخطبة لنفسه وتلقب بالراشد بالله ، ثم سار من مكة قاصداً الرملة وبصحبته أبى القاسم بن المغربى وبعض أنصاره من القبائل العربية ، فلما اقترب من الرملة تلقاه حسان بن مفرج بن الجراح وأولاده وسائر وجوه العرب بالترحاب وترجلوا له وبايعوه بالخلافة ، ونزل أبو الفتوح فى دار حسان ونادى فى الناس بالأمان ، وأقيمت له الخطبة فى كثير من بلاد الشام(١) .

لما وصل إلى الحاكم بأمر الله نبأ خروج أبى الفتوح أمير مكة عليه ومبايعة بنى الجراح له بالخلافة ، بعث حملة إلى فلسطين للقضاء على هذه الحركة ، غير أن هذا الحملة حلت بها الهزيمة واستفحل نفوذ بنى الجراح ، وبسطوا سلطانهم على جنوب بلاد الشام ، فعمد الخليفة الحاكم بأمر الله إلى استمالة حسان وأبيه مفرج وغيرهم من بنى طىء بالأموال التى بذلها لهم ، فانحرف بنو الجراح عن الأمير أبى الفتوح بعد أن بايعوه بالخلافة . ولما أحس أبو الفتوح بخذلانهم إياه وعدولهم عن رأيهم فى العمل على تقوية نفوذه ، ذهب إلى مفرج بن الجراح وأخبره بانصراف أولاده عن تأييده . وقال له : « أريد أن تبعث معى من يوصلنى إلى مكة ولا تحرجنى » . فبعث معه جماعة من بنى طىء ، ولم يزالوا معه حتى بلغ مكة سنة ٤٠٣ هـ ، فتلقاه أتباعه ، وكاتب الحاكم واعتذر إليه ، فقبل عذره وعفا عنه ، وأعاده إلى إمارته بمكة(٢) . وعمل الأمير أبو الفتوح منذ عودته إلى مكة على إقامة الدعوة للحاكم بأمر الله ، كما نقش اسمه على السكة(٣) .

---

(١) عبد القادر الأنصارى : درر الفرائد المنظمة ، ج ١ ص ٢٠٧ — ٢٠٨ .

(٢) ابن خلدون : ج ٤ ، ص ٤٧٣ ، عبد القادر الأنصارى : درر الفرائد المنظمة ، ص ٢٠٨ .

(٣) المقريزى : خطط ، ج ٢ ، ص ٢٧٨ .

راجع كتاب النفوذ الفاطمى فى جزيرة العرب (للمؤلف) ص ١٧ — ٢١ .

ظل بنو الجراح متغلبين على بعض نواحي جنوب بلاد الشام حتى سنة ٤٠٤ ، ولم يتوان الفاطميون عن قتالهم خلال تلك الفترة ، فجهز الخليفة الحاكم العساكر إلى الشام بقيادة على بن جعفر بن فلاح ، فقصد الرملة وهزم حسان بن مفرج وقومه الطائيين واستولى على أموالهم وذخائرهم ثم سار إلى دمشق ، فاستولى عليها وتولى إمارتها (١).

ضعف شأن بنى الجراح بفلسطين بعد الهزيمة التى حلت بهم فى أواخر عهد الحاكم بأمر الله واستعاد الفاطميون نفوذهم بهذا الإقليم ، وظل الحال على ذلك حتى ولى الخليفة الظاهر لإعزاز دين الله الخلافة ، فحاول حسان ابن الجراح استرداد سلطانه بالرملة ، وما لبث أن حشد جموعه وهاجمها ونهبها ولم تقف أطماعه عند هذا الحد بل عمل على الاستقلال بفلسطين ، وتحقيقاً لهذه الغاية عقد اتفاقاً سنة ٤١٥ هـ مع صالح بن مرداس أمير بنى كلاب وسنان بن عليان أمير الكلبيين يتضمن أن تتحد قواهم جميعاً لإخراج الفاطميين من بلاد الشام وتقسيمها بينهم على أن يكون من حلب إلى عانة على نهر الفرات لصالح بن مرداس ، ومن الرملة إلى حدود مصر لحسان أمير الطائيين ، ودمشق وما يحيط بها لسنان بن عليان وعشيرته (٢). وقد أطلع هؤلاء الأمراء الإمبراطور البيزنطى باسيل الثانى على هذا الاتفاق وطلبوا معونته لكنه لم يجب طلبهم (٣).

لما رأى الخليفة الظاهر الفاطمى الخطر الذى يهدد سلطان الفاطميين ببلاد الشام من جراء ذلك الاتفاق الذى عقده بعض زعماء العرب ، جهز

---

(١) ابن الأثير ، جـ ١ ، ص ٤٣ ، ابن خلدون جـ ٤ ص ٥٧ .

(٢) يحيى بن سعيد الأنطاكى صلة التاريخ المجموع على التحقيق والتصديق ، جـ ٢ ، ص ٢٤٤ — ٢٤٥ .

(٣) Gaston Wiet. Histoire de La Nation Egyptienne. Vol 4. P. 216 - 217.

جيشاً سنة ٤٢٠ هـ لمحاربة هذه القوى المتحالفة . أسند قيادته لأنوشتكين الدزبرى(١) وقد تمكن القائد الفاطمى من إلحاق الهزيمة بقوات حلف عرب الشام عند طبرية ، وقتل صالح بن مرداس ، وهرب حسان بن الجراح الطائى إلى الإمبراطور البيزنطى ليحتمى فى بلاطه . وبهذا النصر استرد الفاطميون البقاع الجنوبية والوسطى من سورية ، أما حلب فظلت بيد نصر بن صالح بن مرداس الذى تلقب بشبل الدولة(٢) .

(ب) الحمدانيون والمرداسيون فى شمال الشام :

كذلك واجه الفاطميون عدة صعوبات فى سبيل بسط سيادتهم على شمال بلاد الشام حيث أقام الحمدانيون دولتهم فى حلب . وكان هؤلاء الحمدانيون يخشون ازدياد نفوذ الفاطميين السياسى ، فلما دعاهم جعفر بن فلاح - بعد أن تم له فتح دمشق - إلى إقامة الخطبة للخليفة الفاطمى على منابر بلادهم ، وهددهم بالاستيلاء على حلب ، أثار هذا التهديد سخطهم ، وعملوا على مساعدة القرامطة ليقضوا على نفوذ الفاطميين ببلاد الشام(٣) .

على أن الحمدانيين لم يكونوا من القوة بحيث يستطيعون الوقوف فى وجه الفاطميين ، ففى عهد سعد الدولة بن سيف الدولة (٣٥٦ - ٣٨١ هـ) ، بدأ الضعف يظهر فى الدولة الحمدانية فى حلب ، فثار عليه قرعويه - أحد أتباع أبيه - واستولى على حلب ، وحال دون دخوله إليها ، فقصد سعد الدولة حمص وآثر البقاء بها وانحاز إلى جانب الفاطميين وأقام الخطبة للمعز لدين الله الفاطمى(٤) . ثم وجه اهتمامه إلى استرداد حلب ، فسار إليها على رأس

(١) ابن الأثير ، ج ٩ ، ص ١٢٨ .
(٢) تاريخ يحيى بن سعيد الأنطاكى ، ص ٢٤٨ ؛ تاريخ ابن الوردى ، ج ١ ص ٣٢٣ — ٣٢٤ .
(٣) حسن إبراهيم ، تاريخ الإسلام السياسى ، ج ٣ ، ص ٣٤٨ .
(٤) ابن الأثير ، ج ٨ ص ١٩٧ — ٢٠٢ .

جيش من العرب من بنى كلاب وغيرهم وتمكن من استعادة سلطانه عليها بعد أن ظل يحاصرها أربعة أشهر ، وأسند ولاية حمص إلى غلامه بكجور التركى سنة ٣٦٦ هـ(١).

عر . . . مد الدولة لم يتمتع بالطمأنينة ، فشغل بمحاربة بكجور الذى كتب إلى العزيز بالله الفاطمى يطلب إليه أن يوليه دمشق ، وينجده بقوة يستعين بها فى الاستيلاء على حلب ، فأجاب الخليفة الفاطمى طلبه سنة ٣٧٣ هـ ، وسار بكجور إلى هذه المدينة وحاصرها ، لكنه اضطر إلى الارتداد عنها أمام قوات الروم التى استعان بها سعد الدولة الحمدانى ؛ وعاد إلى دمشق ليتولى إمارتها . غير أنه عامل أهلها معاملة تنطوى على العنف والشدة مما جعلهم يتذمرون من حكمه ، كما أضمر له الوزير الفاطمى يعقوب ابن كلس العداء لتنكيله بأتباعه ؛ فصار يحول دون تحقيق رغباته ، ثم أشار على العزيز بعزله ، فأجاب طلبه بعد أن بلغه سوء سيرته فى دمشق ، ورحل بكجور إلى الرقة (على نهر الفرات) حيث طلب من سعد الدولة الحمدانى أن يعيده إلى ولاية حمص ، فلم يظفر منه بشئ.(٢)

ظل بكجور أثناء إقامته بالرقة يواصل جهوده للاستيلاء على حلب ؛ فراسل جماعة من مماليك سعد الدولة الحمدانى ، واستمالهم إليه ، فأظهروا له ترحيبهم بقدومه إلى حلب . كما أخبروه بأن سعد الدولة منشغل بملذاته عن تدبير شئون دولته ؛ فعزم بكجور على انتهاز هذه الفرصة لتحقيق أطماعه ، ورأى أن يستعين بالفاطميين لعله يظفر بتأييدهم ؛ فأرسل الى العزيز بالله يطمعه فى حلب ويقول له : « إنها دهليز العراق ، ومتى أخذت كان مابعدها أسهل منها » ، كما طلب منه أن يمده إليه بجدة من جنده ؛ فعمل

---

(١) ابن القلانسى ، ذيل تاريخ دمشق ، ص ٢٧ — ٢٨

(٢) ابن الأثير جـ ٩ ، ص ١٩ — ٢ ، ٢٩ .

العزيز على تلبية طلبه(١). وأرسل إلى واليه بطرابلس بأن يكون على أهبة الاستعداد للمسير إليه لمساعدته(٢).

لما علم سعد الدولة الحمداني بوصول بكجور الى حلب . بعث الى باسيل الثاني امبراطور الروم . يخبره بخروج بكجور عليه ويطلب منه النجدة . فأرسل باسيل إلى واليه بأنطاكية يأمره بمعاونته(٣)، وقامت الحرب بين بكجور بمعاونة المغاربة والعرب ، وسعد الدولة الذى استعان بالروم والديلم والأتراك وبعض العرب من بنى كلاب . ولم يجن ثمرة هذه الحرب غير الفاطميين والروم .

استقرّ رأى سعد الدولة الحمدانى بعد وقوفه على ما أصاب دولته من جراء المنازعات الداخلية على إزالة عوامل الخلاف بين جند الحمدانيين وتوحيد صفوفهم ؛ فكتب إلى غلامه بكجور التركى بأن يمتنع عن مناوأته ، ويعده بإقطاعه الأراضى الممتدة بين حمص والرقة . لكنه أبى إلا القتال ؛ فدارت الحرب بينهما سنة ٣٨١ هـ ، وحلت به الهزيمة وقتل ؛ واستولى سعد الدولة على أمواله(٤).

لم تكن علاقة سعد الدولة الحمدانى بالخليفة العزيز بالله الفاطمى على شيء من الصفاء ، فقد أساء سعد الدولة معاملة رسول هذا الخليفة — حين قدم إليه حاملا رسالة منه يحذره فيها من إلحاق الأذى بأبناء بكجور — وقال له : عد إلى صاحبك وقل له : لست ممن تخفى أخبارك عنه وتمويهاتك عليه ، وما بك حاجة إلى تجهيز العساكر إلى ، فإنى سائر إليك ليكون اللقاء قريباً منك ، وخبرى يأتيك من الرملة(٥) . ولم يمض على ذلك غير قليل

(١) ابن الأثير ، ج ٩ ، ص ٢٩ .

(٢) ابن القلانسى : ذيل تاريخ دمشق ، ج ١ ص ٣٣ — ٣٤ .

(٣) Combridge Mediaeval History. Vol, 4 p. 147.

(٤) ابن القلانسى : ذيل تاريخ دمشق ، ج١ ص ٣٨ .

(٥) ابن القلانسى : ذيل تاريخ دمشق ، ج١ ، ص ٣٨ — ٣٩ .

حتى توفى سعد الدولة سنة ٣٨١ هـ وخلفه ابنه سعيد الدولة أبو الفضائل — وكان قد عهد إليه قبل وفاته وأوصى لؤلؤ الخادم به(١).

حاول الفاطميون الاستيلاء على حلب فى أيام سعيد الدولة ، فأسند الخليفة العزيز ولاية الشام إلى منجوتكين التركى ، وعهد إليه بقيادة الجيش الذى أعده لفتح حلب ؛ فسار منجوتكين إلى دمشق سنة ٣٨٣ هـ ، وبعد أن نظم شئونها خرج منها إلى حلب(٢).

ولما علم سعيد الدولة بزحف الجند الفاطمى على الشام بقيادة منجوتكين ، استنجد بامبراطور الروم باسيل الثانى ، فأرسل هذا الإمبراطور إلى قائده بأنطاكية يأمره بمحاربة الفاطميين وردهم عن حلب ، وعلى الرغم من انتصار منجوتكين على الروم فإنه لم يتمكن من دخول حلب ، بل ارتد إلى دمشق بسبب نفاد الأقوات ، غير أن الخليفة العزيز ما لبث أن أمره بالسير إلى حلب وأرسل الجيوش لحصارها من جديد ، كما أنفذ الأقوات إلى طرابلس(٣).

رأى سعيد الدولة أبو الفضائل ولؤلؤ الخادم بعد أن اشتد الحصار عليهما بحلب أن يرسلا للمرة الثانية إلى إمبراطور الروم يطلبان منه النجدة ، كما خوفاه من سقوط حلب فى يد الفاطميين بقولهما : « متى أخذت حلب ، أخذت أنطاكية ، ومتى أخذت أنطاكية ، أخذت قسطنطينية(٤) » ؛ فسار باسيل الثانى بنفسه إلى بلاد الشام ونزل على حصن شيزر على مقربة من حماه ، فاستولى عليه ، ثم سار إلى حمص ففتحها عنوة ، وتابع سيره إلى طرابلس ، لحاصرها . ولما تعذر عليه فتحها رحل عائداً إلى أنطاكية ومنها إلى

(١) حسن إبراهيم : تاريخ الإسلام السياسى ، ج٣ ، ص٢١٦ — ٢١٧ .

(٢) ابن الأثير : ج ٩ ، ص ٣١ .

(٣) أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ج٤ ، ص١٢٠ .

(٤) أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ، ج٤ ، ص ١١٩ — ١٢٠ .

القسطنطينية(١).

عجز الفاطميون فى عهد الخليفة العزيز بالله عن الاستيلاء على حلب ؛ ذلك أن إمبراطور الروم حين سار بقواته تلبيـة لدعوة سعيد الدولة أبى الفضائل الحدانى ، أرسـل لؤلؤ الخادم إلى منجوتـكين القائد الفاطمى ، يحذره من زحف الروم على شمال الشام بقوله : « إن الإسـلام جامع بينى وبينك وأنا ناصح لـكم ، وقد وافاكم ملك الروم بجـــنوده ، فخذوا لأنفسكم » ، فعدل منجوتـكين عن مهاجمة حلب وعاد إلى دمشق(٢).

لما وقف العزيز على مدى تقدم الروم فى بلاد الشام ، وبلغه عودة منجوتـكين منهزما إلى دمشق ، عظم ذلك عليه ، واستقر رأيه على أن يسير بنفسه لفتح حلب وصد قوات الروم ، فجهز حملة برية ، كما أمر وزيره عيسى ابن نسطورس بإنشاء أسطول يسـير بحراً إلى طرابلس. ولم يكد يتم إعداد هذا الأسطول حتى اشتعلت فيـه النيران فى ميناء المقس ، وأحرقت منه ستة عشر مركبا. وكان لهذا الحادث أسـوأ الأثر فى نفوس المصريين والمغاربة ، فثاروا ببعض تجار الروم الذين وفدوا إلى البلاد المصرية قبل ذلك بقليل وقتلوا فريقاً كبيراً منهم حين ثبت لديهم أنهم دبروا مؤامرة إحراقه . وما لبث العزيز أن قضى على الاضطرابات التى حدثت بالقاهرة بسبب إحراق الأسطول ، وأشار على عيسى بن نسطورس بإنشاء أسطول آخر ، فلبى هذا الوزير رغبته ، وشرع فى جمع الأخشاب ، وأمر الصناع بالإسراع فى إنجازه . ولما تم بناؤه ، أبحر إلى أنطرطوس(٤) لنجدة القائد الفاطمى منجوتـكين ؛ غير أن معظم سفنه لم تلبث أن تحطمت بالقرب من

(١) تاريخ يحيى بن سعيد الأنطاكى ، ١٦٦ ؛ أبو المحاسن ، ج٤ ، ص ١٢٠ — ١٢١
Cambridge Mediaeval History, Vol., 4. P. 147.

(٢) أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ، ج٤ ، ص ١٢٠.

(٣) ابن الأثير ، ج٩ ، ص ٣١ .

(٤) من أعمال طرابلس بلبنان وتقع على ساحل البحر .

طرابلس على أثر هبوب عاصفة عليها ، وأسر الروم بعض رجال الأسطول المصرى(١) . أما الحملة البرية ، فخرج على رأسها الخليفة العزيز إلى بلبيس فى طريقه إلى بلاد الشام ، لكن المرض اشتد عليه فجأة ، فتخلف بها وتوفى سنة ٣٨٦ هـ(٢).

على الرغم من أن سعيد الدولة أبا الفضائل الحمدانى قد نجح فى إبعاد خطر الغزو الفاطمى عن بلاده فى عهد العزيز بالله ، فإن الأمور لم تستقر له فى حلب ، فقد واجه منافسة مولاه لؤلؤ الذى طمع فى الاستئثار بحكم حلب وقتله ، وانتزع الولاية لنفسه من ولديه أبى الحسن على وأبى المعالى شريف وحكم باسمهما . ولم تقف أطماع لؤلؤ عند هذا الحد ، بل عمل على نقل الحكم إلى أسرته ، فأرسل ولدى سعيد الدولة مع سائر أفراد البيت الحمدانى إلى القاهرة(٣). وأخذ يتقرب إلى الفاطميين ليتقى خصومتهم ، فأمر بحذف اسم الخليفة العباسى من الخطبة ، وأعلن طاعته للخليفة الحاكم بأمر الله ، وأقام الدعوة له فترة من الوقت(٤).

لما توفى لؤلؤ سنة ٣٩٩ هـ ، خلفه ابنه منصور ، فاعترف بسلطان الخليفة الحاكم بأمر الله ، وأقام الدعوة له بحلب سنة ٤٠٢ هـ ، ولقبه هذا الخليفة مرتضى الدولة(٥) ، وبذلك امتد نفوذ الفاطميين إلى حلب مما مهد لهم أمر القضاء على سلطة الحمدانيين فيها (٦) .

لم يتمتع منصور بن لؤلؤ طويلا بإمارة حلب ، فقد عمل أهالى هذه

---

(١) تاريخ يحيى بن سعد الأنطاكى ، ص ١٧٨ ، المقريزى : خطط ، جـ٢ ، ص ١٩٥ — ١٩٦ .

(٢) أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ، جـ٤ص١٢٢ .

(٣) المسكين بن العميد : تاريخ المسلمين،ص٢٥٦ .

(٤) ابن خلدون : العبر ، جـ٤ص٢٧١ .

(٥) ابن الأثير : جـ١٠ص٧٨ .

(٦) حسن إبرهيم : تاريخ الإسلام السياسى ،جـ٣،ص٢١٧ .

المدينة على التخلص منه لكثرة عسفه بهم ، كما قامت الحرب بينه وبين بنى كلاب . وكان قد وعدهم بتوزيع بعض الإقطاعات عليهم ، لكنه ماطلهم ولم يف بوعوده لهم . ولما عجز منصور عن الاحتفاظ بسلطانه فى حلب رحـــل عنها إلى أنطاكية . فسهل بذلك على نواب الحاكم دخول حلب والاستيلاء عليها ؛ وظلوا يتناوبون الحكم فيها حتى أسند هذا الخليفة ولايتها سنة ٤٠٧ هـ إلى أمير من بنى حمدان يدعى عزيز الملك فاتك ، ولقبه أمير الأمراء (١) ، فظل يلى أمورها حتى توفى الحاكم بأمر الله سنة ٤١١ هـ وخلفه ابنه الظاهر ، فاستأثر فى عهده بالحكم فى حلب ؛ غير أنه لم يلبث أن قتل على يد غلام له يسمى بدر الذى استولى على حلب ثم سلمها فيما بعد إلى الخليفة الظاهر ؛ وبذلك زال سلطان الحمدانيين فى الشام .

لم يتيسر للفاطميين توطيد سلطانهم فى حلب فى عهد الخليفة الظاهر ، فقد ظهر مناوىء جديد لهم ، وهو صالح بن مرداس أمير بنى كلاب الذى تمكن من الاستيلاء على هذه المدينة سنة ٤١٤ هـ من يد حكامها الفاطميين ، كما دخل قلعتها بعد حصار طويل(٢) ؛ وظل يتولى حكمها حتى سنة ٤٢٠ هـ حيث أعد له الخليفة الظاهر جيشاً كبيراً لقتاله وقتال بعض أمراء العرب بالشام الذين تحالفوا معه ضد الفاطميين على اقتسام بلاد الشام فيما بينهم . وقد تمكن الجيش الفاطمى من التغلب على قوات هؤلاء الحلفاء فى معركة دارت بالقرب من طبرية ، قتل فيها صالح بن مرداس(٣) ؛ وبذلك أتيح للفاطميين استعادة نفوذهم فى حلب على أن هذا النفوذ لم يكن مستقراً بسبب تطلع المرداسيين إلى استرداد هذه المدينة . وقد تجلت مطامعهم فى ولايتها

---

(١) ابن الأثير : ج٩ ، ص٧٩ .

(٢) ابن الأثير : ج٩ ، ص٧٩ .

(٣) Hitti, History of Syria P. 580.

(١) ابن العديم الحلبى : زبدة الحلب فى تاريخ حلب ، ص٢٢٧ .

فيما قام به نصر بن صالح بن مرداس الذى جمع قواته وهاجم حلب واستولى عليها من يد الفاطميين ، واتخذ لنفسه لقب شبل الدولة(١) ، ومازال نصر يحكم حلب إلى أن ولى الخلافة المستنصر بالله الفاطمى ، فعهد إلى القائد التركى أنوشتكين الدزبرى بالزحف إلى حلب واستردادها ، فسار إليها سنة ٤١٩هـ والتقى بنصر عند بلدة حماة ، وأوقع به الهزيمة وقتله ، وتقلد ولاية حلب بدلا منه ، وظل يلى أمورها إلى أن توفى سنة ٤٣٣(٢) .

كان ثمال بن صالح بن مرداس بالرحبة إذ ذاك . ولما بلغه اضطراب الأمور فى حلب ، عول على الخروج إليها ، ثم حاصرها واستولى عليها سنة ٤٣٤هـ وتقلد زمام الحكم فيها ؛ غير أنه لم يتمتع بالهدوء والاستقرار ، فقد زحف إليه الجنود من مصر بقيادة أبى عبد الله بن ناصر الدولة ابن حمدان سنة ٤٤٠هـ ، فخرج إليهم ثمال وقاتلهم واضطروا إلى العودة إلى مصر(٣) .

لم تزل الجنود المصرية توالى زحفها على حلب وتضيق عليها الحصار حتى سئم ثمال بن صالح إمارتها وعجز عن القيام بشئونها ، وبعث إلى المستنصر بمصر يطلب الصلح ، فصالحه على أن ينزل عن حلب ، وعهد الخليفة الفاطمى إلى مكين الدولة الحسن بن ملهم بولاية حلب سنة ٤٤٩هـ(٤) .

لم يكد يمضى عامان على تقلد ابن ملهم ولاية حلب حتى ثار عليه أهلها وبعثوا فى طلب محمود بن نصر بن صالح بن مرداس ، فقدم عليهم فى منتصف سنة ٤٥٢هـ واشترك معهم فى محاصرة ابن ملهم . ولما علم بذلك المستنصر ، أرسل إليه نجدة تحت قيادة ناصر الدولة الحسين بن حسن بن حمدان والى

---

(١) ابن خلدون : العبر ، جـ٤ ، ص٢٧٢ .
(٢) ابن الأثير : جـ٩ ص٧٩ .
(٣) ابن الأثير : جـ٩ ، ص ٧٩ ـ ٨٠ ، ابن خلدون : العبر ، جـ٥ ، ص٢٧٣ .
(٤) ابن الأثير : جـ٩ ص٩٠

دمشق ، فدارت بينه وبين محمود بن نصر بن صالح بن مرداس عدة معارك انتهت بانهزامه واستعادة محمود ولاية حلب ، وعاد ابن ملهم وابن حمدان إلى مصر(١) .

على الرغم من أن أمراء بنى مرداس قد بذلوا جهداً كبيراً فى سبيل الاحتفاظ بولاية حلب ، فانهم عجزوا عن توطيد نفوذهم فيها لأنهم كانوا مهددين من ناحية الخلافة الفاطمية(٢) ، كما أنه كان لضعفهم أثر كبير فى عدم استقرار الأمور فى ولايتهم وعلى الأخص منذ بداية النصف الثانى من القرن الخامس الهجرى . وقد عجلت هذه الحالة بزوال حكم المرداسيين فى حلب بعد أن ظلوا يحكمونها مايقرب من ستين عاما .

على أن الفاطميين وإن كانوا قد نجحوا فى بسط سيادتهم على حلب بعد أن زالت سلطة الحدانيين فيها ، فانه لم يتيسر لهم ضمها إلى حوزتهم بعد أن حكمها أمراء من بنى مرداس ، بل ظلوا فى نزاع مع هؤلاء الأمراء دون أن يتمكنوا من القضاء على سلطتهم .

وقد تعرضت حلب فى أواخر القرن الخامس الهجرى لهجوم السلاجقة وبعض أمراء العرب ؛ فسار إليها شرف الدولة مسلم بن قريش بن بدران العقيلى صاحب الموصل وحاصر قلعتها واستولى عليها من ولاتها المرادسيين سنة ٤٧٣(٣)هـ ، ثم أرسل إلى ملكشاه سلطان السلاجقة ليقره على نيابة حلب على أن يؤدى إليه مبلغاً معيناً من المال ، فأجاب السلطان طلبه(٤) ؛ وبذلك قضى على سلطان المرداسيين .

---

(١) ابن خلدون : العبر ، ج٤ ص٢٧٣ — ٢٧٤ .

(٢) Lammens. La Syrie, Précis Historique Tome I. P. 154.

(٣) ابن الأثير : ج١٠ ص٣٩ .

(٤) المكين بن العميد : تاريخ المسلمين ، ص٢٨٠ — ٢٨٢

ابن خلدون : العبر ، ج٤ ص٢٧٥ .

٤ — ضعف النفوذ الفاطمى فى بلاد الشام فى أواخر القرن الخامس الهجرى

كان نفوذ الفاطميين فى بلاد الشام مرتبطاً بقوتهم العسكرية ؛ فإذا ما ضعفت قواتهم هناك ، قام الأمراء المحليون بالعمل على توطيد استقلالهم الذاتى كما فعل بنو الجراح بفلسطين وبنو مرداس فى حلب . وقد وجهت الخلافة الفاطمية عنايتها إلى القضاء على مناوأة هؤلاء الأمراء والعمل على توطيد سلطانها ببلاد الشام . وليس من شك فى أن الاضطرابات التى أثارها بنو الجراح فى فلسطين وعدم استقرار الأمور فى حلب فى عهد بنى مرداس ، أتاح كل ذلك الفرصة أمام السلاجقة(١) ليظهروا على مسرح السياسة فى بلاد الشام ويقضوا على النفوذ الفاطمى فيها .

أخذ نفوذ السلاجقة فى الازدياد منذ عهد طغرلبك الذى تمكن من جمع صفوفهم وبسط سلطانهم على جهات واسعة من الدولة الإسلامية شملت مرو ونيسابور وكرمان وأذربيجان وجرجان وطبرستان .

كذلك عمل طغرلبك على توثيق الروابط بين السلاجقة والخليفة العباسى القائم بأمر الله ؛ فلما استنجد به هذا الخليفة لينقذه من فتنة أبى الحارث أرسلان البساسيرى ، أجاب طلبه ، فسار إلى بغداد وقضى على هذه الفتنة وأعاد إقامة الخطبة للخليفة العباسى سنة ٤٥١هـ ؛ غير أنه لم يلبث

---

(١) يرجع أصل السلاجقة إلى إحدى قبائل الغز التركية ، وكانوا قوما من البدو يسكنون إقليم تركستان ، وقد قرب ملك هذا الإقليم جدهم سلجوق إليه ، فظل فى خدمته حتى وصل إليه نبأ تدبيره مؤامرة للتخلص منه . فهاجر مع قبيلته إلى بخارى ، حيث دخل هو وأتباعه فى الإسلام على مبادىء المذهب السنى وأصبحوا من المتحمسين له .

المكين بن العميد : تاريخ المسلمين ، ص ٢٦٧ ، المقريزى . السلوك لمعرفة دول الملوك . جـ١ ، القسم الأول ، ص ٣٠ — ٣١ .

أن استأثر بالسلطة دونه . وسار على هذه السياسة من جاء بعده من سلاطين السلاجقة .

وجه السلاجقة اهتمامهم بعد أن استأثروا بالنفوذ في العراق إلى استعادة مافقدته الدولة العباسية من البلاد ، فأرسل ألب أرسلان سنة ٤٦٢ هـ إلى محمود بن صالح بن مرداس أمير حلب ، يطلب منه إقامة الدعوة للخليفة العباسي بدلا من الخليفة الفاطمي ، فأجابه إلى طلبه . ثم سار بنفسه إلى حلب في العام التالي وحاصرها شهراً ، فخرج إليه أميرها فأكرمه وأعاده إلى ولايته(١)، واضطر ألب أرسلان إلى العودة إلى بلاده حين وصله أن الروم اخترقوا بلاد أرمينية يريدون خراسان ، وفي سنة ٤٦٥ هـ ، عهد السلطان ملكشاه إلى أتسز التركماني بالاستيلاء على بلاد الشام ، ففتح الرملة وبيت المقدس ، ثم يمم السير إلى دمشق ؛ غير أن جيوش الفاطميين سرعان ماردته على أعقابه(٢). لكنه لم يلبث بعد ذلك أن عوّل على محاصرتها سنة ٤٦٧ هـ ، وأخذ يشدد عليها الحصار حتى تمكن من فتحها ، ثم حذف اسم المستنصر بالله الفاطمي من الخطبة ، وأحل محله اسم الخليفة العباسي المقتدي بأمر الله(٣) ، كما منع الأذان بحي على خير العمل . وكان لعمله هذا أحسن الأثر في نفوس أهالي دمشق(٤) .

ولما استقر الأمر للقائد التركماني أتسز في بلاد الشام خشي أن يعاود الفاطميون مهاجمته ؛ فجهز جيشاً من التركمان والعرب والترك وسار قاصداً مصر سنة ٤٦٩ هـ بعد أن أغراه بفتحها ابن يلدكوز الذي احتمى به على

---

(١) ابن الأثير : ج ١٠ ، ص ٢٢ .

(٢) ابن الأثير : ج ١٠ ، ٢٣ .

(٣) Stanley Lane-Poole, A History of Egypt in the Middle Ages P. 161.

(٤) ابن خلدون : ج ٤ ، ٦٥ ، Hitti. History of syria pp. 588 - 589

أثر قدوم بدر الجمالى إلى مصر، وأهدى إليه بعض التحف التى استولى عليها أبوه من خزائن المستنصر بالله الفاطمى(١).

وقد توغل أتسز بقواته فى البلاد المصرية دون أن يصادف مقاومة تذكر، وعسكر خمسين يوماً فى الدلتا بدلا من أن يسير إلى القاهرة، وأساء أصحابه معاملة الأهالى وأخذوا أموالهم؛ فأرسل رؤساء القرى المصرية إلى الخليفة المستنصر بالله يشكون إليه ما نزل بهم(٢).

لم يكن بدر الجمالى فى الوقت الذى زحف فيه أتسز على مصر مستعداً لمواجهة حملته لانشغاله بإخماد بعض الثورات فى بلاد الصعيد؛ فجند جميع الرجال القادرين على حمل السلاح، ودعا ثلاثة آلاف حاج كانوا متأهبين للسفر إلى بلاد الحجاز لمعاونته فى قتال السلاجقة. فأجابوا دعوته وتخلفوا عن السفر، وأصبح جيش بدر الجمالى يضم كثيراً من العرب وأهالى البلاد. ولما دار القتال بين الفريقين استطاع بدر الجمالى بمهارته أن يستميل إلى جانبه فريقاً من السلاجقة، كما فعل المعز من قبل مع القرامطة، وكان ذلك مما عجل الهزيمة بجيشهم، وفر أتسز إلى غزة وأقام بالرملة حتى لحق به من بقى من عسكره، ثم رحل إلى دمشق(٣).

أعلنت بعض المدن الرئيسية فى بلاد الشام على أثر تلك الهزيمة التى لحقت بأتسز ولاءها من جديد للخلافة الفاطمية. وقد شجع ذلك بدر الجمالى على العمل لاستعادة سلطان الفاطميين بتلك البلاد، فأنفذ جيشاً بقيادة نصر الدولة إلى دمشق، فحاصرها حصاراً شديداً حتى اضطر أتسز إلى طلب النجدة من تاج الدولة تتش بن ألب أرســـلان — وكان إذ ذاك يحاصر

---

(١) ابن ميسر: تاريخ مصر، ص ٢٤.
(٢) ابن الأثير: ج١٠، ص ٢٦.
(٣) ابن الأثير: ج١٠، ص٣٥ — ٣٦، ابن ميسر: تاريخ مصر، ص ٣٥

حلب - فسار تتش إلى دمشق . ولم يكد يقترب منها حتى رحل عنها عسكر مصر(١).

ولما تقابل تتش مع أتسز عند سور دمشق ، أنكر عليه تأخره في الخروج للقائه ، ثم ما لبث أن قبض عليه وقتله ، واستولى على دمشق سنة ٤٧١ هـ وأحسن معاملة أهلها(٢). وصار يتولى بمفرده جميع الأمور في بلاد الشام ؛ غير أن الحالة لم تستقر له طويلا بتلك البلاد . فحاول بدر الجمالي أن يسترد دمشق سنة ٤٧٨ هـ . فسار إليها على رأس حملة ، وحاصرها حصاراً شديداً كما دار بينه وبين صاحبها تاج الدولة تتش قتال ؛ غير أنه لم يتمكن من التغلب عليه ، ورحل عائداً إلى مصر(٣) . ومازال بدر الجمالي يوجه اهتمامه إلى استعادة النفوذ الفاطمي في بلاد الشام حتى تمكن سنة ٤٨٢ هـ من الاستيلاء على معظم بلاد الشام الساحلية . على أن الفاطميين لم يتمكنوا من الاحتفاظ بسيطرتهم على هذه المدن بسبب تطلع السلاجقة إلى بسط سلطانهم عليها . ففي سنة ٤٨٥ هـ ، أمر السلطان ملكشاه نوابه بحلب والرها بالسير مع قواتهم لمعاونة أخيه تاج الدولة تتش في الاستيلاء على ما للخليفة المستنصر بالله الفاطمي من بلاد بساحل الشام ؛ فساروا لنجدته ، واستطاع تتش بمساعدتهم أن يستولى على حمص وقلعتي عرقة وأفامية(٤) (Apamea) .

على الرغم من أن تاج الدولة تتش قد بسط سلطانه على معظم بلاد الشام فإنه لم يوجه جهوده للعمل على توطيد نفوذه بهذه البلاد — مع أن الظروف كانت مهيأة له وخاصة من ناحية الفاطميين الذين حال ضعفهم

(١) ابن الأثير . جـ ١٠ ، ص ٣٨ ، أبو الفداء . المختصر في أخبار البشر ، جـ ٢ ، ص ١٩٤ .

(٢) ابن الأثير ، جـ ١٠ ، ٣٨ .

(٣) ابن الأثير ، جـ ١٠ ، ص ٤٩ .

(٤) ابن الأثير ، جـ ١٠ ، ص ٧٠ ، أبو الفداء . المختصر في أخبار البشر ، جـ ٢ ص ٦٧

أفامية : كورة من كور حمص ، تقع إلى الشمال من حماه وجنوب معرة النعمان .

بسبب المنازعات الداخلية دون نجاحهم فى استرداد سيادتهم على بلاد الشام التى كانت فى حوزتهم - ، فقد امتدت أطماع تتش إلى بلاد الجزيرة وفارس وتغلب على كثير منها مما أدى إلى قيام الخلاف بينه وبين ابن أخيه بركيارق سنة ٤٨٦ هـ . وقد تطور هذا الخلاف إلى نشوب الحرب بين تتش وقوات بركيارق ، انتهى الأمر فيها بهزيمة تتش وقتله سنة ٤٨٨هـ (١).

اقتسم بلاد الشام بعد مقتل تتش ابناه رضوان ودقاق ؛ فاستقل الأول بولاية حلب ، وانفرد الثانى بدمشق لكنهما لم يكونا على وفاق ، فقد دب الخلاف والتنافس بينهما، فسار رضوان إلى دمشق طمعاً فى الاستيلاء عليها لكنه عجز عن مهاجمتها لحصانتها ومناعتها ، كما لم يتمكن من الاستيلاء على بيت المقدس . أما دقاق فإنه رأى أن يسير إلى حلب لمحاصرة أخيه رداً على فعله . والتقى الفريقان بقنسرين حيث دارت معركة هزم فيها دقاق الذى ما لبث أن اتفق مع أخيه رضوان سنة ٤٨٩ هـ على أن تقام الخطبة باسميهما فى دمشق(٢).

أما عن الحالة الداخليـــة فى مصر ، فلم تكن إذ ذاك مستقرة ؛ فقد اضطربت فيها الأمور بعد تولية المستعلى الخلافة ، ويرجع ذلك إلى ماقام به الوزير الأفضل بن بدر الجمالى من إقصاء نزار بن المستنصر عن الخلافة رغم أحقيته لها ؛ فخرج أهالى الإسكندرية على طـــاعة الخليفة الفاطمى الجديد وانحازوا إلى نزار بعد أن قدم إليهم وبايعوه بالخلافة . غير أن الأفضل بن بدر الجمالى مالبث أن تمكن من القضاء عليه وعلى من آزره فى ثورته فى أواخر سنة ٤٨٨ هـ(٣).

(١) ابن الأثير ، جـ١٠ ، ٨٥ .

(٢) ابن الأثير جـ١٠، ص٩٣ . أبو الفدا . المختصر فى أخبار البشر ، جـ٢، ص ٢٠٩ — ٢١٠ .

(٣) ابن ميسر : تاريخ مصر ، ص ٢٥ — ٢٧ ، أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ، جـ٥ ، ص ١٤٤ — ١٤٥

على الرغم من أن الحكومة الفاطمية فى مصر فى أوائل عهد المستعلى بالله شغلت بضبط الأمور فى البلاد عن مواصلة جهودها لاسترداد نفوذها فى بلاد الشام ، فإن الخلاف بين نواب السلاجقة فى هذه البلاد وحالة الضعف التى تجلت فى أيامهم ، لم يكن كل ذلك خافياً عنها ؛ فرأى الفاطميون أن ينتهزوا هذه الفرصة ليحاولوا من جديد إعادة سيطرتهم على ما فقدوه من مدن الشام ؛ فسار الأفضل بن بدر الجمالى سنة ٤٨٩ هـ على رأس حملة إلى بيت المقدس - وكان يلى هذه المدينة إذ ذاك إيلغازى وسقمان ابنا الأمير أرتق - ، فالتمس منهما تسليمه القدس من غير حرب ، فلم يجيباه إلى طلبه(١). فحاصر المدينة ونصب على أسوارها المجانيق ، واضطر أهل القدس إلى طلب الأمان ، فأمنهم وفتحوا له أحد أبوابها ، وبذلك تمكن الأفضل من دخولها والاستيلاء عليها ، ورأى كل من سقمان وأخيه إلغازى أن يرحلا عنها ؛ فمضى الأول إلى الرها . أما الثانى فسار إلى بغداد(٢).

أدى النزاع بين الفاطميين والسلاجقة على نشر نفوذهم فى بلاد الشام إلى عدم استقرار الأمور فى هذه البلاد وضعف الجبهة الإسلامية أمام الغزو الصليبى ؛ فقد زحف الصليبيون على أنطاكية بقيادة بوهمند النرمندى فى أواخر القرن الخامس الهجرى ، ورأوا أن يستغلوا الفرقة بين الأمراء المسلمين فى بلاد الشام ، فأرسلوا إلى أميرى حلب ودمشق يطلبون منهما عدم التعرض لهم ، كما ادعوا بأنهم لا يقصدون غير البلاد التى كانت بيد الروم(٣). ولما وقف رضوان أمير حلب على رغبة الصليبيين فى إثارة النزاع بين القوى الإسلامية ليتيسر لهم تحقيق غرضهم ، سارع إلى نجدة أمير أنطاكية وانضم

---

(١) ابن القلانسى . ذيل تاريخ دمشق ، ١٣٠ .
(٢) أبو المحاسن . النجوم الزاهرة ، جـ٥ ، ص١٥٩ .
(٣) ابن الأثير : جـ١٠ ، ص٩٥ .

إليه سقمان بن أرتق وقوات من شيزر(١) وحماه وحمص . غير أن المحاولات التي بذلها أمراء المسلمين ببلاد الشام لإنقاذ أنطاكية باءت بالفشل وسقطت المدينة في يد الصليبيين سنة ٤٩١(٢) هـ (٣ يونيه ١٠٩٨ م) .

لما وصل إلى الحكومـــة الفاطمية في مصر نبأ هجوم الصليبيين على أنطاكية ، رأت أن تبذل جهدها لمنع زحفهم على بيت المقدس ، فأنفذ الوزير الأفضل بن بدر الجمالي سنة ٤٩٢ هـ (١٠٩٨) سفارة إلى الصليبيين للتفاوض في عقد اتفاق معهم يتضمن أن ينفردوا بأنطاكية وأن تستقل مصر ببيت المقدس على أن يسمح للصليبيين بزيارة الأماكن المقدسة بفلسطين وتكون لهم الحرية في أداء شعائرهم الدينية على ألا تزيد مدة إقامتهم بها عن شهر واحد وألا يدخلوها بسيوفهم(٣) .

لم تؤد سفارة الأفضل بن بدر الجمالي إلى الصليبيين، إلى عدولهم عن تحقيق سياستهم في الاستيلاء على بيت المقـــدس ، بل كان من أثرها أن وقف الصليبيون على مدى الخلاف السائد بين الفاطميين ونواب السلاجقة ببلاد الشام ؛ ومن ثم استقر رأيهم بعد استيلائهم على أنطاكية على إرسال حملة لفتح بيت المقدس . وقد استولى الصليبيون أثناء سيرهم إلى هذه المدينة على معرة النعمان(٤) ، كما عمل أمير شيزر على تأمين طريقهم وتزويدهم بما يحتاجون إليه درءاً لخطرهم(٥) .

كانت بيت المقدس في الوقت الذي تقدم فيه الصليبيون لمهاجمتها خاضعة

---

(١) تقع على مقربة من معرة النعمان شمال حماه .

(٢) أبو الفداء . المختصر من أخبار البشر ، ج٢ ، ص ٢١٠ .

(٣) Cuillaume de Tyre (R. Hist Occ. Crois,) T I P. 191 et Seq.

راجع كتاب ، الحرب الصليبية الأولى لحسن حبشي ، ص ٥٣ — ٥٤ .

(٤) ابن الأثير . ج١٠ ص٩٦ .

(٥) حسن حبشي . الحرب الصليبية الأولى ، ص٧٤ .

للفاطميين ويلى حكمها نائب من قبلهم يدعى افتخار الدولة (١) ؛ فلما شرع الصليبيون فى فتح هذه المدينة لقوا مقاومة فى بادىء الأمر من الحامية الاسلامية . غير أن جود فروى قائد الحملة الصليبية مالبث أن عثر على منفذ المدينة لم يهتم المسلمون بتحصينه ، فدخل منه مع بعض أتباعه من الفدائيين، وبذلك تيسر لهم فتح أبوابها ، فاضطر المسلمون إلى الاعتصام بالمسجد الأقصى ، فتعقبهم الصليبيون ونكلوا بهم . ولم يجد حاكمها الفاطمى افتخار الدولة بدأ من الاستسلام ، وتعهد هو وقواته للصليبيين بالرحيل عنها إلى مصر (٢) .

لم يقف الفاطميون إزاء هجوم الصليبيين على بلاد الشام وزحفهم على بيت المقدس مكتوفى اليدين وخاصة بعد أن وصلهم خبر دخولهم هذه المدينة واستيلائهم عليها، ومحاولتهم أخذ مابقى لهم من المدن الساحلية، وعجز أمراء السلاجقة عن الوقوف فى وجههم . فأعدوا حملة فى رمضان سنة ٤٩٢ هـ لاسترداد بيت المقدس . وخرج الأفضل بن بدر الجمالى وزير الخليفة المستعلى بالله على رأس الجيش الفاطمى ، وأقام هذا الوزير بعسقلان فى انتظار النجدات التى وعده بها العرب(٣)، وأرسل إلى الصليبيين ينكر عليهم مافعلوه ويتهددهم(٤) . على أن القوات الفاطمية مالبثت أن فوجئت بهجوم الصليبيين ، واشتبك الفريقان فى عدة معارك انتهت بهزيمة الجند الفاطمى وتراجعهم تدريجياً ، وعاد الأفضل مع خواصه إلى مصر(٥) .

---

(١) ابن الأثير ، جـ١٠ ، ص٩٨ .

(٢) ابن الأثير ، جـ١٠ ، ص ٩٨ . حسن حبشى ، الحرب الصليبية الأولى ، ص ٨٣ - ٨٥ .

(٣) ابن القلانسى ، ذيل تاريخ دمشق، ص ١٣٧ ؛ أبو المحاسن . النجوم الزاهرة جـ٥ ، ص ١٥٠ .

(٤) ابن الأثير ، جـ١٠ ، ص٩٩ .

(٥) المقريزى : خطط ، جـ١ ، ص ٣٥٦ ، أبو المحاسن . النجوم الزاهرة ، جـ ٥ ، ص ١٤٩ .

تجلى ضعف النفوذ الفاطمى فى بلاد الشام على أثر النجاح الذى أحرزه الصليبيون فى زحفهم على هذه البلاد وتأسيسهم إمارتى أنطاكية وبيت المقدس . وقد ظهرت بوادر هذا الضعف منذ حاول السلاجقة إقصاء الفاطميين عن بلاد الشام .

على أن السلاجقة وإن كانوا قد أحرزوا بعض النجاح فى بسط سيطرتهم على بعض مدن الشام التى كانت فى حوزة الفاطميين ، فإن الخلاف الذى قام بين نوابهم أضعف من سلطتهم ، كما أن التنافس بينهم وبين الفاطميين على امتلاك بلاد الشام كان من أكبر العوامل التى عاونت الصليبيين على الاستقرار فى هذه البلاد (١) .

ومما لاشك فيه أن الخلافة الفاطمية فى أواخر القرن الخامس الهجرى لم تكن فى حالة تساعدها على استعادة مكانتها فى بلاد الشام ، فقد أصبحت مصر من الضعف بسبب ماسادها من الاضطرابات ، وما منيت به من منازعات بين طائفتى النزارية (٢) والمستعلية بحيث تعذر عليها الاحتفاظ بما تبقى لها من سلطان على بلاد الشام ، يؤيد ذلك ما قاله المقريزى(٣) عن الخليفة المستعلى بالله الفاطمى (٤٨٧ - ٤٩٥ هـ) « وفى أيامه اختلت الدولة وانقطعت الدعوة من أكثر مدن الشام فإنها صارت بين الأتراك والفرنج» .

(١) Gaston Wiet, Précis de L'Histoire de L'Egypte Vol. II.P.186

(٢) كانت النزارية تدعى أن المستنصر بالله الفاطمى أوصى لابنه الأكبر نزار بالخلافة من بعده . أما المستعلية ، فادعت أنه أوصى بها لابنه أبى القاسم أحمد الذى لقب بالمستعلى بالله (ابن ميسر . تاريخ مصر ، ص ٣٥—٣٧)

(٣) خطط ، جا ص ٣٥٦ — ٣٥٧ .

الباب السادس

الدعوة الفاطمية فى بلاد العراق

١- سياسة الفاطميين فى نشر دعوتهم بمدن العراق إلى أوائل القرن الخامس الهجرى.

٢- حركة البساسيرى فى العراق.

٣- زوال النفوذ الفاطمى ببلاد العراق بعد دخول السلاجقة بغداد.

الباب السادس

الدعوة الفاطمية فى بلاد العراق

---

١ — سياسة الفاطميين فى نشر دعوتهم ببلاد العراق إلى أوائل القرن الخامس الهجرى

كان لظهور القرامطة فى بلاد العراق السفلى والتشابه بين دعوتهم ودعوة الإسماعيلية أكبر الأثر فى جذب كثير من أهالى الولايات العباسية إلى اعتناق المذهب الإسماعيلى(١) ؛ فصارت بلاد السواد(٢) تموج بأتباع أئمة الإسماعيلية الذين اتخذوا سلمية(٣) دار هجرة منذ عهد الخليفة المأمون العباسى ، كما أصبح لهم أنصار فى بغداد نفسها ، بل إن عبيد الله (المهدى) اتخذ دعاته بهذه المدينة كانوا يمدونه بأخبار العباسيين . وقد استطاع بفضل

(١) عرف بذلك نسبة إلى إسماعيل بن جعفر الصادق . وكان أتباعه يعرفون بالاسماعيلية وهم فرقة من الشيعة تعتقد أن الإمامة انتقلت بعد النبي صلى الله عليه وسلم إلى على بن أبى طالب رضى الله عنه ، ثم إلى ابنه الحسن ، ثم إلى أخيه الحسين ، ثم تنقلت فى بنى الحسين إلى جعفر الصادق . ويدعون أن الإمامة انتقلت من جعفر الصادق إلى ابنه اسماعيل ثم تنقلت فى بنيه .
(القلقشندى . صبح الأعشى . ج ١ . ص ١١٥ — ١٢٠) .

(٢) السواد يراد به رستاق العراق وضياعها التى افتتحها المسلمون فى عهد عمر بن الخطاب رضى الله عنه . وقد سمى بذلك لسواده بالزروع والنخيل والأشجار .
(ياقوت . معجم البلدان . ج٣ . ص ١٥٩) .

(٣) بلدة من ناحية البرية من أعمال حماه (ياقوت . معجم البلدان ج٥ . ص١٩٣) .

دعاته المقيمين ببغداد وبلاد الشام التغلب على الصعوبات التي تعرض لها في طريقه من سلمية إلى بلاد المغرب(١).

قام دعاة الفاطميين في بغداد ، بعد أن استقرت الخلافة لعبيد الله المهدي في المغرب بنشاط كبير في نشر دعوتهم ؛ وليس أدل على ذلك من اتجاه ميول بعض كبار رجال الدولة العباسية إلى ما ادعاه الفاطميون من حق في الخلافة والاعتراف بإمامة المهدي فذكر مسكويه(٢) أن يوسف بن أبي الساج — أحد قواد العباسيين في عهد الخليفة المقتدر — أخبر كاتبه محمد ابن خلف أنه متى جمع خراج واسط والكوفة وسقى الفرات عن سنة ٣١٤ هـ ، شق عصا طاعة الخليفة العباسي وأظهر الدعوة للمهدي . ثم دعا الناس إلى الدخول فيما دخل فيه ، وسار إلى بغداد ؛ فكتب محمد بن خلف بذلك كله إلى نصر الحاجب ، فأوصله إلى مسامع الخليفة العباسي » .

على أنه يستدل مما أورده ابن الأثير(٣) عن اتصال القائد العباسي يوسف بن أبي الساج بالفاطميين أن كاتبه محمد بن خلف هو الذي اتهمه بذلك طمعاً في تقلد الوزارة ؛ فقال : « إن محمد بن خلف النيرماني عظم شأنه وكثر ماله فحدث نفسه بوزارة الخليفة ، فكتب إلى نصر الحاجب يخطب الوزارة ويسعى بابن أبي الساج ويقول له إنه قرمطي يعتقد إمامة العلوي الذي بإفريقية وأنني ناظرته على ذلك فلم يرجع عنه ، وأنه لا يسير إلى قتال أبي طاهر القرمطي وإنما يأخذ المال بهذا السبب ويقوى به على قصد حضرة السلطان وإزالة الخلافة عن بني العباس » .

---

(١) حسن إبراهيم وطه شرف . كتاب « عبيد الله المهدي » ص١٢٥ — ١٢٨ ، ٣٠٧ .

(٢) تجارب الأمم . ج١ ، ص ١٦٢ — ١٦٨ ، حسن إبراهيم . الفاطميون في مصر ص ٧٢ — ٧٣

(٣) الكامل في التاريخ ، ج ٨ ص ٥٤ .

وعلى الرغم من أنه ليس فيما ذكره كل من مسكويه وابن الأثير عن موقف يوسف بن أبي الساج إزاء الفاطميين ما يدل على محاولته الخروج على طاعة الخليفة العباسي ، فإن هذا الأمر لا يمنعنا من أن نرجع ميله إلى الدخول في دعوة عبيد الله المهدى وإن كانت الفرصة لم تحن بعد لتحقيق هذه الرغبة . يؤيد ذلك ما أشار إليه المقريزى(١) من أن يوسف بن أبي الساج ، بعث إلى عبيد الله المهدى رسالة يعـــترف فيها بإمامته ويعلن استعداده لمعاونته(٢).

كذلك بلغ من نفوذ دعاة الفاطميين في ذلك العهد أن نجحوا في جذب كثيرين من أهالى العراق إلى اعتناق المذهب الإسماعيلى ؛ ويتضح لنا ذلك من هذا الحديث الذى دار بين على بن عيسى وزير الخليفة العباسى المقتدر بالله وبين أحد الإسماعيلية من أهل العراق . يقول ابن الأثير(٣) : « جاء إنسان إلى على بن عيسى وأخبره أن في جيرانه رجلا من شيراز على مذهب القرامطة يكاتب أبا طاهر(٤) بالأخبار ، فأحضره وسأله واعترف ؛ وقال : ما صحبت أبا طاهر إلا لما صح عندى أنه على الحق وأنت وصاحبك (أى الوزير والخليفة) كفار ، تأخذون ما ليس لكم ، ولا بد لله من حجة في أرضه ، وإمامنا المهدى فلان بن فلان بن محمد بن إسماعيل بن جعفر

(١) المقفى الكبير ، ورقة ٢٢٣ ب .

(٢) حسن ابراهيم ، الفاطميون في مصر ، ص ٥٤ .

(٣) الكامل في التاريخ ، جـ ٨ ، ص ٧٤ .

(٤) تقلد أبو طاهر سليمان الجنابى زمام الحكم في دولة القرامطة ببلاد البحـــرين سنة ٣٠٥ هـ . وكان طموحا إلى المجد والعظمة ؛ فقضى السنوات الأولى من حكمه ينظم شئون دولته ؛ وبعد العدة للسيطرة على جزيرة العرب . وقد تجلى في عهده قيام العلاقات الودية بين القرامطة والفاطميين ببلاد المغرب واتحادهم في سياستهم العدائية إزاء العباسيين .

(راجع كتاب النفوذ الفاطمى في جزيرة العرب للمؤلف ص ٣٤ — ٣٥)

الصادق المقيم ببلاد المغرب . ولسنا كالرافضة والاثنا عشرية الذين يقولون بجهلهم إن لهم إماماً ينتظرونه ويكذب بعضهم البعض . . . » فقال له على ابن عيسى : قد خالطت عسكرنا وعرفتهم ، فمن فيهم على مذهبك ؟ فقال : وأنت بهذا العقل تدبر الوزارة كيف تطمع منى أنى أسلم قوما مؤمنين إلى قوم كافرين يقتلونهم لا أفعل ذلك . . » .

كان اضعف سلطة الخلفاء العباسيين الذى تجلى منذ بداية القرن الرابع الهجرى بسبب استفحال نفوذ القواد من الأتراك واستقلال الأمراء بولاياتهم ، واستبداد البويهيين(١) بأمور الخلافة أثره فى تشجيع الفاطميين

---

(١) اشتهر من بين أهالى بلاد الديلم البويهيون . وكانوا جنوداً مغامرين من أصل فارسى ، وقد رفعوا أنفسهم بالدهاء والمكر وكانوا لا يترددون ولا يخجلون من ترك خدمة قائد إلى خدمة آخر يدفع لهم أجراً أكثر من الأول ؛ فارتقى على بن بويه وأخوه الحسن إلى مرتبة الأمراء فى جيش « ماكان » الديلمى ؛ ولما لحقت به الهزيمة ؛ انتقلا إلى خدمة مرداويج بن زيار الديلمى ؛ فولى على بن بويه بلاد الكرج (إلى الجنوب الشرقى من همذان) .

على أن الجو لم يصف لعلى بن بويه ؛ فقد عول مرداويج على طرده من بلاد الكرج وأرسل جيشاً كبيراً لإخراجه منها . فسار إلى أرجان (إحدى كورفارس) واحتلها سنة ٣٢١ هـ ؛ ثم دخل شيراز فى العام التالى وتمكن أخوه أحمد بن بويه من احتلال كرمان .

لما توفى مرداويج سنة ٣٢٣ هـ ؛ احتل البويهيون أصفهان والرى واستمروا فى توسعهم نحو الغرب ، فدخل أحمد بن بويه الأهواز سنة ٣٢٦ هـ واحتفظ بها رغم المقاومة التى لاقاها ؛ واستطاع أخوه على بن بويه إخضاع بلاد فارس ، وأرسل إلى الخليفة الراضى يطلب اعترافه بسلطته فى فارس فبعث إليه بالخلع مع أحد رسله وأمره ألا يسلمها إليه إلا بعد أن يرسل ثمانمائة مليون درهم إلى بغداد ويتعهد بأن يؤدى إليه مثلها سنويا ؛ لكن على بن بويه احتال على الرسول حتى أخذ منه الخلع ، ثم امتنع عن دفع هذا المبلغ .

لم يكن على بويه هو الذى ارتفع شأنه دون غيره من البويهيين ، بل استولى أخوه الحسن على بلاد العراق العجمى : ودعا قواد بغداد أخاه الثالث أحمد بن بويه إلى المسير إليهم حين ساءت الحالة فى عهد الخليفة المستكفى . فوصل بغداد فى ١١ جمادى الأولى سنة ٣٣٤ هـ . فقابله الخليفة واحتفى به ومنحه إمرة الأمراء وبايعه أحمد بالخلافة ؛ ولكى يظهر هذا الخليفة تأييده لبنى بويه منح زعماءهم الألقاب ؛ فلقب عليا عماد الدولة ، ولقب الحسن ركن الدولة ؛ ولقب =

على إرسال دعاتهم إلى بلاد الدولة العباسية لنشر الدعوة لهم ، كما حفزهم إلى العمل على تقويض دعائم الخلافة العباسية وانتزاع زعامة الاسلام منها .

وقد كشف المعز لدين الله الفاطمى عن سياسته التى ترمى إلى بسط سلطانه على بلاد المشرق فى خطبة ألقاها على رؤساء كتامة بمدينة المنصورية(١) : « . . . . . . رأيت أن أنفذ إليكم فأحضركم لتشاهدوا حالى إذا خلوت دونكم واحتجبت عنكم ، وإنى لا أفضلكم فى أحوالكم إلا فيما لابد لى منه من دنياكم وبما خصنى الله به من إمامتكم ، وإنى مشغول بكتب ترد على من المشرق والمغرب ، أجيب عنها بخطى(٢) » .

كذلك عبر المعز قبيل وفاته سنة ٣٦٥ هـ عن أمله فى فتح العراق فى الحديث الذى دار بينه وبين رسول الأمبراطور البيزنطى الذى قدم إلى القاهرة لزيارته . وقد خاطبه المعز بقوله : « أتذكر إذ أتيتنى رسولا وأنا بالمهدية فقلت لك لتدخلن على وأنا بمصر مالكا لها ، قال : نعم . قال : وأنا أقول لك لتدخلن على ببغداد وأنا خليفة(٣) » .

رأى الفاطميون أنه لن يتيسر لهم نشر نفوذهم فى بلاد المشرق إلا بفتح مصر لتوسطها العالم الإسلامى ، فضلا عن قربها من المشرق الذى حرص المعز على إخضاعه ؛ لذلك وجه الفاطميون أنظارهم إليها لانتزاعها من الدولة

= أحمد الذى أصبح مطلق التصرف فى العراق معز الدولة .
مسكويه . تجارب الأمم ، ج١ ، ص ٢٩٦ — ٣٠٢ .
حسن ابراهيم . تاريخ الإسلام السياسى ج٣ ، ص٩٩ — ١٠١ .
الدورى . العصور العباسية المتأخرة ص٢٤٤ — ٢٤٧

(١) أسس الخليفة المنصور الفاطمى مدينة المنصورية سنة ٣٣٧ هـ فى الموضع الذى دارت فيه الواقعة بينه وبين أبى يزيد مخلد بن كيداد على مقربة من القيروان واتخذها حاضرة له . (راجع كتاب : المغرب فى ذكر بلاد إفريقية والمغرب لأبى عبد البكرى ص ٢٥) .
(٢) المقريزى : اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الخلفا ، ص١٣٦ — ١٣٧ .
(٣) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ : ج ٨ ، ص ٢٢٠ .

العباسية ، واستطاعوا أن يبسطوا سلطانهم عليها سنة ٣٥٨ هـ ، وأقيمت للخليفة الفاطمى الخطبة على منابرها .

ولما أيقن الفاطميون أن دعاتهم فى بلاد المشرق قد نجحوا فى صرف كثير من المسلمين عن تأييد العباسيين ، شرعوا فى مواصلة جهودهم لبسط سيادتهم على أراضى الدولة العباسية ؛ فتخطى النفوذ الفاطمى فى عهد المعز الحدود المصرية إلى بلاد الشام ؛ لكنه لم يكن مستقراً فيها ، بينما نراه ينمو ويزداد فى جزيرة العرب بفضل الدعاية الفاطمية التى وجدت من تلقاء نفسها مرعى خصيباً فى تلك البلاد ؛ فأقيمت الخطبة فى مكة والمدينة لكثير من الخلفاء الفاطميين ، كما انتشر نفوذهم فى بلاد اليمن وذاعت دعوتهم فى كثير من بلادها ؛ وبذلك تضاءل سلطان الدولة العباسية الروحى فى جزيرة العرب كما تضاءل سلطانهم السياسى فى بلاد الشام من قبل .

كانت بلاد العراق محط أنظار الفاطميين وعلى الأخص بعد أن استبد البويهيون بالسلطة فى بغداد سنة ٣٣٤ هـ . وقضوا على نفوذ الخلفاء العباسيين ، بل شاركوهم فى مظاهر سيادتهم الدينية والسياسية .

أقام البويهيون على أثر دخولهم بغداد إمارة وراثية . وكانوا يعتنقون المذهب الشيعى على مبادىء الزيدية التى أدخلها بلاد الديلم حسن بن على الزيدى(١) . ومن ثم صاروا لا يعترفون بحق العباسيين فى السيادة على جميع العالم الإسلامى(١) ، وإنما اعتبروهم مغتصبين للخلافة من

---

(١) نشر حسن بن على الزيدى الإسلام بين أهالى الديلم وطبرستان فى أوائل القرن الرابع الهجرى ، وقضى على الوثنية والمجوسية التى كانت منتشرة بينهم ، واستطاع أن يستميلهم إلى جانبه ، وظلوا مخلصين له طيلة حياته ؛ كذلك نجح حسن بن على الزيدى فى القضاء على النظام الإقطاعى الذى كان سائداً فى بلاد الديلم ، وظلت طبرستان بيد أسرته حتى سنة ٣١٤ هـ حين فتح مرداويج بن زيار الديلمى هذا الإقليم .

(الدورى : العصور العباسية المتأخرة ، ص ٧٢ — ٧٣) .

(١) Arnold, The Cailphate p. 61

أصحابها العلويين(١) .

وقد تأثر البويهيون إلى حد كبير بالدعاية الفاطمية فى بلاد المشرق ؛ فلما قبضوا على زمام السلطة فى بغداد وضعف تبعاً لذلك مركز الخلافة فكروا فى القضاء على الخلافة السنية وإقامة خلافة شيعية مكانها ، وحاول معز الدولة بن بويه (٣٣٤ – ٣٥٦ هـ) إخراج هذه الفكرة إلى حيز العمل وذلك بنقل الخلافة العباسية إلى أحد العلويين ، لكن خواصه حذروه من سخط الناس ومخالفتهم لأن عامتهم فى الأقطار الإسلامية اعتادوا الدعوة العباسية ، وأطاعوا العباسيين طاعة الله ورسوله (٢) .

وقد وضح ابن الأثير(٣) تلك المحاولة التى شرع معز الدولة فى تنفيذها ثم لم يلبث أن عدل عنها بقوله : « لقد بلغنى أن معز الدولة استشار جماعة من خواص أصحابه فى إخراج الخلافة من العباسيين والبيعة للمعز لدين الله العلوى أو لغيره من العلويين ، فكلهم أشار بذلك ماعدا بعض خواصه ، فإنه قال : « ليس هذا برأى . فإنك اليوم مع خليفة تعتقد أنت وأصحابك أنه ليس من أهل الخلافة ولو أمرتهم بقتله لقتلوه مستحلين دمه ، ومتى أجلست بعض العلويين خليفة كان معك من تعتقد أنت وأصحابك صحة خلافته فلو أمرهم بقتلك لفعلوه » .

عدل معز الدولة بن بويه عن عزمه لما قد يتعرض له سلطانه من خطر بسبب وجود خلافة علوية يطيعها الجند من الديلم ويكونون أداة فى يد الخليفة يستغلها لمصلحته متى شاء(٤) ، وفضل أن يستبد بالسلطة فى ظل

(١) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ، ج ٨ ، ص ١٧٩ .
(٢) الدورى : العصور العباسية المتأخرة ، ص ٢٤٨ .
(٣) الكامل فى التاريخ ج ٨ ، ص ١٤٩ .
(٤) مسكويه : تجارب الأمم ، ج ٢ ، ص ٨٧ .
Noeldeke, Sketches From Eastern History P. 88.

خليفة عباسي ضعيف على أن يكون تابعاً لخليفة يعترف بإمامته ، كما أن أمراء بنى بويه(١) الذين خلفوه وأصبحوا مطلق التصرف فى العراق حذوا حذوه ، فلم يقدموا على تحويل الخلافة إلى أحد العلويين ، لكنهم ظلوا على اتصال بالفاطميين ، فسمحوا لدعاتهم بنشر عقائد مذهبهم فى بلاد العراق وغيرها من البلاد التى كانت خاضعة لنفوذ بنى بويه(٢) .

كان البويهيون رغم حرصهم على الاحتفاظ بنفوذهم السياسى يؤثرون الفاطميين على العباسيين من الناحية المذهبية ، فتبودلت الرسائل الودية بين العزيز بالله الفاطمى وعضد الدولة بن ركن الدولة (٣٦٧ – ٣٧٢ هـ) فاعترف هذا الأمير بإمامة الخليفة الفاطمى ، كما كان لغارات البيزنطيين المتكررة على الأراضى المتاخمة لحدود كل من الدولتين العباسية والفاطمية أثر كبير فى تقريب مسافة الخلف بينهما وتعاونهما على إيقاف هذا العدو المشترك عند حده ؛ ويتبين لنا ذلك من الكتاب الذى بعثه العزيز مع أحد رسله إلى عضد الدولة سنة ٣٦٩ هـ ، وقد جاء فيه(٣) « . . . إن رسولك وصل إلى حضرة أمير المؤمنين مع الرسول المنفذ إليك ، فأدى ما تحمله من إخلاصك فى ولاء أمير المؤمنين ومودتك ومعرفتك بحق إمامته ، ومحبتك لآبائه الطائعين الهادين المهديين ؛ فسر أمير المؤمنين بما سمعه عنك ووافق ما كان يتوسمه فيك وأنك لا تعدل عن الحق . . . وقد علمت

---

(١) اقف بما ورد فى كتاب « سيرة المؤيد فى الدين داعى الدعاة » أن من بين ألقاب بنى بويه : شاهنشاه المعظم ملك الملوك ، سلطان الدولة ، معز أمير المؤمنين وعين خليفة الله ، كما لقبوا أحياناً بلقب أمير الأمراء .

أما Stanlely Lane-Poole فى كتابه (Muhammadan Dynasties p· 140 فيذكر أن أمراء بنى بويه لم يتخذوا لأنفسهم لقب سلطان على السكة ، وإنما استعملوا لقب أمير وملك .

(راجع حاشية رقم ٥ ، كتاب : تاريخ الإسلام السياسى ، ج ٣ ، ص ١٠١ – ١٠٢)

(٢) حسن إبراهيم : تاريخ الإسلام السياسى ، ج ٣ ص ١٠٢ – ١٠٣ .

(٣) أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ، ج ٤ ، ص ١٢٤ – ١٢٥

ما جرى على ثغور المسلمين من المشركين ، وخراب الشام وضعف أهله ، وغلاء الأسعار . ولولا ذلك لتوجه أمير المؤمنين بنفسه إلى الثغور ، وسوف يقدم إلى الحيرة ، وكتابه يقدم عليك عن قريب ، فتأهب إلى الجهاد في سبيل الله » .

ومما هو جدير بالذكر أن رسول العزيز بالله الفاطمي لما وصل إلى بغداد استقبل استقبالا حافلا ، فقد اصطفت الجند على جانبي الطريق ، وأخذ القواد وكبار رجال الدولة أماكنهم كل على حسب مكانته ، على حين جلس الخليفة الطائع وراء الستر ، حتى إذا ما رفع هذا الستر رأى الحاضرون الخليفة جالساً على عرش مرتفع ويحيط به مئــات الحراس ممتشقين سيوفهم : مرتدين أبهى حللهم ، وأمام الخليفة مصحف عثمان ، وعلى كتفيه بردة الرسول صلى الله عليه وسلم ، وبيده قضيب الملك ، وتقدم عضد الدولة البويهي وقبل الأرض . هنا سأل رسول الخليفة الفاطمي — وقد أخذت الدهشة منه كل مأخذ — من هذا الذى يسجد له وتقبل الأرض بين يديه ؟ أهو الإله العظيم ، فأجابه عضد الدولة . إنه خليفة الله وظله على الأرض(١) .

لما وصل كتاب العزيز إلى عضد الدولة ، أرسل إليه رداً ، أقره فيه على انتمائه لأهل بيت رسول الله وأظهر استعداده لتنفيذ أوامره(٢) . وقد علق أبو المحاسن(٣) على هذا الكتاب الذى أرسله عضد الدولة البويهي إلى الخليفة العزيز بقوله : « وأنا أتعجب من كون عضد الدولة كان إليه أمر الخليفة العباسي ونهيه ، ويقع في مثل هذا لخلفاء مصر ؛ وقد علم

(١) السيوطي : تاريخ الخلفاء ، ص ٢٧ — ٢٧١ .
Arnold, The Caliphate p. 66–67

(٢) أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ، ج٤ ، ص ١٢٥ .

(٣) النجوم الزاهرة ج ٤ ، ص ٢٥ ،

كل أحد ما كان بين بنى العباس وخلفاء مصر من الشنآن . وما أظن عضد الدولة كتب له ذلك إلا عجزاً عن مقاومته ، فإنه قرأ كتابه فى حضرة الخليفة الطائع ، وأجاب بذلك أيضاً بعلمه ، فهذا من العجب » .

على أن هذه السياسة التى كانت تنطوى على التودد بين الخليفة الفاطمى وعضد الدولة البويهى ما لبثت أن تبدلت فى أواخر عهد هـذا الأمير ، بل نراه يجهز قواته لغزو مصر واستردادها من الفاطميين بعد أن اتضح له خطر الدولة الفاطمية على سلطان بنى بويه ؛ فقد ذكر أبو منصور عبدالقاهر البغدادى فى كتابه الفرق بين الفرق(١) أن عضد الدولة تأهب للسير إلى مصر وانتزاعها من أيدى الباطنية ، وكتب على أعلامه : « بسم الله الرحمن الرحيم ، الحمد لله رب العالمين وصلى الله على محمد خاتم النبيين ، الطائع لله أمير المؤمنين ، أدخلوا مصر إن شاء الله آمنين . . . » . لكن هـذه المحاولة لم تتم بسبب وفاة عضد الدولة . وقد قيل إن ما قام به هذا الأمير كان نتيجة لشكه فى نسب الفاطميين ، ذلك أنه دعا العلويين ببغداد ، وقال لهم : « إن الخليفة بمصر يدعى أنه علوى ، فأنكروا انتسابه إليهم ؛ فبعث إلى العزيز رسولا يقول له : نريد أن نعرف من أنت ؛ فعظم ذلك على الخليفة الفاطمى وأزمع رسول عضد الدولة على العودة إلى بغداد ، وبينما هو فى طريقه إليها قتل بطرابلس(٢) .

على الرغم من أن البويهيين لم يعملوا على مناصرة الفاطميين فى بداية عهدهم بالعراق ، فإنهم ظلوا طوال حكمهم يشجعون المذهب الشيعى الذى يدينون به وقربوا إليهم أتباع هـذا المذهب ليستعينوا بهم على تحقيق سياستهم فى العراق ، بل عرفوا بتعصبهم للشيعة مما أدى إلى قيام الثورات

(١) ص ٢٧٥ — ٢٧٦ .

(٢) المقريزى : اتعاظ الحنفا ، ص ٣٦ .

من حين إلى حين بين الشيعيين والسنيين فى بغـداد . وليس أدل على ذلك مما قام به بهاء الدولة بن عضد الدولة (٣٧٩ - ٤٠٣ هـ) ، فقد تعصب لأهل الشيعة فى بغـداد حين وطدوا عزمهم على مناصرة الحاكم بأمر الله الخليفة الفاطمى بمصر سنة ٣٩٨ هـ ، وصاحوا : ياحاكم ، يا منصور . وكان لتحيز هذا الأمير لهم أثر سيء فى نفس القادر بالله العباسى (٣٨١ — ٤٢٢هـ) فأمد السنيين بفريق من حرسه حتى يستطيعوا الوقوف فى وجههم ، ومن ثم دارت رحى الحرب بين الفريقين . وانتهى الأمر بهزيمة أهل الشيعة(١).

لم يدخر الفاطميون جهداً فى سبيل نشر الدعـوة الفاطمية فى بلاد العراق ؛ فأقيمت الدعوة للخليفة العزيز سنة ٣٨٢ هـ فى الموصل على يد أميرها أبى الدرداء محمد بن المسيب بن رافع بن المقلد العقيلى(٢) ، كذلك نجح الحاكم بأمر الله الفاطمى فى استمالة قرواش بن المقـــلد الملقب بمعتمد الدولة ـ أمير بنى عقيل(٣) ـ الذى آلت إليه السيادة فى الموصل ؛ فخرج على طاعة الخليفة العباسى القادر بالله سنة ٤٠١ هـ ، وقام بنشر الدعوة الفاطمية فى الموصل والأنبار والمدائن والكوفة ، كما أحل اسم الحاكم بأمر الله فى الخطبة محل الخليفة العباسى .

---

(١) السيوطى : تاريخ الخلفاء ، ص ٢٧٤ .

(٢) ابن خلكان : وفيات الأعيان ، ج ٢ ، ص ٢٠١ .

(٣) كان بنو عقيل وغيرهم من القبائل العربية (بنو كلاب وبنو نمير وبنو خفاجة) يقيمون بين الجزيرة والشام . ولما أسس الحمدانيون دولتهم فى الموصل ، صاروا من رعاياهم . يؤدون إليهم الإتاوة ويخرجون معهم فى الحروب . على أن بنى عقيل سرعان ما تطلعوا إلى امتلاك البلاد بعد أن تطرق الضعف إلى دولة بنى حمدان ، فاستولى أميرهم أبو الدرداء محمد بن المسيب بن رافع ابن المقلد على نصيبين سنة ٣٧٩ هـ ، ثم سار إلى الموصل وضمها إلى حوزته فى السنة التالية ، وأقره بهاء الدولة بن بويه عليها . لكنه لم يتمتع بولايتها طويلا ، فقد عزله البويهيون سنة ٣٨٢ . ولما توفى أبو الدرداء سنة ٣٨٦ هـ ، استعاد أخوه المقلد ولاية الموصل وأسس بها دولة العقيليين التى ظلت قائمة حتى سنة ٤٨٩ هـ .

ابن الأثير : ج ٩ ، ص ٢٦ ، ابن خلدون : العبر ، ج ٤ ، ص ٢٠٤ — ٢٠٦ .

يقول أبو المحاسن(١) عن إقامة الخطبة في الموصل للحاكم بأمر الله «أحضر (معتمد الدولة) الخطيب يوم الجمعة رابع المحرم (سنة ٤٠١ هـ) وخلع عليه قباء ديبقيا وعمامة صفراء وسراويل ديباج أحمر وخفين أحمرين، وقلده سيفاً وأعطاه نسخة ما يخطب به، وإليك بعض ما ورد في هذه الخطبة(٢): «... اللهم وصل على وليك الأزهر، وصديقك الأكبر، على بن أبي طالب أبي الخلفاء الراشدين المهديين. اللهم وصل على السبطين الطاهرين الحسن والحسين، وعلى الأئمة الأبرار والصفوة الأخيار، من أقام وظهر، ومن خاف فاستتر. اللهم وصل على الإمام المهدي بك، والذي بلغ بأمرك وأظهر حجتك، ونهض بالعدل في بلادك. اللهم وصل على القائم بأمرك والمنصور بنصرك، اللذين بذلا نفوسهما في رضائك، وجاهدوا أعدائك. اللهم وصل على المعز لدينك، المجاهد في سبيلك... اللهم وصل على العزيز بك الذي مهدت به البلاد وهديت به العباد. اللهم واجعل نوامى صلواتك وزواكي بركاتك، على سيدنا ومولانا إمام الزمان وحصن الإيمان وصاحب الدعوة العلوية، عبدك ووليك المنصور أبي على الحاكم بأمر الله أمير المؤمنين، كما صليت على آبائه الراشدين. اللهم وفقنا لطاعته، واجمعنا على كلمته ودعوته، اللهم وأعنه على ما وليته، واحفظه فيما استرعيته... وانصر جيوشه وأعل أعلامه في مشارق الأرض ومغاربها، إنك على كل شيء قدير».

استاء الخليفة القادر بالله العباسي حين بلغه نبأ ذيوع الدعوة الفاطمية في بعض بلاده، وأنفذ القاضي أبا بكر الباقلاني إلى الأمير بهاء الدولة ليخبره بالخطر الذي يهدد دولته من ناحية الفاطميين، ويطلب منه العمل

---

(١) النجوم الزاهرة، ج ٤، ص ٢٢٤.

(٢) أبو المحاسن: النجوم الزاهرة، ج ٣، ص ٢٢٦ — ٢٢٧.

على مناهضة نفوذهم(١) ، فعدل بهاء الدولة عن تأييد الحاكم بأمر الله إجابة لرغبة الخليفة العباسي ، وأرسل جيشاً إلى ابن المقلد اضطره إلى وقف الدعوة للحاكم في بلاده وإقامة الخطبة للقادر بالله(٢) .

كذلك رأى الخليفة القادر بالله العباسي بعد أن تجلى له نجاح الدعوة الفاطمية في بعض بلاد العراق أن يلجأ في محاربة الفاطميين إلى سلاح التشهير بسمعتهم في العالم الإسلامي ، لعله يصل من وراء ذلك إلى القضاء على نفوذهم ؛ فعقد اجتماعاً دعا إليه الفقهاء والقضاة وبعض زعماء الشيعة ، وأصدروا في شهر ربيع الثاني سنة ٤٠٢ ﻫ محضراً يتضمن الطعن في نسب الفاطميين خلفاء مصر وفي شرعية إمامتهم ، وأنهم ليسوا من آل البيت ، وقرئت نسخ من هذا المحضر في بغداد. وكان من بين الموقعين عليه الشريف الرضي وأخوه المرتضى ، وفريق من أكابر العلويين . وكان مما ورد فيه : (.. فشهدوا جميعاً أن الناجم بمصر وهو منصور بن نزار الملقب بالحاكم .. هو ومن تقدمه من سلفه الأرجاس الأنجاس ، أدعياء ، خوارج ، لا نسب لهم في ولد علي بن أبي طالب ، وأن ذلك باطل وزور ، وأنهم لا يعلمون أن أحداً من الطالبيين توقف عن إطلاق القول في هؤلاء الخوارج إنهم أدعياء . وقد كان هذا الإنكار شائعاً بالحرمين في أول أمرهم بالمغرب . أن هذا الناجم بمصر هو وسلفه . . . قد عطلوا الحدود ، وسفكوا الدماء وسبوا الأنبياء ولعنوا السلف وادعوا الربوبية(٣)» .

على أنه يتضح لنا مما ورد في كل من ابن الأثير(٤) والمقريزي(٥)

---

(١) ابن خلدون ، العبر ، ج٢ ، ص ٤٤٢ .
(٢) ابن الأثير : الكامل في التاريخ . ج ٩ ، ص ٧٦ — ٧٧ .
(٣) أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ، ج ٤ ، ص ٢٢٩ — ٢٣٠ .
(٤) الكامل في التاريخ ، ج ٨ ، ص ٨ .
(٥) اتعاظ الحنفا ، ص ٥٠ ، ٤٣ — ٤٤ .

أن الشريف الرضى الموسوى العلوى امتنع عن توقيع هذا المحضر ، يؤيد هذا القول تلك القصيدة التى نظمها وأثبت فيها صحة نسب الفاطميين ، غير أن هذه القصيدة لم ترد فى ديوان شعره خوفاً من الخليفة العباسى القادر بالله وإرضاء لأبيه .

وإليك بعض أبياتها :

ما مقامى على الهوان وعندى	مِقْوَلٌ صارم وأنف حمىٌّ
ألبسُ الذلّ فى بلاد الأعادى	وبمصر الخليفة العلوى
مَنْ أبوه أبى ومولاه مولا	ى إذا ضامنى البعيد القصىُّ
لفّ عرقى بعرقه سيّدا النا	س جميعاً : محمدٌ وعلىٌّ
إن ذلى بذلك الجوّ عزٌّ	وأوامى بذلك الرَّبع رىّ

* * *

أثارت هذه الأبيات غضب الخليفة القادر بالله ؛ فبعث إلى الشريف أبى أحمد الموسوى والد الشريف الرضى يعاتبه على ما جاء فى قصيدة ابنه ، بقوله : « قد عرفت منزلتك منا وما لا تزال عليه من الاعتداد بك فى الدولة من مواقف محمودة ، ولا يجوز أن تكون أنت على خليفة ترضاه ، ويكون ولدك على ما يضادها » ، فاستدعى أبو أحمد ابنه ، وقال له : « اكتب خطك إلى الخليفة باعتذار واذكر فيه أن نسب المصرى مدخول ، وأنه مدّع فى نسبه » فقال الشريف الرضى : لا أفعل ؛ فقال أبوه : أتكذبنى فى قولى ، فقال الشريف الرضى : ما أكذبك ولكنى أخاف من المصرى ، ومن الدعاة التى له فى البلاد ؛ فقال أبوه : أتخاف ممن هو بعيد عنك وتراقبه ، وتسخط من هو قريب وأنت بمرأى منه ومسمع ، وهو قادر عليك وعلى أهل بيتك .

لم يقف تيار الدعوة الفاطمية فى بلاد العراق رغم ما بذله الخليفة القادر بالله العباسى من مجهود للقضاء على النفوذ الفاطمى فى بلاد الدولة العباسية ؛ فقد أتيحت الفرصة لدعاة الفاطميين لمواصلة جهودهم فى نشر دعوتهم وصادفوا كثيراً من النجاح حين ساد الاضطراب فى بلاد العراق فى مستهل القرن الخامس الهجرى بسبب تنافس أمراء بنى بويه على السلطة ؛ فقام النزاع بين سلطان الدولة الذى ولى الحكم فى العراق ، سنة ٤٠٣ هـ وابن أخيه أبى الفوارس ؛ ويعزو ابن الأثير(١) هذا النزاع إلى إغراء الديلم أبا الفوارس بمحاربة أخيه وأخذ ما بيده من البلاد ، كما دارت الحرب بين جلال الدولة وابن أخيه أبى كاليجار الذى استمال إليه بعض أمراء العراق ، واستولى على البصرة وواسط ، ثم تمكن جلال الدولة من استردادهما . كذلك كان لازدياد نفوذ الأتراك أثره فى سوء الحالة فى بلاد العراق ، فقد أخذوا يتدخلون فى تولية أمراء بنى بويه وعزلهم ، ويحملونهم على أن يحلفوا لهم على الطاعة والوفاء ، ولم يكن يملك الخليفة إلا تنفيذ رغباتهم . وكان هؤلاء الأتراك ينزعون دائماً إلى الخروج على حكامهم طمعاً فى ابتزاز الأموال . وقد قاموا بعدة محاولات ترمى إلى خلع جلال الدولة وتولية ابن أخيه أبى كاليجار فى السلطنة من بعده(٢) .

لم تكن حقيقة الحال فى بلاد العراق خافية عن الحكومة الفاطمية فى مصر ؛ فلما وصل إلى الخليفة الظاهر لإعزاز دين الله الفاطمى ما حل ببغداد من الفوضى بسبب النزاع والمنافسة بين أمراء بنى بويه ، والخلاف بين جند الأتراك ، رأى أن ينتهز هذه الفرصة ليتابع سياسة أسلافه فى نشر الدعوة الفاطمية ببلاد العراق ؛ فأرسل فى سنة ٤٢٥ هـ إلى بغداد بعض

---

(١) الكامل فى التاريخ ، جـ ٩ ، ص ١٠١ .

(٢) حسن إبراهيم : تاريخ الإسلام السياسى ، جـ ٣ ، ص ١٢٧ — ١٢٨ .

دعاته ؛ فاستجاب لهم كثير من الناس(١) .

كان للجهود التى بذلها الفاطميون لنشر دعوتهم عن طريق دعاتهم فى بلاد الدولة العباسية وعلى الأخص منذ بداية القرن الخامس الهجرى أثرها فى حمل العباسيين على بث الدعايات السيئة ضـــد الفاطميين للحط من شأن الخلافة الفاطمية . ولعل أهم ما قاموا به لتحقيق هذه الغاية هو تنفير المسلمين منهم بادعائهم عدم صحة نسب الفاطميين إلى على وفاطمة . وقد سار الخليفة القائم بأمر الله العباسى على سياسة أبيه القادر بالله فى النيل من الفاطميين ومناهضة نفوذهم ؛ فأصدر ديوانه ببغداد سنة ٤٤٤ هـ محضراً تضمن إنكار انتساب الفاطميين لأهل البيت(٢) .

(١) المقريزى : اتعاظ الحنفا ، ص ٢٧٦ .
(٢) أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ، جـ ٥ ، ص٥٣ .

٢ — مركز البساسيرى فى العراق

لم تكن حالة الخلافة العباسية فى عهد القائم بأمر الله أحسن منها فى عهد من سبقه من الخلفاء ؛ فقد تجلى فى أيامه استئثار بنى بويه بالسلطة ، وقيام النزاع والمنافسة بين أمرائهم من جهة ، وبينهم وبين الجند من جهة أخرى ؛ ففى سنة ٤٢٤ هـ ، ظهر التنافس بين جلال الدولة وابن أخيه أبى كاليجار ؛ كما ثار جند الأتراك على جلال الدولة ونهبوا داره وكتبه ودواوينه سنة ٤٢٦ هـ ، وأقاموا الخطبة ببغداد لأبى كاليجار - وكان إذ ذاك بالأهواز ، غير أنهم مالبثوا أن اعتذروا له وأعادوه إلى مكانه(١). ولما توفى جلال الدولة سنة ٤٣٥ هـ ، خلفه ابنه الأكبر أبو منصور فيروز الذى لقبه الخليفة « الملك العزيز » غير أنه لم يتمكن من الاحتفاظ بسلطة أبيه فترة طويلة ، فقد أرسل أبو كاليجار بن سلطان الدولة إلى كبار القواد يستميلهم إليه ويعدهم باغداق الأموال عليهم ؛ فمالوا إلى تأييده وانصرفوا عن « الملك العزيز » ؛ وبذلك استطاع أبو كاليجار دخول بغداد ، وأقيمت له الخطبة بهذه المدينة فى صفر سنة ٤٣٦ هـ(٢) ، واعترف بنفوذه سائر أمراء العراق .

ظل أبو كاليجار بعد توليته أمور العراق يعنى بشئون فارس فقضى على حركات الثوار فى أصبهان وكرمان ، كما عمل على إصلاح ما بينه وبين طغرلبك السلجوقى الذى استولى على خراسان والرى ؛ فعقد معه الصلح سنة ٤٣٩ هـ ، وتوثقت عرى المودة بينهما برباط المصاهرة ، يقول ابن الأثير(٣) : « كتب طغرلبك إلى أخيه (إبراهيم ينال) يأمره بالكف عما

---

(١) ابن خلدون : العبر ، جـ ٣ ، ص ٤٤٨ — ٤٥٠ .
(٢) ابن الأثير . الكامل فى التاريخ ، جـ ٩ ، ص ١٧٨ — ١٨١ .
(٣) الكامل فى التاريخ ، جـ ٩ ، ص ١٨٤ .

وراء مايبده . واستقر الحال بينهما على أن يتزوج طغرلبك بابنة أبي كاليجار، ويتزوج الأمير أبو منصور بن أبي كاليجار بابنة الملك داود أخي طغرلبك». كذلك عمد أبو كاليجار إلى التقرب من الفاطميين ليتخذهم وسيلة لإرهاب العباسيين حتى لا يحاولوا الاستعانة بالسلاجقة الذين أخذوا يهددون سلطان بني بويه في ذلك الحين .

كانت الدعوة الفاطمية إذ ذاك قد لقيت تأييداً عند الديالمة في فارس على يد الداعي المؤيد في الدين هبة الله الشيرازي(١) الذي قام بدور هام في نشر الدعوة للخليفة المستنصر بالله الفاطمي في بلاد الفرس والعراق ، واستطاع بسياسته أن يجذب الملك أبا كاليجار البويهي إلى هذه الدعوة(٢) .

وقد وضح هبة الله في سيرته ، كيف كان يجتمع بالملك أبي كاليجار ليلقنه أصول الدعوة الفاطمية ، فقال : «كنت كل ليلة جمعة أمكث عنده إلى أن يمضي هزيع من الليل ، وهو يسألني عما يهجس في نفسه ، وكنت أجيب عنه جواباً يظهر أكثر تباشير الفرح في وجهه ، وأسأله كيف وقع هذا الجواب منك ، فربما حرك رأسه يعني أنه جيد ، فلا أرضى دون أن أقرره بلسانه أنه ما دخل في مسامعه مثله .. » وكان بناء المجالس التي تعقد بحضرته في ليالي الجمعات على أن يبتدىء بقراءة شيء من قوارع القرآن ، ويثني بباب من كتاب الدعائم(٣) ، ويثلث بأن يسأل عما يريده فأجيبه عنه . وأختم

---

(١) ولد المؤيد في الدين هبة الله في شيراز سنة ٣٩٠ هـ وأخذ عن والده موسى بن داود علوم الدعوة الفاطمية ، كما شاهد في صباه أحمد حميد الدين الكرماني كبير دعاة الخليفة الفاطمي الحاكم بأمر الله في فارس ، ومن المحتمل أن يكون قد تأثر بمدرسته . وبذل المؤيد نشاطاً كبيراً في استمالة أمراء بني بويه إلى الفاطميين .

(مقدمة سيرة المؤيد في الدين داعي الدعاة ، ص ١٢ — ١٤) .

(٢) سيرة المؤيد في الدين داعي الدعاة ، ص ٤٣ .

(٣) يعرف هذا الكتاب باسم « دعائم الإسلام في ذكر الحلال والحرام والقضايا والأحكام » . ويعد من أهم مراجع فقه الإسماعيلية ؛ وقد ألفه القاضي أبو حنيفة النعمان =

بالتحميد والخطبة لمولانا الإمام خلد الله ملكه . . . ، ومن جملة ما كنت قررته معه أنني غير ناهيه من استماع ما يريد استماعه من أى لسان كان ، من أى مذهب كان ، ولكن يرجع به إلى ، ويسألنى عما عنده فيه فإن وجد الرجحان فيما عندى لزمه أن يرفض أقوالهم ويعمل بما هو أنجى له وأرجى لخلاصه » .

لما رأى الخليفة القائم بأمر الله العباسى الخطر الذى يهدد كيان دولته ومذهبه السنى فى بلاد الفرس والعراق من جراء نشاط المؤيد فى الدين هبة الله الشيرازى فى نشر الدعوة الفاطمية ، بعث رسولا من قبله إلى الملك أبى كاليجار يطلب إليه تسليم داعى الفاطميين ويهـــدده بالاستعانة بالسلاجقة وإغرائهم بالاستيلاء على ما يمتلكه من البلاد(١) ؛ فلم يحفل أبو كاليجار فى بادىء الأمر بهذا التهديد ، ثم أنفذ رسالة إلى هبة الله الشيرازى ، حذره فيها من عاقبة بقائه فى شيراز بقوله(٢) : « لا شك أن هذه الضجة التى كادت تخرق الأرض وتشق الجبال وقعت فى مسامعك ، وعلمت أن هذه الأمم ، لا يحصيها إلا الله سبحانه ، أعداؤك وخصماؤك ؛ وكانوا أعداءنا فيك أيام كنا نقربك وندنيك ، وينبغى الآن أن تأخذ لنفسك وتبتغى سبيل نجاتك ، وتفرغ هذه الممالك ؛ ثم تأخذ أى صوب شئت » .

على أن الملك أبا كاليجار لم يكتف بهذه الرسالة التى بعث بها إلى هبة الله

= ابن أبى عبد الله محمد بن منصور بن أحمد بن حيون التميمى ، وكان النعمان مالكى المذهب ثم اعتنق المذهب الإسماعيلى ، ودخل فى خدمة عبيد الله المهدى حول سنة ٣١٣ هـ ؛ واقتصر عمله فى عهد المهدى والقائم والمنصور على جمع ونشر كتب المذهب الإسماعيلى ؛ واتخذه المنصور والمعز قاضياً لهما ؛ وتوفى سنة ٣٦٣ هـ فى خلافة المعز لدين الله .

(راجع : كتاب المعز لدين الله لحسن إبراهيم وطه شرف : ص ٢٥٨) .

(١) سيرة المؤيد فى الدين ، ص٥٦ .

(٢) المرجع نفسه ، ٦٤ .

الشيرازى ، بل أرسل إليه وفداً من كبار رجاله ، فلما التقوا به عبروا له عن أسف الملك للصعاب التى سيلاقيها إذا نفذ ما كلفه به من الرحيل عن تلك البلاد ، كما قدموا إليه كتاب الخليفة العباسى الذى تضمن التوعد بطغرلبك والطعن فى نسب الفاطميين ؛ وقد جاء فيه(١) : «والقول إنه إن كانت دعوة تعزى إليهم فى الأيام المتقدمة ، فلقد كانت فى الخفاء والستر .. وإن أحداً ما جسر على مثل ما جسر عليه هذا الرجل (هبة الله الشيرازى) ... من الوقوف فى بعض مواقفه إظهاره وإشهاره والتجرد لدفع معالم ذكرهم بالصلاة والخطبة وإزالة أسامينا بالكلية ، وأنه إذا سومح فى بابه وأهمل تسليمه فى يد صاحبنا ، فقد أخرجتمونا من عهدة الإيمان والعهود بيننا وبينكم ، وأحوجتمونا إلى استنصار من ينصرنا عليكم ...» .

ظل هبة الله الشيرازى رغم ماوصله عن اهتمام الخليفة القائم بأمر الله بالقضاء على جهوده واضطرار أبى كاليجار إلى الانصراف عن تأييد دعوته حريصاً على ولائه للفاطميين ؛ فأجاب وفد الملك البويهى الذى أطلعه على كتاب الخليفة العباسى بأنه لايعرف خليفة غير المستنصر بالله (الخليفة الفاطمى بمصر) ؛ ثم أزمع الرحيل من شيراز وسار قاصداً مصر سنة ٤٣٨ هـ ؛ وهناك سعى إلى لقاء الإمام المستنصر بالله ؛ فوجد من وزيره صدقة بن يوسف الفلاحى ترحيباً لإجابة هذه الرغبة . وقد وصف هبة الله الشيرازى فى سيرته (٢) كيف دخل إلى مجلس الخلافة بالقاهرة وحظى بمقابلة الخليفة الفاطمى ، فقال : «فلم تقع عينى عليه إلا وقد أخذتنى الروعة وغلبتنى العبرة ، وتمثل فى نفسى أنى بين رسول الله وأمير المؤمنين — صلى الله عليهما — ماثل ، وبوجهى إلى وجههما مقابل ، واجتهدت عند

(١) المرجع نفسه ، ص ٦٤ — ٦٥ .
(٢) ص ٨٥ — ٨٦ .

وقوعى إلى الأرض ساجداً لولى السجود ومستحقه ، أن يشفعه لسانى بشفاعة حسنة بنطقه فوجدته بعجمة المهابة معقولا ، وعن مزية الخطابة معزولا . . ومكثت بحضرته ساعة لا ينبعث لسانى بنطق ولا يهتدى لقول ، وكلما استطرد الحاضرون منى كلاما ازددت إعجاباً . وهو خلد الله ملكه يقول : « دعوه حتى يهدأ ويستأنس » ، ثم قمت وأخذت يده الكريمة فترشفتها وتركتها على عينى وصدرى ، وودعت وخرجت » .

ولا شك أن المؤيد فى الدين هبة الله الشيرازى يعد من أخلص دعاة الفاطميين الذين اتخذوا بلاد المشرق مركزاً لنشر دعوتهم . وقد استطاع بفضل ما أوتيه من حكمة ودهاء ، وما عرف عنه من حرص على التمسك بولائه للخلافة الفاطمية أن ينجح فى تحويل كثير من أهالى هذه البلاد إلى المذهب الفاطمى مما أدى إلى ضعف نفوذ العباسيين فى بعض بلاد المشرق . وليس أدل على ذلك من أن الديالمه قد أصبحوا — كما يقول المؤيد فى الدين — « إلى صاحب مصر داعين وباسمه مبايعين » . وكان ذلك مما أثار حنق الخليفة العباسى ورجال دولته ، فتعاونوا جميعاً على الوقوف فى وجه دعاة الفاطميين .

وكان الخليفة القائم بأمر الله العباسى وقتذاك يواجه كثيراً من الصعاب عاقته عن استعادة نفوذه فى دولته ؛ ففضلا عن انتشار الدعوة الفاطمية فى بعض بلاده ، ظل أمراء بنى بويه رغم تنازعهم وتنافسهم على السلطة قابضين على زمام الأمور فى بلاد الفرس والعراق ؛ فلما توفى الملك أبو كاليجار سنة ٤٤٠ هـ ببلدة جناب بكرمان ، استدعى ابنه أبو نصر خسرو فيروز — وكان ينوب عنه إذ ذاك ببغداد — الجند واستحلفهم ، كما أرسل إلى الخليفة القائم بأمر الله يطلب منه أن يأذن له بذكر اسمه فى الخطبة ويلقبه بالملك الرحيم ؛ فأجابه الخليفة إلى طلبه الأول ، وامتنع عن

تلقيبه بهذا اللقب(١) . وقال : « لا يجوز أن يلقب بأخص صفات الله تعالى» واستقر ملك الأمير البويهي بالعراق وخوزستان والبصرة(٢) . وكان بعض إخوته ينافسونه في بسط سلطانهم على بعض الولايات حتى أصبحت مدن فارس والعراق مراكز للنزاع بينه وبينهم(٣) .

ومن بين الصعاب التي صادفت الخليفة القائم بأمر الله ثورات الجند الذين كانوا إذ ذاك يتألفون من عناصر مختلفة ، أهمها : العرب والديلم والأتراك . وقد أثار هؤلاء الجند كثيراً من الشغب في بغداد . وكان العنصر التركي أقوى هذه العناصر نفوذاً ؛ فقد تدخل في عزل بعض أمراء بني بويه وتوليتهم ، كما قام الأتراك بفتنة في بغداد سنة ٤٤٦ هـ يرجع سببها إلى تذمرهم من وزير الملك أبي كاليجار الذي ماطلهم في رد الأموال المتبقية لهم ، فحاصروا دار الخلافة مما أزعج الناس وحملهم على إخفاء أموالهم . وبلغت الفوضى ذروتها في بغداد حين ركب جماعة من الأتراك ونهبوا دار الروم ، وأخذوا في نهب الوافدين إلى بغداد ، الأمر الذي أدى إلى غلاء الأسعار وندرة الأقوات . ولما وقف الخليفة العباسي على هذه الأحداث التي ارتكبها الأتراك ، أرسل إليهم ينهاهم عن إثارة الاضطرابات في المدينة ويطلب إليهم الإخلاد إلى السكينة ، فلم يذعنوا لأوامره ، وظلوا مصدر قلق واضطراب حتى بعد أن رأى وزير الملك الرحيم أن يعيد إليهم الأموال المتبقية لهم(٤) .

(١) ذكر أبو المحاسن (النجوم الزاهرة ، ج ٥ ص ٤٦) أن الخليفة القائم بأمر الله لقب الأمير أبا نصر « الملك الرحيم » ، وخلع عليه خلعة السلطنة . وكانت الخلع سبع جباب كاملة، والتاج ، والطوق ، والسوارين والقوادين ، وهذا يخالف ما أورده ابن الأثير (ج ٩ ، ص ١٨٩) من أن الخليفة العباسي لم يوافق على منح الأمير أبي نصر لقب « الرحيم » .

(٢) ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ج ٩ ، ص ١٨٨ — ١٨٩ .

(٣) حسن ابراهيم : تاريخ الإسلام السياسي ، ج٣ ، ص ١٣٥ .

(٤) ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ج ٩ ، ص ٢٠٧ .

كان من قواد بنى بويه الأتراك فى ذلك الوقت أبو الحارث أرسلان البساسيرى(١) الذى أعان الملك الرحيم فى الاستيلاء على البصرة سنة ٤٤٤ﻫ من يد أخيه أبى على بن أبى كاليجار، ووطد سلطانه(٢) بها، كما أوقع فى السنة التالية بالأكراد والأعراب الذين عاثوا فساداً فى بعض بلاد العراق وقطعوا الطريق طمعاً فى السلطنة. ولما قامت فتنة الأتراك ببغداد سنة ٤٤٦ﻫ لم يعمل البساسيرى على مؤازرتهم، بل أقام فى دار الخلافة وأظهر استياءه من حركتهم(٣).

ازداد نفوذ البساسيرى فى العراق بعد أن عينه القائم بأمر الله رئيساً للأتراك، وما لبث أن استبد بالسلطة فى بغداد حتى أصبح الخليفة العباسى «لايقطع أمراً دونه، ولا يحل ويعقد إلا عن رأيه»، كما هابه أمراء العرب والعجم، ودعى له على كثير من منابر بلاد العراق والأهواز ونواحيها، وصار يشرف على ما يدخل بيت المال من الإيراد(٤). وقد أثار علو شأن البساسيرى كوا من الحقد فى نفس الوزير أبى القاسم على ابن المسلمة الملقب برئيس الرؤساء، فأخذ يفسد ما بينه وبين الأمراء والخليفة.

على أن البساسيرى وإن كان قد استفحل أمره فى بغداد حتى أصبح الخليفة العباسى والسلطان البويهى معه ضعيفى الجانب، فإنه ما لبث أن

---

(١) كان أبو الحارث أرسلان مولى لأبى على الحسن بن أحمد الفارسى النحوى وما زالت تتنقل به الأحوال حتى أصبح من مماليك بهاء الدولة بن عضد الدولة بن بويه. وقد عرف بالبساسيرى نسبة إلى بلدة بفارس يقال لها بسا، وتقع على أربعة مراحل من شيراز، وبها جمع كبير من الديلم.

(المكين بن العميد: تاريخ المسلمين ص ٢٧٦، ابن ميسر: تاريخ مصر. ص ١١).

(٢) ابن خلدون: العبر، جـ ٢، ص ٤٥٥.

(٣) ابن الأثير: الكامل فى التاريخ: جـ ٩ ص ٢٠٣، ٢٠٦ — ٢٠٧.

(٤) الخطيب البغدادى: تاريخ بغداد، جـ ٩، ص ٣٩٩ — ٤٠٠، ابن خلكان وفيات الأعيان، جـ ١، ص ٧٦.

واجه بعض الصعاب من جراء ما قام به أبو المعالى قريش بن بدران أمير الموصل من محاصرة مدينة الأنبار والاستيلاء عليها ونهبها ثم إقامته الخطبة على منابرها للسلطان طغرلبك ؛ فاستاء البساسيرى من جرأة أمير الموصل على مهاجمة البلاد التى تحت سلطانه ، وثارت ثائرته حين وصل إليه أن رسولين من قبل هذا الأمير قدما إلى بغداد وأكرم القائم بأمر الله وفادتهما ؛ فعد هذا الموقف من الخليفة تحدياً له وأظهر عدم ارتياحه ، وقال : هؤلاء وصاحبهم (أمير الموصل) كبسوا حلل أصحابى ونهبوا وفتحوا البثوق وأسرفوا فى إهلاك الناس » ، واستقر رأيه على إلقاء القبض عليهما ، لكنه لم يتمكن من تنفيذ غرضه ، ونسب إلى رئيس الرؤساء (وزير القائم) أنه يقف حائلا دون تحقيق رغباته ؛ فكان ذلك من أكبر العوامل التى أدت إلى تبدل العلاقات بين البساسيرى والخليفة العباسى القائم بأمر الله(١).

على أن رئيس الرؤساء لم يعدل عن خطته فى العمل على الكيد للبساسيرى وإضعاف شأنه ، فأثار الأتراك البغداديين ضده باتهامه أنه تسبب فى كل ماجرى عليهم من نقص فى مرتباتهم ، فأدى ذلك إلى استيائهم منه ، وما لبثوا أن عبروا عن سخطهم عليه فى هجومهم على دوره ، واستيلائهم على جميع أملاكه ببغداد : ولم تكن العوامل التى دفعت الأتراك إلى القيام بهذه الحركة خافية عن البساسيرى ، فزاد حنقه على رئيس الرؤساء حين ثبت لديه أنه أوعز إلى الأتراك بالخروج عليه(٢).

وكان من الأخطار التى هددت إذ ذاك الخلافة العباسية ، تقرب بنى بويه من الفاطميين على يد المؤيد فى الدين هبة الله الشيرازى ، وميل عدد قليل من جند بويه من الديلم والأتراك إلى دعوتهم(٣) ؛ بل إن البساسيرى

---

(١) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ، ج ٩ ، ص ٢٠٨ — ٢٠٩ ؛
(٢) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ، ج ٩ ، ص ٢١١ ؛
(٣) حسن إبراهيم : تاريخ الإسلام السياسى ، ج ٣ ، ١٣٦ — ١٣٧ .

نفسه تأثر بهذه الدعوة ، وأصبح يرى وجوب الانحياز إلى الفاطميين بعد أن ساءت علاقته بالخليفة العباسى وأيقن من إعراضه عنه .

على أن القائم بأمر الله لم يتضح له موقف البساسيرى منه إلا بعد أن كتب إليه وزيره (رئيس الرؤساء) أن البساسيرى يعمل على خلعه ؛ وأنه راسل المستنصر بالله الخليفة الفاطمى بمصر . فلما تحقق عند الخليفة القائم العباسى صحة ما نسب إلى البساسيرى من عزمه على الخروج عليه ومكاتبته الفاطميين بمصر ، عمل على الحد من نفوذه ؛ فأرسل إلى الملك الرحيم البويهى رسالة يقول فيها : « إن البساسيرى خلع الطاعة وكاتب الأعداء (يعنى المصريين) ، وأن الخليفة له على الملك عهوداً وله على الخليفة مثلها ، فإن آثره فقد قطع ما بينهما ، وإن أبعده وأصعد إلى بغداد تولى الديوان تدبير أمره ؛ فأظهر الملك الرحيم استعداده لإجابة طلب الخليفة بإبعاد البساسيرى عن بغداد ، كما أن البساسيرى نفسه لما علم بما تضمنته رسالة القائم العباسى رحل إلى الحلة(١) حيث نزل على أميرها دبيس بن مزيد لمصاهرة بينهما(٢) ؛ فظل مقيما بها حتى اضطر إلى المسير إلى الرحبة(٣) بعد أن دخل طغرلبك بغداد سنة ٤٤٧ هـ(٤) .

لم تكن الحالة فى بلاد العراق فى الوقت الذى شغل فيه القائم بأمر الله العباسى بالتغلب على الصعاب الداخلية التى واجهته خافية عن السلاجقة الذين ازداد نفوذهم إذ ذاك فى شرق الدولة الإسلامية ؛ فعمدوا إلى انتهاز هذه الفرصة لمواصلة جهودهم لبسط سيادتهم على أراضى هذه الدولة . فى أوائل سنة ٤٤٧ هـ أظهر طغرلبك « أنه يريد الحج وإصلاح طريق مكة والمسير إلى الشام ومصر وإزالة المستنصر العلوى صاحبها » ، وأمر أصحابه

(١) تعرف بحلة بنى مزيد ، وتقع بين الكوفة وبغداد .

(٢) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ، ج ٩ ص ٢١١ .

(٣) مدينة بين الرقة وبغداد على شاطىء الفرات .

(٤) ابن خلدون ، العبر ، ج ٣ ، ص ٤٦٠ .

بإعداد الأقوات والمؤن . ثم أرسل إلى الخليفة القائم بأمر الله أنه يدين له بالطاعة ويستأذنه في دخول بغداد – وهو في طريقه إلى مكة – ؛ فأذن له كما أمر الخطباء بإقامة الخطبة له على منابر بغداد : فتم له ذلك في أواخر رمضان سنة ٤٤٧ هـ(١).

على أن العامة في بغداد ، أظهروا تذمرهم من دخول طغرلبك هذه المدينة وتمكنوا بفضل مساعدة بعض الأتراك من قتل فريق من جند السلاجقة(٢) ؛ فاستاء من ذلك طغرلبك ، واستدعى الملك الرحيم البويهي وأتباعه ، واتهمهم بتدبير ماحدث ، ثم قبض عليهم وأرسل الملك الرحيم إلى قلعة على مقربة من الري ؛ فظل معتقلا بها ثلاث سنوات ثم توفي(٣) .

ولما بلغ الخليفة العباسي ما حل بالملك البويهي وأتباعه ، بعث إلى طغرلبك ينكر عليه سياسة العنف التي لجأ إليها على أثر دخوله بغداد ويقول : « إنهم إنما خرجوا إليك بأمري وأماني ، فإن أطلقتهم وإلا فأنا أفارق بغداد ،فإني إنما اخترتك واستدعيتك اعتقاداً مني أن تعظيم الأوامر الشريفة يزداد وحرمة الحريم تعظم ، وأرى الأمر بالضد(٤) » . فأطلق السلطان السلجوقي سراح بعضهم ، واستولى على جميع إقطاعات عسكر الملك الرحيم ؛ فكان ذلك مما حمل كثيراً منهم على الرحيل إلى البساسيري والالتفاف حوله ، فكثر بهم عدد أنصاره(٥) .

ولما طال مقام السلاجقة ببغداد ، ولحق أهلها بسببهم كثير من الضرر

(١) ابن خلدون : العبر ، ج ٩ ، ص ٤٥٩ .
(٢) ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ج٩ ، ص٢١٢ .
(٣) Gaston Wiet, Histoire de La Nation Egyptienne Vol. IVP.232
(٤) ابن الأثير . الكامل في التاريخ ، ج ٩ ، ص ٢١٨ .
(٥) ابن خلدون : العبر ، ج٣ ، ص ٤٦٠ .

والأذى ، رأى الخليفة القائم بأمر الله أن يبلغ عميد الملك الكندرى وزير السلطان طغرلبك بما يعانيه الأهالى من جراء إقامة جند السلاجقة بينهم ؛ فمضى إلى السلطان وأطلعه على حقيقة الحال فى بغداد فاعتذر بكثرة الجند وعجزه عن تهذيبهم ، وأصدر أوامره بإخراجهم من دور العامة ، ثم ما لبث أن استقر رأيه على الرحيل عن بغداد للتخفيف عن أهلها ، وغادرها فى أواخر سنة ٤٤٨ هـ بعد أن ظل بها ثلاثة عشر شهراً لم يحظ فيها بمقابلة الخليفة(١) .

أخذ البساسيرى فى توطيد علاقاته مع رجال الحكومة الفاطمية فى مصر بعد رحيله إلى الرحبة ؛ فأرسل إلى المستنصر بالله الفاطمى يعلن له دخوله فى طاعته ، كما تبودلت المكاتبات بينه وبين الداعى المؤيد فى الدين هبة الله الشيرازى الذى كان إذ ذاك بالقاهرة يرقب نشاطه فى بلاد العراق ؛ ومن بين الكتب التى أرسلها هـــذا الداعى إلى البساسيرى ، كتاب وصله قبيل قدومه إلى الرحبة ، أخبره فيه بأنه سيكون عوناً له ولجنوده البغداديين . فبعث إليه البساسيرى كتاباً تضمن شكره والتماسه النجدة . وقد جاء فيه : « فإن أخذتم بأيدينا ، أخذنا لكم البلاد ؛ وإن قلدتمونا نجاد نصركم وإنجادكم ، فتحنا من جهتكم الأغوار والأنجاد(٢) » .

أيد المستنصر بالله الفاطمى أبا الحارث البساسيرى فى خروجه على الخليفة العباسى القائم بأمر الله ، كما عمل على إمداده بالمال والخيل والسلاح. وقد انتهز الوزير أبو محمد الحسن اليازورى(٣) هذه الفرصة لإقصاء الداعى

---

(١) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ، جـ٩ ، ٢١٨ .

(٢) سيرة المؤيد فى الدين داعى الدعاة ، ص ٩٦ .

(٣) هو أبو محمد الحسن بن على بن عبد الرحمن اليازورى ، نشأ فى بلدة يازور (وهى قرية من أعمال الرملة) من إحدى الأسر التى كانت تشتغل بالملاحة ، وشغل عـــدة مناصب ، فولى قضاء الرملة بعد أبيه ، كما عهد إليه النظر فى ديوان أم المستنصر ، ثم أسندت إليه الوزارة فى =

المؤيد فى الدين هبة الله الشيرازى عن مصر لاستشاره بنفوذ كبير عند الخليفة المستنصر ؛ فرأى أن يعهد إليه بحمل الأموال والأسلحة إلى البساسيرى ؛ غير أن المؤيد أدرك حيلة اليازورى ، فأبى فى بادىء الأمر القيام بهذه المهمة ؛ فحاول اليازورى أن يثنيه عن رأيه بأن أفضى إليه بموافقة الخليفة على انتدابه سفيراً من قبله إلى البساسيرى . ولم يزل يلح عليه حتى عدل المؤيد عن رفضه اصطحاب ركب الإمدادات ، واشترط على الخليفة فى كتاب أرسله اليه أن يتولى هذا الأمر دون أن يوجه إليه لوم إذا فشل فى أدائه ؛ فقال فى كتابه[1] : « . . . وأن على أن أجتهد وأسعى وأكدح ، فما أصبت فيه فبما رحمة من الله وإقبال الدولة أدامها الله تعالى ، وما أخطأت فيه فلا يتوجهن على عتب ولائمة ، ولا تعرضن لى فيما أحل وأعقد يد معترضة » .

سار المؤيد لنجدة البساسيرى مع فئة قليلة من الرجال ، تحمل الأموال والسلاح والخلع . وقد هاله أن يكون مقدماً على أمر خطير وهو القضاء على الخلافة العباسية دون أن تخرج معه حامية كبيرة ، بل اقتصرت المعونة التى سيقدمها للبساسيرى على الأموال والخلع ، وتشمل خمسمائة ألف دينار ، ومن الثياب ما قيمته مثل ذلك ، وخمسمائة فرس ، وعشرة آلاف قوس ، وعدد كبير من السيوف ، وكثير من الرماح والنشاب(٢) ؛ ومما هو جدير

= السابع من المحرم سنة ٤٤٢ هـ ، وسمح له بالبقاء فى وظيفة رئيس خاصة أم الخليفة ولقب بالناصر للدين ، غياث المسلمين الوزير الأجل المكرم ، سيد الرؤساء تاج الأصفياء ، قاضى القضاة ، وداعى الدعاة . وبقى فى منصبه حتى قبض عليه المستنصر فى أول المحرم سنة ٤٥٠ هـ بتهمة مراسلته طغرلبك السلجوقى ودعوته لغزو مصر .

(راجع ماورد عن اليازورى فى . ابن الأثير ، ج ٩ ص ٢٢١ — ٢٢٢ ، ابن ميسر . تاريخ مصر ص ٥ — ٨ .

(١) سيرة المؤيد ، ص ٩٧ — ٩٨ .

(٢) أبو المحاسن . النجوم الزاهرة ، ج ٥ ، ص ١٢

بالذكر أن وزير المستنصر لم يتردد فى أن يضحى بهذه الإمدادات رغم ما كانت تعانيه مصر من أزمة اقتصادية وغلاء حتى إنها لم ترسل ما اعتادت أن ترسله من القمح إلى مكة(١).

وقد وصف المؤيد خروجه من القاهرة بقوله ٢) : « وسرت فى جلبة عظيمة ، قد التف فيها من الوحش والركابية المقودين وسفساف الناس من البغالين والحمالين عسكر لو لم يسمنى غير عذابهم عذاباً لكان فيه ما يغنى ويكفى. وكان الناس يتعجبون من أمرى . وقد كان موضع العجب ، لعمرى كيف أجرد لمثل هذا الوجه الخطير العظيم رقبتى من دون أن يتبعنى من شيء يسمى العسكر اثنان ، ويعول بى على عسكر غريب معلوم الشأن ، يستعيذ بالله من شرهم الثقلان ، عادتهم بالاستخاف بملوكهم معروفة » .

تجلى إخلاص المؤيد فى الدين هبة الله الشيرازى للخلافة الفاطمية فيما قام به من جهود لمؤازرة حركة البساسيرى فى بلاد العراق . وكان الوزير اليازورى قد طلب منه أن يجند ثلاثة آلاف رجل من العرب الكلبيين بالشام ، يسير بهم إلى الرحبة ؛ وحذره من الاتصال بثمال بن صالح بن مرداس صاحب حلب ؛ غير أن المؤيد أصر على تنفيذ خطته ؛ فسار بما صحبه من الأموال والسلاح والخيول ، وتواعد مع ابن صالح على أن يلقاه فى موضع يلى حمص يقال له الروستان (على جسر نهر العاصى) ، وهناك التقى المؤيد بابن صالح ومع كل منهما حامية من الجند . ولما نزلا معرة النعمان لحق بهما فريق من جند البساسيرى . وقد استطاع المؤيد بدهائه وحسن سياسته أن يكسب ثقة ثمال بن صالح بن مرداس وأن يستميله إليه ويجعله يبدى استعداده لمعاونة الفاطميين ، فمنحه عند نزوله بباب حلب ما يخصه من الخلع ، ثم دعاه إلى تجديد البيعة للخليفة الفاطمى ، فأجاب إلى

(١) G Wiet, Histoire de la Nation Egyptinne P. 233

(٢) سيرة المؤيد ، ص ١٠٠

ذلك(١) . يقول المؤيد : « ولما دخلت حلب جددت عليه من أيمان البيعة في خدمة الدولة ما كانت تميد الجبال لثقله ، وتتشقق السموات والأرض من حمله » .

أخذ المؤيد بعد وصوله إلى حلب يتأهب للمسير إلى الرحبة حيث يقيم البساسيري وجنده ؛ وبينما هو فى طريقة إليها ، ورد إليه كتاب نصر الدولة أحمد بن مروان صاحب ميافارقين وديار بكر ، يخبره فيه بأنه كان قد انحاز إلى جانب السلاجقة ، فشاهد من شرهم وغدرهم وظلمهم وجورهم وإطلاقهم الأيدى فى الأموال ما جعله يتخلى عنهم ، وأظهر رغبته فى معاونة المؤيد الذى كتب إليه يرحب به ويطلب منـــه إقامة الخطبة على منابر بلاده المستنصر بالله الفاطمى(١) .

ولما كان المؤيد حريصاً على توحيد كلمة جند البساسيرى وبث الطمأنينة فى نفوسهم ، لذلك طلب من جند الأتراك البغداديين الذين قابلوه وهو فى طريقه إلى حلب العودة إلى الرحبة ليخبروا إخوانهم من جند البساسيرى بقرب قدومه إليهم لنجدتهم ؛ وأنفذ معهم رسالة إلى القواد والحجاب يستميلهم إليـــه ويدعوهم إلى نصرته ، ويبين لهم اهتمام الخليفة الفاطمى بأمرهم، فقال: «وغير خاف عنهم ما كان من إنعام مولانا الإمام المستنصر بالله أمير المؤمنين صلوات الله عليه وعلى آبائه الطاهرين وأبنائه الأكرمين بالإحفاء بهم والتلفت بوجه المراعاة إليهم ، رغبة فيما يردهم إلى أهلهم وديارهم ...» ، كما حذرهم من طغرلبك السلجوقى بقوله : « إذ كانت الطاغية التركمانية من حيث أخذت عصا التسيار وإلى حيث انتهت من الديار ، لم تنازل ملكا عولا ، ولا سلطاناً معمما بعز الاتساع فى العساكر والجيوش

(١) سيرة المؤيد ، ص ١٠٠—١٠٢ ، ١٠٧—١٠٨ .

(٢) سيرة المؤيد ، ص ١٠٨ ، ١١٣—١١٥ .

لحولا ، ولم تنزل من غير منازل الغدر والخديعة منزلا(١) . . . » .

واصل المؤيد مسيره إلى الرحبة وبصحبته ثمال بن صالح بن مرداس على رأس جنده من بنى كلاب. ولم يكد يعلم أبو الحارث أرسلان البساسيرى بأن ركب المؤيد فى طريقه إليه حتى أسرع فى الخروج إلى لقائه ومعه جنده البغداديون . وقد رحب البساسيرى وجنده بوصول المؤيد إلى الرحبة أحسن ترحيب ، إذ اطمأنوا إلى أن الخليفة المستنصر بالله أجاب ملتمسهم فأمدهم بالمال والسلاح ، وازدادت محبتهم المؤيد حين أخذ يوزع عليهم ويمنحهم الأموال ، وما لبثوا أن عبروا عن ولائهم للخليفة الفاطمى ، لحلفوا له بأيمان البيعة ، « وكان منهم من يحلف ويأخذ الذى يأخذه بالشكر ويضمه على الرأس والعين على ماجرت به عادة أخيار الناس ، ومنهم من يستقل القدر الذى يعطاه ويرده ، ظانا أن الذى يصير إليه من بعد استحلافه فهو كالجزاء عن يمينه التى أقسم بها وهو محقوق بأضعاف ماعرض عليه معها(٢) ... » .

ولما فرغ المؤيد من توزيع الخلع والأموال على أتباع البساسيرى من الأعراب والأكراد والأتراك ، خلع على البساسيرى نفسه فى احتفال كبير أقيم لهذا الغرض ، وقرأ العهد الذى أنفذه إليه المستنصر فى شهر صفر سنة ٤٤٨ هـ . وقد جاء فيه(٣): « من عبد الله ووليه معد أبى تميم الإمام المستنصر بالله أمير المؤمنين إلا صاحب الجيش : سلام عليك ، فإن أمير المؤمنين يحمد إليك الله الذى لا إله إلا هو ، ويسأل أن يصلى على جده محمد خاتم النبيين وسيد المرسلين .. ولما وجدك أمير المؤمنين من السابقين إلى النداء بشعاره فى ديار العراق ، والمبرزين بفضيلة السبق على أوليائه فى

(١) سيرة المؤيد ، ص ١١٦ — ١١٧ . (٢) المرجع نفسه ، ص ١١٢ .
(٣) المرجع نفسه ، ص ١٢٢ — ١٢٤ .

قضاء الآفاق ، المشمرين عن ساعد الجد بما يجعل عرصاتها بفيض عدله مشرقة بأنجم السعود ، ويعيد أعواد منابرها بذكر آل الرسول صلى الله عليه وسلم ، ناضرة العود ، رأى أمير المؤمنين — وبالله توفيقه — أن يطوقك طوق ولاية رجالها ، ويقيم على رأسك لمزية التقدمة راية جمالها ، وينوط بك أمورها كلها ، ويكل إليك عقدها وحلها » .

استقر رأى المؤيد بعد وصوله إلى الرحبة على استمالة أمراء العرب لضمان نجاح حركة البساسيرى ، فأرسل إلى نور الدولة دبيس بن مزيد صاحب الحلة أن يلحق به فى الرحبة ، واستطاع بعد قدومه إليه أن يقنعه بمعاونة البساسيرى ، كما أن الخليفة الفاطمى رغبة منه فى اكتساب ولاء ابن مزيد وتشجيعه على مؤازرة البساسيرى ، منحه عهداً لقبه فيه «بالأمير سلطان ملوك العرب ، سيف الخلافة ، صفى أمير المؤمنين» ، كما قلده زعامة عرب العراق ، ومنحه ولاية ما يفتح من البلاد شرقى نهر الفرات .

سار البساسيرى على رأس جيشه ومعه دبيس بن مزيد ، كما قدمت إليه نجدة من دمشق ، قوامها الكلبيون الذين رفضوا فى بادىء الأمر المسير مع الجيش إلا إذا انفصل العرب عن غيرهم من جند الأكراد والأتراك ، لكن المؤيد مالبث أن حملهم على العدول عن رأيهم بالأموال التى أغدقها عليهم(١) .

كان من أثر الإمدادات التى وصلت إلى البساسيرى أن انتصر هو وأعوانه على جيوش قريش بن بدران صاحب الموصل وقتلمش ابن عم السلطان طغرلبك فى موقعة سنجار(٢) سنة ٤٤٨ ﻫ . وقد لقى قتلمش من أهل سنجار العنت ، كما بالغوا فى إلحاق الأذى به . أما قريش بن بدران فقد لجأ إلى نور الدولة دبيس بن مزيد ، فأعطاه خلعة كانت قد أرسلت إليه من مصر ، ثم

---

(١) سيرة المؤيد ، ص ١٢٧ــ١٣٠ .

(٢) تقع بنواحى الجزيرة على مقربة من الموصل .

انحاز إلى جانب البساسيرى وسار بصحبته إلى الموصل حيث أقاما الخطبة للمستنصر بالله الفاطمى(١) .

أيقن المؤيد أن نجاح حركة البساسيرى ودخوله بغداد ، يتوقف على تحقيق أحد أمرين : إما القضاء على قوة السلاجقة بها أو تشتيت شمل جيوشهم فى معارك متفرقة ، ومن ثم عمد إلى مراسلة بعض الأمراء الذين كانوا على اتصال بالسلاجقة وحاول أن يستميلهم إلى جانبه ؛ كما أرسل كتاباً إلى عميد الملك الكندرى — وزير طغرلبك — قلل فيه من شأن الخليفة العباسى فقال : « وكثر العجب من السيد (عميد الملك الكندرى) على ماقرأه من السير وعرفه من أنباء الأمر أن يكون العباسى (القائم بأمر الله) عنده خليفة الله . . ولم تعتقد فرقة من فرق الإسلام أن العباس (ابن عبد المطلب) خليفة أصلا ، وسوى هذا فإنه على عدم الخلافة عادم لصدق القول وصدق اليمين وحسن الوفاء » . كما أشار فى كتابه إلى أن ابن المسلمة وزير الخليفة القائم بأمر الله هو الذى أغرى السلاجقة بدخول بغداد ، وأن هذا العمل الذى قاموا به لا يعد نصراً كبيراً لهم . ونوه فى خطابه بعلو شأن الخليفة الفاطمى وبسيادته على الأراضى المقدسة ببلاد الحجاز وبما لديه من الأموال والأسلحة والعساكر(٢) .

كان المؤيد يرمى من وراء هذه الرسائل التى أنفذها إلى بعض أمراء العرب دعوتهم إلى تأييد الفاطميين ، كما أن رسالته إلى وزير طغرلبك كان الغرض منها صرف السلاجقة عن تأييد العباسيين ؛ غير أن هذه المكاتبات جميعها لم تؤد إلى تحقيق الغاية التى أرسلت من أجلها ، ذلك أن عميد الملك الكندرى كان فى الوقت الذى وصلته رسالة المؤيد يعمل على تفريق شمل أمراء العرب ويغريهم بإسناد بعض الولايات إليهم ، فيعد أحدهم بالموصل ،

(١) ابن الأثير ، جـ٩ ، ص ٢١٧ — ٢١٨ .

(٢) سيرة المؤيد ، ص ١٠٤ — ١٠٦ .

على حين بمنىّ غيره بولاية البصرة وواسط (١) وقد أدت هذه السياسة التى اتبعها عميد الملك إلى اختلاف كلمة هؤلاء الأمراء وعدولهم عن معاونة البساسيرى ، بل إن بعضهم كنور الدولة دبيس بن مزيد وقريش بن بدران بعث إلى طغرلبك يستعطفه ؛ فعفا عنهم ، واضطر البساسيرى إلى العودة إلى الرحبة وتبعه الأتراك البغداديون وجماعة من بنى عقيل(٢).

ظل المؤيد حريصاً على التودد لأمراء العرب بالعراق رغم مالاحظه من ترددهم فى نصرة البساسيرى ؛ فأرسل كتبه إلى كل من نور الدولة دبيس بن مزيد وقريش بن بدران رغبة فى الإبقاء على مودتهم . ثم أزمع الرحيل إلى الرحبة ، ومنها سار إلى حلب حيث التقى بأميرها ثمال بن صالح ابن مرداس ، ولحق به البساسيرى ، فنزل بموضع يسمى باالس على مقربة من حلب وبصحبته قريش بن بدران ونخبة من وجوه بنى عقيل .

أخذ نفوذ السلاجقة فى بلاد العراق فى الازدياد منذ عودة طغرلبك إلى بغداد سنة ٤٤٩ هـ إذ قابل الخليفة القائم بأمر الله الذى أفاض الخلع عليه وخاطبه بملك المشرق والمغرب ، وطلب وزيره أن يبلغه هذا القول : « إن أمير المؤمنين شاكر لسعيك ، حامد لفعالك ، مستأنس لقربك وقد ولاك جميع ماولاه الله من بلاده ، ورد عليك مراعاة عباده ، فاتق الله فيما ولاك ، واعرف نعمته عليك فى ذلك ، واجتهد فى نشر العدل وكف الظلم وإصلاح الرعية(٣) » .

على أن طغرلبك رغم ذلك لم ينعم بالاستقرار فى دولته فخرج عليه أخوه لأبيه إبراهيم ينال الذى كان قد استولى على بلاد الجبل(٤) وهمذان

---

(١) سيرة المؤيد : ص ١٠٦ — ١٠٧ .

(٢) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ، ج ٩ ، ص ٢١٩ .

(٣) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ، ج ٩ ص ٢٢٠ — ٢٢١ .

(٤) أسم لبعض بلاد ماوراء طبرستان .

وامتد سلطانه على ما حولها من البلاد إلى حلوان سنة ٤٣٧ هـ ، ثم طلب منه طغرلبك أن يسلمه همذان ، فرفض فى بادىء الأمر ؛ غير أنه ما لبث أن اضطر إلى النزول عنها بعد أن هزم فى القتال الذى دار بينه وبين أخيه(١) . وظل الخلاف منذ ذلك الوقت قائماً بين طغرلبك وإبراهيم ينال الذى بعث رسولا من الموصل إلى حيث يقيم البساسيرى وقريش بن بدران وكان ظاهر رسالته الترغيب فى الدخول فى طاعته ليقلدهما ولاية البلاد ، أما باطنها فتضمن مخاطبة المؤيد ليرسل إليه الخلع والأموال والألقاب والألوية التى يلتمسها من الخليفة الفاطمى ، حتى إذا ماتغلب على طغرلبك وخلفه فى الملك جعل الخطبة للفاطميين ، بالخلافة والإمامة مقدمة على خطبته . ولما وقف المؤيد على ما تضمنته رسالة إبراهيم ينال ، تعهد بأن يجيب طلبه فيما يتعلق بالمال والخلع والألقاب(٢) .

لما وثق المؤيد من أن جهوده فى سبيل نشر الدعوة الفاطمية ببلاد العراق قد كللت بالنجاح ، استقر رأيه أثناء إقامته بحلب على العودة إلى مصر ، ويترك البساسيرى وجنده البغداديين وغيرهم من أعوانه يواجهون السلاجقة والعباسيين ؛ غير أنه لم يفصح عن خطته فى العدول من متابعة البساسيرى إلا حين وصله خبر خروج إبراهيم ينال من الموصل وتركه بها حامية صغيرة من جند السلاجقة ، فانتهز هذه الفرصة وقال للبساسيرى : « قد آن لك أن ترجع إلى الرحبة وتتدبرها وتستعين على وقتك بارتفاعها ، ونحن بعد ذلك نسوق إليك كل سنة مالا كثيراً يكون إضافة إلى ما تستجلبه الرحبة ، فتتسع يدك ولا تتناقص حالك ، ثم وجه حديثه إلى قريش بن بدران بقوله : « وأنت ياقريش قد حان لك أن ترجع

(١) ابن خلدون . العبر ، ج ٣ ص ٤٦٢-٤٦٣

(٢) سيرة المؤيد ، ص ١٧٥-١٧٦ .

إلى بلدك الموصل . . . والشرذمة التي بها فلا قبل لهم بالثبات في وجهك ، لاسيما إذا شد منك البساسيري » . وقد استطاع المؤيد بما عرف عنه من سعة الحيلة أن يقنعهما بوجهة نظره ، ثم مضى في طريقه إلى مصر(١) ، ورحل البساسيري وقريش بن بدران من حلب لمواصلة جهودهما في نشر نفوذ الفاطميين بمدن العراق .

كانت ثورة إبراهيم ينال على أخيه طغرلبك مما مهد السبيل أمام البساسيري لتحقيق أغراضه ، ذلك أن إبراهيم ينال لما غادر الموصل إلى بلاد الجبل سنة ٤٥٠ هـ ، عزا السلطان طغرلبك رحيله إلى خروجه على طاعته وبعث إليه رسولا يستدعيه ومعه الخلعة التي خلعها عليه الخليفة العباسي ؛ فعاد إبراهيم إلى السلطان ـ وهو إذ ذاك ببغداد ـ . ولما أيقن البساسيري وقريش بن بدران أن القوة التي تركها إبراهيم بالموصل من الضعف بحيث يسهل عليهما التغلب عليها ، زحفا على هذه المدينة وتمكنا من الاستيلاء عليها(٢).

كان للصعاب التي واجهت السلطان طغرلبك من ناحية البساسيري أسوأ الأثر في نفسه ، فضلا عن الهزيمة التي لحقت جيوشه بسنجار انتزعت منه الموصل. لذلك نراه يتأهب لدرء الأخطار عن البلاد التي تحت سلطانه . فأنفذ كتبه إلى خراسان وبلاد ما وراء النهر « يستنفر الناس خفافا وثقالا ، حتى حشد من الحشود الجم الغفير والعدد الكثير . وجعل قصده الشام ، ومصر همه . عالما بأن تلك الجموع التي اجتمعت على قمعه ودفعه بعيدا تجتمع(٣) . . . » . وسرعان ما تحقق ظن طغرلبك فيما يتعلق

---

(١) سيرة المؤيد ، ص ١٧٦ـ١٧٨ .

(٢) ابن الأثير . الكامل في التاريخ ، ج ٩ ، ص ٢٢٢ ـ ٢٢٣ ، ابن خلدون . العبر ، ج ٣ ، ص ٤٦٣ .

(٣) سيرة المؤيد . ص ١٧٩ .

بالموصل ، فقد انسحب منها كل من البساسيرى وقريش ابن بدران ، فلما سار إليها لم يجد بها أحداً ، ثم اتجه إلى نصيبين ليتبع آثارهم ، ويخرجهم من البلاد التى يستولون عليها . وبينما هو فى طريقه فارقه أخوه إبراهيم ينال الذى سار نحو همذان فوصلها فى أواخر شهر رمضان سنة ٤٥٠ ه .

وقد أشار ابن الأثير (١) إلى العوامل التى دفعت إبراهيم ينال إلى الخروج على أخيه طغرلبك بقوله : « وكان قد قيل إن المصريين كاتبوه والبساسيرى قد استماله وأطمعه فى السلطنة والبلاد » . ومن الثابت أن إبراهيم ينال كان على اتصال بداعى الفاطميين المؤيد فى الدين هبة الله الشيرازى . ونستدل على ذلك من قول المؤيد نفسه « وكشف القناع عما كان استقر بينى وبين إبراهيم ينال ، كما أتانى رسوله الصوفى وأنا بحلب (٢) » .

أدرك طغرلبك الخطر الذى يهدد سلطانه من جراء خروج أخيه إبراهيم ينال عليه ومن ثم عول على السير فى أثره حتى يتسنى له إخضاعه ، ولحق به من كان ببغداد من الأتراك (١) . وقد وصف المؤيد (١) خروج طغرلبك لمحاربة أخيه بقوله : « فاختبط طغرلبك وعسكره ، فتفرقوا ، وهام طغرلبك على وجهه مقتفياً لأثره حتى غاب حسه ولم يدر أى طريق سلك ، وفى أى واد هلك » .

ولم يكن جيش طغرلبك من القوة بحيث يمكنه إحراز النصر على أخيه ، بينما اجتمع إلى إبراهيم ينال كثير من الأتراك الذين كانوا ينقمون على طغرلبك وحلف لهم أن لا يصالح أخاه ولا يدخل بهم العراق لكثرة نفقاته ، كما أتى إليه بعض أبناء أخيه أرتاش مع كثير من جندهم ، فاشتد بهم ساعده

---

(٢) الكامل فى التاريخ : جـ ٩ ص ٢٢٣ .

(٣) سيرة المؤيد : ص ١٧٩ .

(١) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ، جـ ٩ ، ص ٢٢٣ .

(٢) سيرة المؤيد : ص ١٨٠ .

وقوى أمره . واضطر طغرلبك إلى التوجه إلى الرى حيث استنجد بابن أخيه ألب أرسلان وطلب منه المعونة . فأقبل إليه ألب أرسلان من سجستان إلى حدود العراق ، وفى ١٩ من جمادى الآخرة سنة ٤٥١ ﻫ هزم إبراهيم ينال بالقرب من الرى وأخذ أسيراً إلى طغرلبك الذى قتله فى نفس السنة تخلصاً منه[1] .

انتهز البساسيرى فرصة انشغال طغرلبك بإخماد حركة أخيه إبراهيم ينال وزحف إلى بغداد على رأس أربعمائة فارس حاملا الرايات المستنصرية التى كتب عليها[2] : « الإمام المستنصر بالله أبو تميم معد أبو المؤمنين » ، كما سار معه قريش بن بدران فى مائتى فارس من بنى عقيل ، وتمكن من الاستيلاء عليها فى ٨ ذى القعدة سنة ٤٥٠ ﻫ دون مقاومة تذكر . فمال إليه أهل الكرخ لكونهم من الشيعة ورحبوا بقدومه . وفى يوم الجمعة الثالث عشر من ذى القعدة أقام البساسيرى الخطبـــة بجامع المنصور للمستنصر بالله الفاطمى ، كما أمر بأن يؤذن بحى على خير العمل ، ثم خطب للخليفة الفاطمى على جميع منابر بغداد ، وضرب السكة باسمه ، وبعث إليه يبشره بفتح بغداد وإقامة الدعـــوة له . وقد وصف المؤيد دخول البساسيرى هذه المدينة بقوله[3]: « ولما رأى البساسيرى أن الله سبحانه قد قطع (بطغرلبك) الأسباب .. ، علم أن بغداد فريسة لمن طلب وقبضة لمن رغب ، فزحف بالرايات المستنصرية ، وصادف فيها أرضاً تعج إلى الله تعالى من ظلم التركمانية وقلوباً ملئت غيظاً من العباسى وابن المسلمة الذى كان

---

(١) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ، ج ٩ ، ص ٢٢٥ ، ابن خلدون : العبر ، ج ٣ ص ٤٦٣ .

(٢) أبو الفدا . المختصر فى أخبار البشر ، ج ، ص ١٧٧ .

(٣) ابن الأثير . الكامل فى التاريخ ، ج ٩ ص ٢٢٣ ، ٢٢٥ ، أبو المحاسن النجوم الزاهرة ، ج ٥ ، ص ٦ ، ١١ .

سبب استدعائهم وتسلطهم على حرم الناس وأموالهم ودمائهم . فكان قدوم البساسيرى عليهم كنزول الرحمة من سمائهم . فشدوا حيازيمهم معه لإقامة الدعوة المستنصرية على بغداد » .

ضعفت سلطة الخليفة القائم بأمر الله العباسى بدخول البساسيرى بغداد ، وانصرف عن تأييده كثير من الناس مما اضطره إلى طلب الأمان من قريش بن بدران ، فأمنه ، كما أعطى أماناً لرئيس الرؤساء ، فاستاء من ذلك البساسيرى وأرسل إلى قريش بن بدران يقول : أتخالف ما استقر بيننا ؟ — وكانا قد تحالفا ألا ينفرد أحدهما عن الآخر بشيء ، ويكون العراق بينهما نصفين — ؛ فقال قريش : ماعدلت عما استقر بيننا ، عدوك ابن المسلمة (يعنى رئيس الرؤساء) فخذه . وأنا آخذ الخليفة ، فرضى البساسيرى بذلك[1] .

عول البساسيرى بعد أن استقر له الأمر فى بغداد على التخلص من رئيس الرؤساء أبى القاسم بن المسلمة ، فلما قدم إليه قال له : مرحباً بمدمر الدولة ومهلك الأمم ، ومخرب البلاد ، ومبيد العباد . فقال له ابن المسلمة : العفو عند المقدرة ، فقال : قد قدرت فما عفوت ، وأنت تاجر صاحب طيلسان . ولم تبق على الحريم والأموال والأطفال ، فكيف أعفو عنك وأنا صاحب سيف . وقد أخذت أموالى وعاقبت أصحابى ودرست دورى وسبيتنى وأبعدتنى » . كذلك أظهر العامة نقمتهم على ابن المسلمة حين قدم لمقابلة البساسيرى وهموا بالاعتداء عليه . غير أن البساسيرى حال بينه وبينهم . ثم أمر بقتله[2] .

أما فيما يتعلق بالخليفة القائم بأمر الله العباسى . فإن البساسيرى كان

---

(١) أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ، جـ٥ ، ص ٩ .

(٢) ابن ميسر : تاريخ مصر ، ص ٢٠ ، أبو المحاسن . النجوم الزاهرة ، جـ ٥ ص ٩ — ١١ .

قد عزم على أخذه من قريش بن بدران وإرساله إلى مصر وحدث خلاف بينهما حول ذلك(١) ؛ فرأى قريش أن يبعث به مع ابن عمه الأمير محيى الدين مهارش بن المجلى العقيلى إلى حديثة(٢) عانة ؛ فأنزله بها مع أهله وحريمه وحاشيته(٣) . وكان البساسيرى قد أرغمه قبل مغادرته بغداد على كتابة عهد ، اعترف فيه بأنه لا حق لبنى العباس ولا له فى الخلافة مع وجود بنى فاطمة الزهراء عليها السلام ، ثم بعث بهذا العهد إلى القاهرة حيث ظل محفوظاً بقصر الخلافة حتى استولى صلاح الدين يوسف بن أيوب على محتوياته سنة ٥٦٧ هـ ، فأنفذه إلى الخليفة العباسى المستضىء بالله فى بغداد مع بعض التحف والهدايا على أثر وفاة العاضد آخر الخلفاء الفاطميين بمصر(٤) .

كذلك أرسل البساسيرى إلى المستنصر بالله ثوب الخليفة القائم العباسى وعمامته وشباكه(٥) الذى كان يجلس فيه ، وغير ذلك من الأموال والتحف . وقد أثار وصولها وقيام الدعوة الفاطمية بمساجد بغداد حماساً عظيماً بين أهالى مدينة القاهرة الذين أقاموا الزينات ابتهاجا بهذا النصر(٦) ، كما سر الخليفه المستنصر وأنفق كثيراً من الأموال لإعداد القصر الذى بناه العزيز ويعرف باسم القصر الغربى الصغير ليكون مقراً لإقامة الخليفة القائم

(١) انظر : ابن الجوزى : المنتظم . جـ ٨ ص ١٩٠-١٩٥ .

(٢) تقع بالقرب من الأنبار .

(٣) ابن خلدون : العبر و جـ ٤ ، ٢٦٦ .

(٤) المقريزى : خطط ، جـ ١ ص ٤٣٩ .

(٥) كان هـذا الشباك كمنرة يجلس فيها الخليفة ويعتمد بيديه على حافته ، وقد بقى محفوظاً عند الخليفة الفاطمى حتى نقل إلى دار الوزارة التى عمرها الأفضل بن بدر الجمالى ؛ فصار يجلس فيه الوزير ويتكىء عليه ، وما زال بها إلى أن عمر الأمير ركن الدين بيبرس الجاشنكير الخانقاه الركنية ، فأخذ من أنقاض دار الوزارة شباك الخليفة العباسى وجعله فى لقبه .

(راجع ما ورد فى المقريزى . خطط ، جـ١ ، ص ٤٣٩) .

(٦) المقريزى : خطط ، جـ ٢ ص ١٢٥ .

بأمر الله(١) . إذا ما تحقق أمله فى القبض عليه . وكان من بين مظاهر الاحتفال باستيلاء البساسيرى على بغداد وإقامة الخطبة باسم المستنصر على منابرها أن وقفت إحدى المغنيات تحت قصر الخليفة تنشد هذين البيتين :

يا بنى العباس صُدُّوا ملك الأمر معدُّ
ملككم كان معارا والعوارى تستردُّ

فأعجب المستنصر بغنائها وأقطعها أرضاً لا تزال تعرف إلى اليوم فى مدينة القاهرة باسم أرض الطبالة(٢) .

على الرغم من المجهودات التى بذلها البساسيرى فى سبيل نشر نفوذ الخلافة الفاطمية ببغداد ، فإنه لم يتلق من الخليفة المستنصر بالله ما يشجعه على مواصلة القيام ببسط سلطانه على بلاد العراق ؛ ويرجع السبب فى ذلك إلى حقد الوزير أبى الفرج محمد بن جعفر المغربى(٣) عليه . وكان هذا الرجل قد رحل إلى بغداد وانضم إلى البساسيرى ، وما لبث بعد ذلك أن انقلب معادياً له وفر إلى مصر حيث أخذ يحذر الخليفة من عاقبة أطماعه(٤) ، فتخوف منه المستنصر وصار لا يُعنى بإجابة طلباته ؛ غير أن البساسيرى

(١) المقريزى : خطط ، ج ١ ، ص ٤٥٧ .

(٢) أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ، ج ٥ ، ص ١٢ .

(٣) نشأ أبو الفرج محمد بن جعفر بن محمد على المغربى فى مصر فى عهد الحاكم بأمر الله ، ثم سار إلى العراق بعد أن نكل هذا الخليفة ببعض أفراد أسرته . وما زالت تنقل به الأحوال حتى عاد إلى مصر فى عهد المستنصر واصطنعه وزيره أبو محمد الحسن اليازورى . فولاه ديوان الجيش . وأصبح منذ ذلك الوقت موضع رعاية أم المستنصر . ولما آلت الوزارة إلى أبى الفرج عبد الله بن محمد البابلى بعد وفاة اليازورى ، قبض عليه ، فلم يزل معتقلا حتى أسند إليه منصب الوزارة فى الخامس والعشرين من شهر ربيع الآخر سنة ٤٥٠ هـ ولقب بالوزير الأجل الكامل الأوحد صفى أمير المؤمنين وخالصته ؛ وظل يتقلد هذا المنصب حتى عزل فى اليوم التاسع من شهر رمضان سنة ٤٥٢ هـ ، ثم ولى ديوان الإنشاء ، وتوفى سنة ٤٧٨ هـ .

(المقريزى : خطط ، ج ٢ ص ١٥٨) .

(٤) أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ، ج ٥ ، ص ١١ .

رغم ذلك حرص على إخلاصه للخليفة الفاطمي ، فأخذ يتابع إغاراته فى بلاد العراق حتى استولى على واسط والبصرة ، ثم أمر بإقامة الخطبة فيهما للمستنصر بالله(١). وقد علق أبو المحاسن(٢) على موقف المستنصر من البساسيرى بعد دخوله بغداد بقوله : « ولولا تخوف المستنصر من البساسيرى وترك تحريضه على ما هو بصدده ، لكانت دعوته تم بالعراق زمناً طويلا » .

لما تم لطغرلبك القضاء على حركة أخيه إبراهيم ينال عول على المسير إلى العراق لإعادة الخليفة القائم بأمر الله إلى مقر خلافته ، فأرسل إلى البساسيرى وقريش بن بدران يطلب منهما إعادة الخليفة العباسى إلى بغداد ويقول إنه سيقنع بذكر اسمه فى الخطبة ونقشه على السكة ، ولا يدخل العراق(٣). كذلك أنفذ طغرلبك وهو فى طريقه إلى العراق الإمام أبا بكر أحمد بن محمد بن أيوب المعروف بابن فورك إلى قريش بن بدران يشكره على حسن معاملته للخليفة ومحافظته على حياته ، ويخبره بأنه عهد إلى ابن فورك بمصاحبة القائم بأمر الله فى عودته إلى بغداد(٤) .

لم يجب البساسيرى طغرلبك إلى طلبه ، كما أن قريش بن بدران سعى لدى الأمير محي الدين مهارش صاحب الحديثة ليحول دون عودة الخليفة العباسى إلى بغداد . وكان يرى أن تحقيق هذه الغاية قد يؤدى إلى عدول السلاجقة عن السير إلى العراق . ويتبين لنا ذلك من رسالته إلى الأمير مهارش التى جاء فيها(٥) : « قد علمت أننا أودعنا الخليفة عندك ثقة

(١) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ، ج ٩ ، ص ٢٢٥ .

(٢) النجوم الزاهرة ، ج ٥ ، ص ١١ .

(٣) أبو الفدا : المختصر فى أخبار البشر ، ج ٢ ، ص ١٧٨ .

(٤) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ج ٩ ، ص ٢٢٦ ؛
ابن الجوزى : المنتظم ، ج ٨ ص ٢١٥ - ٢١٧ .

(٥) ابن الجوزى : المنتظم ، ج ٨ ، ص ٢٠٥ - ٢٠٧ ،
ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ، ج ٩ ، ص ٢٢٦ - ٢٢٧ .

بأمانتك ، وقد طلبوه الآن . وربما قصدوك وحصروك وأخذوه منك ، فخذه وارحل به وأهلك إلى البرية . فإنهم إذا علموا أن الخليفة عندنا فى البرية لم يصدوا العراق ونحكم عليهم بما نريد » . لكن الأمير مهارش رأى ألا يذعن لرغبة قريش بن بدران ؛ فبعث إليه يقول : « كان بينى وبين البساسيرى عهود ومواثيق نقضها ، وأن الخليفة استحلفنى بعهود ومواثيق لا مخلص منها » ، ثم أزمع المسير إلى بغداد بصحبة الخليفة فى ١١ ذى القعدة سنة ٤٥١ هـ(١) .

كان طغرلبك إذ ذاك فى طريقه إلى بغداد ، فلما اقترب منها أدرك البساسيرى أنه لا قبل له بمقاومته لأنه لم يتلق من مصر مساعدات أخرى تمكنه من الوقوف فى وجه السلاجقة ، ومن ثم خرج من بغداد مع جنده وسار قاصداً الكوفة فى اليوم السادس من ذى القعدة سنة ٤٥١ هـ(٢) .

رأى طغرلبك أن يبالغ فى الاحتفال بعودة القائم بأمر الله إلى بغداد ليظهر له مدى إخلاصه له ؛ فأرسل إليه وهو فى طريقه إلى هذه المدينة وزيره عميد الملك الكندرى والأمراء والحجاب ليقوموا على خدمته . ولم يكتف بذلك ، بل خرج لاستقباله عند وصوله إلى النهروان وقبّل الأرض بين يديه ، وأبدى له اغتباطه بعودته ، كما اعتذر له عن تأخره فى نجدته بانشغاله فى إخماد فتنة أخيه إبراهيم ينال ، وقال له إنه عزم على المضى خلف البساسيرى ، والمسير إلى الشام ، والوقوف من الخليفة الفاطمى بمصر موقفاً حازماً يتلاءم مع أفعاله(٣) .

خلت مدينة بغداد من أعيانها فى الوقت الذى عاد فيه الخليفة القائم بأمر الله إلى مقر خلافته حتى لم يكن فى استقباله منهم غير القاضى أبى عبد الله

(١) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ، جـ٩ ، ص ٢٢٧

(٢) أبو الفدا : المختصر فى أخبار البشر ، جـ ٢ ، ص ١٧٨ — ١٧٩

(٣) ابن الأثير الكامل فى التاريخ ، جـ٩ ، ص ٢٢٦ — ٢٢٧ .

الدامغانى وثلاثة من الشهود ، وأظهر طغرلبك حرصه على الاحتفاء بقدومه — وكان قد سبقه فى المسير إلى هذه المدينة — ؛ ولم يكد يستقر الأمر للخليفة العباسى فى بغداد حتى عهد السلطان إلى القائد خمار تكين الطغرائى بالمسير على رأس ألفى فارس إلى الكوفة حيث يقيم البساسيرى ، كما ضم إليه طائفة من الجند بقيادة ابن منيع الخفاجى وسار بنفسه فى أثرهم . ولم تزل قواته تتعقب البساسيرى حتى أوقعت به الهزيمة عند الكوفة ، وقضت عليه فى ذى الحجة سنة ٤٥١ هـ(١) . وبذلك تيسر لطغرلبك القضاء على حركة البساسيرى وإعادة الخطبة فى بغداد للخليفة القائم بأمر الله العباسى .

---

(٢) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ، ج٩ ، ص ٢٢٨ ، ابن خلدون : العبر ، ج ٣ ، ص ٤٦٠ .

٣ – زوال النفوذ الفاطمي ببلاد العراق

بعد دخول السلاجقة بغداد

ازداد نفوذ السلاجقة في بلاد العراق منذ منتصف القرن الخامس الهجري، فاستأثر طغرلبك بالسلطة دون القائم بأمر الله بعد أن أنقذه من تحكم البساسيري وأعاده إلى مقر خلافته، وسار على هذه السياسة من جاء بعده من سلاطين السلاجقة حتى أصبحت حالة الخلفاء العباسيين لاتختلف اختلافاً كبيراً عما كانت عليه في أيام بني بويه، ذلك أنه بينما كان أمراء بني بويه يقيمون في بغداد ويستبدون بالسلطة فإن السلاجقة استأثروا بالنفوذ في بلاد العراق، أضف إلى ذلك أن الخلفاء العباسيين في العصر السلجوقي كانوا يعيشون من إقطاعات مقررة يستولون على دخلها(١). ولم يبق لهم من سلطانهم القديم سوى ذكر اسمهم في الخطبة ونقشه على السكة.

على أن معاملة السلاجقة للخلفاء العباسيين كانت أفضل بكثير من معاملة بني بويه لهم؛ ويرجع السبب في ذلك إلى اعتناق السلاجقة المذهب السني الذي يعد الخليفة العباسي رئيسه الأعلى. وقد ذكر أرنولد(٢) أن السلاجقة كانوا لايحترمون الخليفة لمركزه السياسي، بل لأنه خليفة الله في الأرض.

ضعف شأن الخلفاء العباسيين في العصر السلجوقي؛ فقد عمل السلاجقة على الحد من نفوذهم، بل تعسف بعضهم في معاملتهم؛ من ذلك ما قام به السلطان ملكشاه، إذ صمم على طرد الخليفة المقتدي من بغداد سنة ٤٨٥ هـ

---

(١) ابن الأثير: تاريخ دول الأتابكة، ٩١–٩٢.

(٢) The Caliphate. P. 80

لأنه رأى فيه ميلا إلى التدخل فى الحكم(١) ، كما أخذ السلاجقة من الخليفة المسترشد بردة الرسول صلى الله عليه وسلم التى كان الخلفاء يرتدونها عند توليتهم الخلافة أو عند حضورهم الحفلات الدينية(٢) .

كان السلاجقة يدركون الخطر الذى يتهددهم من وراء انتشار النفوذ الفاطمى فى بلاد الشرق الإسلامى ، ومن ثم وجهوا سياستهم بعد أن قبضوا على زمام الأمور فى بغداد سنة ٤٥١ ه إلى مناهضة هذا النفوذ وقد صادفهم كثير من النجاح فى تحقيق هذه السياسة ، فأقام أمير مكة محمد بن جعفر الدعوة لكل من الخليفة القائم بأمر الله والسلطان ألب أرسلان سنة ٤٦٤ ه(٣) ، وفى السنة التالية تمكن ألب أرسلان من بسط سلطان السلاجقة على حلب ، كما أصبحت دمشق سنة ٤٦٨ ه تحت سيادتهم ، وأبطل فيها الأذان بحى على خير العمل(٤) ؛ وهو يعد من من مظاهر المذهب الشيعى التى كانت سائدة إذ ذاك فى الأراضى الخاضعة لنفوذ الفاطميين .

كذلك حرص السلاجقة على تعقب دعاة الإسماعيلية الذين قاموا بنشر الدعوة للفاطميين فى بلاد الفرس ، كما تعصبوا للمذهب السنى ، وبلغ من تعصبهم لهذا المذهب أن أقصوا غير السنيين عن وظائف الحكومة ؛ وأحسن مثل لذلك ماقام به نظام الملك وزير السلطان ملكشاه الذى فصل الحسن بن الصباح من ديوان السلاجقة بسبب اعتناقه المذهب الإسماعيلى واتصاله بدعاة الفاطميين(٥) .

وعلى الرغم من اهتمام السلاجقة بالقضاء على دعاة الإسماعيلية ، فإن كثيراً من هؤلاء الدعاة تجلى نشاطهم منذ أواخر القرن الخامس الهجرى

(١) السيوطى : تاريخ الخلفاء ، ص ١٨١ — ١٨٢ .

(٢) Arnold The Caliphate P. 80

(٣) راجع كتاب « النفوذ الفاطمى فى جزيرة العرب » للمؤلف ص ٢١ـ٢٢ .

(٤) السيوطى : تاريخ الخلفاء ص ١٨٠ .

(٥) طه شرف : كتاب « دولة النزارية » ص ٤١ — ٤٢ .

فى بلاد الفرس ، ويرجع السبب فى ذلك إلى بعد هذه البلاد عن بغداد مركز الخلافة العباسية ، كما أن السلطان ألب أرسلان (٤٥٤ — ٤٦٥هـ) بإلغائه نظام البريد جعل من المتعذر على السلاجقة استقصاء أخبار دولتهم مما ساعد الإسماعيلية على إحكام أمورهم فى شرق الدولة الإسلامية . وقد وضح البندارى(١) ذلك بقوله « وكان منهم رجل من أهل الرى . . . وكانت صناعته الكتابة ، فخفى أمره ، حتى ظهر ، وقام من الفتنة كل قيامة ، واستولى فى مدة قريبة على حصون وقلاع منيعة ، وبدأ من القتل والفتك بأمور شنيعة ، وخفيت عن الناس أحوالهم ، ودامت حتى استتبت على استتار ، بسبب أنه لم يكن للدولة أصحاب أخبار » :

أما عن الدعوة الإسماعيلية فى بلاد العراق فإنها لم تظفر بكثير من النجاح فى أوائل العهد السلجوقى لأن هذه البلاد كانت مقراً للخلافة العباسية السنية التى كان من أهم أركان سياستها مناهضة أتباع المذهب الإسماعيلى ، كما أن السلاجقة من ناحية أخرى عمدوا إلى تعقب دعاة هذا المذهب ، وفضلا عن ذلك فإن الخلافة الفاطمية فى مصر لم تعمل منذ منتصف القرن الخامس الهجرى على مواصلة جهودها لنشر دعوتها فى بلاد العراق ، كما كانت الحال عند قيام البساسيرى بحركته ، بل اقتصر اهتمامها على الاحتفاظ بما تبقى لها من نفوذ فى الجزيرة العربية ، وتأييد دعاة الاسماعيلية فى بلاد الفرس واليمن الذين استطاعوا باتخاذهم هذه البلاد مركزاً لهم أن يكونوا بعيدين عن تنكيل العباسيين والسلاجقة بهم .

وليس من شك فى أن اضطراب الحالة الداخلية فى مصر فى أواخر عهد المستنصر بالله الفاطمى ، كان له أثر كبير فى صرف الحكومة الفاطمية عن الاهتمام بنشر دعوتها فى بلاد العراق ، فقد ظهر التنافس بين العناصر

---

(١) تاريخ دولة آل سلجوق ، ص ٦٢ — ٦٣ .

الأجنبية وبخاصة الأتراك والسودان . كما خرج ناصر الدولة الحسين بن حمدان التغلبي الذى كان يتولى قيادة الأتراك على طاعة الخليفة الفاطمى . وبعث سنة ٤٦٢ هـ إلى ألب أرسلان سلطان السلاجقة بالعراق رسولا من قبله ، يسأله أن يرسل إليه نجدة ليقيم الدعوة العباسية على أن تؤول إليه السيادة على مصر ، فرحب ألب أرسلان بذلك ؛ غير أنه مالبث أن شغل بمحاربة الروم عن المسير إلى دمشق ثم مصر(١) .

لما بلغ المستنصر أن ناصر الدولة أرسل إلى ألب أرسلان يستدعيه إلى الديار المصرية ، جهز إليه عساكر كثيرة من الأتراك لمحاربته بإقليم البحيرة فأوقع بهم ناصر الدولة الهزيمة وغنم منهم مغانم كثيرة ، وأقام الخطبة للخليفة القائم بأمر الله العباسى فى الإسكندرية ودمياط ، وجميع أنحاء الوجه البحرى ؛ وحال دون وصول الأقوات إلى القاهرة ومصر(٢) . وكان مما زاد الحالة سوءاً تلك المجاعة التى بدأت بانخفاض النيل سنة ٤٥٧ هـ واستمرت سبع سنين ، فقلت الأقوات واشتد الغلاء . وقد عانى الأغنياء وكبار رجال الدولة من هذه المجاعة مثل ماعاناه الفقراء تماماً ، واضطر بعض أصحاب النفوذ والأعيان إلى مغادرة مصر والرحيل إلى بلاد الشام والعراق(٣) .

ظل ناصر الدولة بن حمدان يبذل أقصى جهده لإضعاف شأن الخليفة المستنصر بالله الفاطمى والاستئثار بالحكم ؛ وتجلى خروجه على طاعته سنة ٤٦٤ هـ حيث عاود القيام بحذف اسمه من الخطبة فى الوجه البحرى ، كما بعث إلى القائم بأمر الله العباسى ببغداد يلتمس الخلع . ثم قدم إلى الفسطاط على رأس جيش كبير من العرب والبربر وتولى الحكم فيها . وأنفذ إلى المستنصر رسولا يطلب منه الأموال . ولم يكتف بذلك بل سار إلى القاهرة

---

(١) ابن ميسر : تاريخ مصر ، ١٩ ـ ٢ .
(٢) ابن ميسر : تاريخ مصر ، ص ٢٠ .
(٣) المرجع نفسه : ص ٢ ، أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ، جـ ٥ ص ١٥ ـ ١٦ .

وبالغ فى إهانة الخليفة الفاطمى وأظهر ميله إلى مذهب أهل السنة . واضطر كثير من أقارب المستنصر إلى النزوح إلى المغرب والعراق . على أن ناصر الدولة لم تستقر له الأمور طويلا بالقاهرة ، فسرعان ماثار به الأتراك الذين كانوا إذ ذاك من أهم عناصر الجيش الفاطمى ونجحوا فى القضاء عليه والتخلص من جميع أفراد أسرته(١) .

لم تكن الظروف مهيأة فى أواخر القرن الخامس الهجرى لتستعيد الدعوة الفاطمية مكانتها فى بلاد العراق؛فقد ضعف أمرها وأصبحت مهددة بالزوال من جراء ذلك النزاع الذى نشأ حول الخلافة الفاطمية بعد وفاة المستنصر سنة ٤٨٧ هـ والذى ترتب عليه انقسام الإسماعيلية فى مصر وبلاد الشرق الإسلامى إلى طائفتين ، عرفت الأولى بالنزارية ، أما الثانية فتعرف بالمستعلية . وقد انحاز دعاة الإسماعيلية فى بلاد اليمن إلى هذه الفرقة التى اتخذت مصر مقراً لها ، وظلوا على ولائهم للخليفة المستعلى(٢)، بينما انحاز غيرهم من الدعاة فى بلاد الفرس بزعامة الحسن بن الصباح إلى نزار وادعوا أن المستعلى اغتصب منه الخلافة والإمامة(٣).

وكانت الدعوة الفاطمية فى حاجة إلى توحيد جهود دعاتها حتى يتيسر لهم الإبقاء عليها ، لكن انقسام الإسماعيلية إلى فرق وأحزاب كان له أثر كبير فى صرفهم عن تحقيق هذه الغاية ؛ فشغلت الحكومة الفاطمية بالقضاء على القلاقل التى أثارها أتباع النزارية فى مصر بإيعاز من رؤساء دعوتهم فى فارس الذين كانوا يمدونهم بالمال . وقد تجلى خطر النزارية على الخلافة الفاطمية فى عهد الآمر ؛ فأبوا الاعتراف بإمامته وإمامة أبيه المستعلى ، هذا فضلا عن اعتقادهم أنهما وليا الخلافة دون حق . وكان ذلك مما حمل الخليفة الآمر

(١) ابن ميسر : تاريخ مصر ، ص ٢١-٢٢ .

(٢) راجع كتاب « النفوذ الفاطمى فى جزيرة العرب » للمؤلف ص ٨٤-٨٦ .

(٣) ابن ميسر : تاريخ مصر ص ٦٥ ، طه شرف : دولة النزارية ، ص ٦٦ .

الفاطمى سنة ٥١٦ هـ على أن يعهد إلى وزيره أبى عبد الله المأمون بن البطائحى بكتابة رسالة لزعيمهم الحسن بن الصباح يدحض فيه آراء النزارية فى الإمامة ويدعوه إلى الحق . كما بعث فى طلب « الفقهاء من الإسماعيلية والإمامية للاجتماع فى قصره ، وقال لهم وزيره المأمون البطائحى : ما لكم من الحجة فى الرد على هؤلاء الخارجين على الإسماعيلية ، فقال كل منهم : لم يكن لنزار إمامة ومن اعتقد هذا فقد خرج عن المذهب وضل ووجب قتله(١) » .

على أن هذه الرسالة لم يتح لها أن تصل إلى يد الحسن بن الصباح لعدول رسل الخليفة الآمر عن مواصلة السفر إليه بسبب الأنباء التى وصلت إلى مصر عن ازدياد نفوذ طائفة النزارية ببلاد المشرق واتصالها بأتباعها فى مصر لتدبير مؤامرة لقتل الخليفة الفاطمى ووزيره المأمون البطائحى(٢). لذلك لا نعجب إذا رأينا الحكومة الفاطمية تتبع حركاتهم فى جميع البلاد الخاضعة لنفوذها وتعمل على التخلص ممن تحوم الشبهات حول انحيازه إليهم . وبلغ من اهتمام المأمون البطائحى بالبحث عن النزارية وتقصى أخبارهم أن اتخذ جواسيس لاقتفاء آثار أتباع هذه الطائفة بمصر والقاهرة(٣) .

وقد وضح ابن ميسر(٤) ما قام به هذا الوزير من مجهود فى سبيل إبعاد خطر النزارية عن الدولة الفاطمية ، فقال : « إنه أركب فى يوم من الأيام جماعة من العسكر وفرقهم وأمر بمسك من عينه ، فمسك منهم جماعة كثيرة ، منهم رجل كان يقرىء أولاد الخليفة الآمر ، ومسك معهم المال الذى سيره ابن صباح برسم نفقة مصر ، فأخذه وكانت هذه الفعلة من المأمون من عجائب الحذق ، وبث مع ذلك الجواسيس فى أقطار الأرض ، وكان الباطنى إذا خرج من « ألموت » لا تزال أخباره تصل إلى المأمون متعاقبة

(١) المقريزى : خطط ، جـ١ ص ٤٠٧ .

(٢) ابن ميسر : تاريخ مصر ، ص٦٥ـ٦٨ .

(٣) المرجع نفسه ، ص ٦٥ .

(٤) تاريخ مصر ، ص٦٦ .

حتى يصل « بلبيس » ، فيمسك بها ، ويحمل إليه فيقتله » . وعلى الرغم من اتخاذ الحكومة الفاطمية الحيطة للقضاء على مؤامرة النزارية لاغتيال الآمر ، فإن فريقاً منهم كمنوا له بجزيرة الروضة ، ثم انقضوا عليه وقتلوه على مقربة من المقياس فى ذى القعدة سنة ٥٢٤ هـ(١) .

وواجهت الدعوة الفاطمية منذ أوائل القرن السادس الهجرى سواء فى مصر أو بلاد الشرق الإسلامى كثيراً من الصعاب مما جعلها مهددة بالزوال ؛ فقد أدى عـــدم استقرار الأمور فى مصر فى أواخر العصر الفاطمى وانصراف الحكومة الفاطمية عن بذل جهودها لنشر دعوتها إلى إتاحة الفرصة أمام الخلفاء العباسيين - رغم ما كانوا يعانونه من ازدياد سلطان السلاجقة - للقضاء على ما تبقى للفاطميين من نفوذ . وقد حالفهم النجاح فى بلاد العراق وغيرها من بلاد الشرق الإسلامى حيث أضحى النفوذ الفاطمى فى اليمن والحجاز روحياً فقط ، وصار لا يتمثل إلا فى السكة والخطبة .

كذلك كان لوقوف بعض وزراء هذا العصر فى وجه رجال الدعوة فى مصر حتى لا يتيسر لهم الوصول إلى الزعامة أو السلطان ، وعدم حرص رجال الحكومة الفاطمية على الاحتفاظ بمظاهر المذهب الإسماعيلى أثره البالغ فيما أصاب الدعوة الفاطمية فى بلاد الشرق الإسلامى من وهن وانحلال ؛ ولا غرو فقد أصبح التحمس لهذا المذهب ونصرته أو إضعافه ومناهضته تابعاً لرغبة الوزراء وميولهم . وليس أدل على ذلك من أن الوزير الأفضل بن بدر الجمالى ظل مشايعاً المذهب الفاطمى حتى توفى

---

(١) المقريزى خطط ، ج ٢ ، ص ١٨٢ ، أبو المحاسن . النجوم الزاهرة ، ج ٥ ، ص ١٨٥ .

المستعلى وخلفه الآمر سنة ٤٩٥ هـ ، فأخـــذ يميل ميل السنيين[1]. وقد تجلت هذه الظاهرة فى إلغائه الاحتفال بمولد النبى صلى الله عليه وسلم ، ومولد ابنته فاطمة ، وعلى بن أبى طالب ، ومولد الخليفة القائم بالأمر . ولا يخفى علينا أن عمله هذا يؤدى إلى إضعاف نفوذ الفاطميين الذين كانوا يحرصون على الاحتفال بهذه الأعياد لتأييد انتسابهم إلى على بن أبى طالب وزوجته فاطمة بنت الرسول عليه الصلاة والسلام (٢) . ولما استأثر ابنه الوزير أبو على أحمد بن الأفضل بالنفوذ سنة ٥٢٤ هـ ومنع الحـافظ من التصرف فى شئون الدولة وسجنه فى خزانة ، أمر بحذف إسم إسماعيل بن جعفر الصادق من الخطبة وأحل محله إسم محمد المنتظر الإمام الثانى عشر عند طائفة الإمامية ، كما أمر بعدم إضافة عبـارة حى على خير العمل إلى الأذان وزاد فى إضعاف المذهب الإسماعيلى بأن عين سنة ٥٢٥ هـ أربعة من القضاة اثنين من الشيعة ، أحدهما من طائفة الإمامية الاثنى عشرية والآخر من الإسماعيلية ، واثنين مـن السنيين أحدهما شافعى والآخر مالـكى ، وأعطى لـكل منهم السلطة فى إصدار أحكامه وفق مذهبه (٣) . وقد أثارت هذه السياسة التى اتبعها الوزير أبو على أحمد بن الأفضل غضب الإسماعيلية ، وكذلك الأمراء وغيرهم ؛ فدبروا مؤامرة لاغتياله (٤) .

وهكـذا مهدت الأحوال الخارجية والحوادث الداخلية الطريق للقضاء على الدعوة الفاطميـة ، فاضطهد السلاجقة فى بلاد العراق كثيراً من

---

(١) ذكر ابن الأثير (جـ ١٠ ، ص ٢٠٩) أن الاسماعيلية كانوا يكرهون الأفضل ابن بدر الجمالى لأسباب منها : تضييقه على إمامهم ، وتركه ما يجب عندهم سلوكه معهم . ومنها تركه معارضة أهل السنة فى اعتقادهم والنهى عن معارضتهم ، وإذنه للناس فى إظهار معتقداتهم والمناظرة عليها » .

(٢) حسن إبراهيم ، الفاطميون فى مصر ، ٢٧٩ .

(٣) ابن ميسر ، تاريخ مصر ص ٧٥ ، المقريزى . خطط . جـ٢ ص ٢٧١ ، ٣٤٣ .

(٤) حسن ابراهيم . الفاطميون فى مصر ص ٢٣٠ .

الشيعيين ، كما وقفوا من دعاة الإسماعيلية الذين استفحل خطرهم فى بلاد الدولة العباسية موقفاً ينطوى على الحزم والشدة ، فبذلوا جهدهم لإخماد حركاتهم . ولم يكن الخلفاء العباسيون أقل تحمساً منهم فى مقاومة نفوذهم إذ كانوا يرون فى طائفة الإسماعيلية خطراً يهدد الدولة الإسلامية ؛ وفضلا عن ذلك فإن نهوض هؤلاء الخلفاء لاستعادة سلطانهم القديم(١) ، وسعيهم

(١) حاول بعض الخلفاء العباسيين أن يستعيدوا سلطتهم التى استأثر بها السلاجقة وسار الخليفة المسترشد بخطى واسعة فى هذا السبيل ؛ فخرج فى سنة ٥٢٠ هـ على السلطان محمود بن محمد بن ملكشاه السلجوق وهزم قواته ، وكاد يستقل بالأمر لولا المساعدة التى قدمها حاكم البصرة السلطان (ابن الأثير . ج ١٠ ص ٢٧٠ — ٢٧٢) . ولما توفى السلطان محمود سنة ٥٢٥ هـ ، عمل الخليفة المسترشد على استعادة سلطانه فجمع الجيوش لاسترداد ما كان للعباسيين من نفوذ ، واتخذ من الخلاف الذى قام بين أفراد البيت السلجوق فرصة ليستأثر بأمور العراق ؛ وبلغ من جرأته أنه أمر بعدم إقامة الخطبة للسلطان مسعود سنة ٥٢٩ هـ مما أدى إلى الحرب بينهما ، فدارت معركة بين الجيشين العباسى والسلجوق قرب همذان . انتهى الأمر فيها بهزيمة الخليفة وأسره ، ثم قتله نفر من الاسماعيلية بإيعاز من السلطان مسعود سنة ٥٣٧ هـ .

لما آلت الخلافة إلى الراشد بعد وفاة أبيه المسترشد ، تعهد السلطان مسعود فى كتاب شهد فيه بعض القضاة أنه إذا حاول محاربته أو جرد السيف على أصحابه حق عليه الخلع من الخلافة ؛ غير أن الخليفة ما لبث أن اعتذر من عدم استطاعته دفع هذه الأموال لرسول السلطان ، ثم ألب عليه حكام دولته ، فقام الجميع ينادون بمحاربة مسعود وخلعه . ولكن السلطان مسعود ، سرعان ما حاصر بغداد ، واضطر الخليفة إلى الخروج منها هارباً إلى الموصل سنة ٥٣٠ هـ . فدعا السلطان مسعود — بعد دخوله بغداد — العلماء والفقهاء والقضاة والأعيان وحملهم على إقرار محضر بخلع الخليفة الراشد وولى مكانه عمه المقتفى لأمر الله.

لما توفى السلطان مسعود سنة ٥٤٧ هـ ، لم يخلفه فى السلطنة من يستطيع الاحتفاظ بقوة السلاجقة فى العراق ، بل ضعف أمرهم منذ ذلك الوقت . وأخذ الخليفة المقتفى ووزيره ابن هبيرة يعملان على إحياء مجد الخلافة واستعادة نفوذها ، وليس أدل على مبلغ ضعف السلاجقة من أن سليمان شاه بن السلطان محمد بن ملكشاه لم يقدم على دخول بغداد إلا بعد موافقة الخليفة المقتفى ، كما حلف لهذا الخليفة فى اجتماع عقد بداره على النصح والموافقة ولزوم الطاعة ، وأنه لا يتعرض إلى العراق بحال . ولم يبق له من مظاهر السلطة سوى ذكر اسمه فى الخطبة .

وهكذا فقد سليمان شاه الحقوق التى كان يتمتع بها أسلافه ، وأخذ النفوذ السلجوق فى العراق تبعاً لذلك فى الاضمحلال حتى زال نهائياً سنة ٥٩٠ هـ .

(راجع . ابن الأثير ؛ جـ ١١ ص ٣٤ ، ٧٧ ، السيوطى ، تاريخ الخلفاء . ص ٢٨٧ ، ٢٨٩ ، ٢٩٢) .

لإحياء مجد الخلافة ونجاحهم فى تحقيق هذه الأمنية ، ساعد إلى حد كبير على تقوية الشعور الإسلامى ضد الطوائف الشيعية .

ولم تكن حالة الدعوة الإسماعيلية فى مصر مقر الدولة الفاطمية خيراً منها فى بلاد المشرق ؛ فقد تجلى ضعف المذهب الاسماعيلى فى العصر الفاطمى الأخير وانصراف بعض الوزراء عن تأييد هذا المذهب ، بل تعصب بعضهم كعلى بن السلار — وزير الخليفة الظافر — لمذهب السنة ، فأنشأ فى سنة ٥٤٦ بالإسكندرية مدرسة للشافعية ، أسند إدارتها إلى الحافظ السلفى الفقيه الشافعى[١] ؛ وبذلك هيأ السبيل لرجوع المذهب السنى إلى مصر . وقد أدى تعصبه لهذا المذهب ورغبته فى إحلاله بمصر محل المذهب الإسماعيلى إلى حقد الخليفة ورجال دولته عليه ، فقتل بإيعاذ منه[٢]. ومازال المذهب الإسماعيلى آخذاً فى الاضمحلال من الديار المصرية حتى تقلد صلاح الدين يوسف بن أيوب الوزارة للخليفة العاضد الفاطمى سنة ٥٦٤ ﻫ ؛ فوجه اهتمامه — بعد إضعافه سلطة هـــذا الخليفة — إلى القضاء على المذهب الشيعى فى مصر ، فأنشأ مدرسة لتدريس المذهب الشافعى ، وأخرى لتدريس المذهب المالكى ، وعزل قضاة الشيعة ، وعين صدر الدين عبد الله بن درباس الشافعى قاضياً للقضاة فى جميع أنحاء الديار المصرية (٣) ؛ فاستعاد بذلك المذهب السنى قوته ، وأخذ المذهب الشيعى فى الاختفاء تدريجاً حتى لم يبق له أنصار فى مصر .

ولا شك أن هذه العوامل التى تقدم ذكرها وإن كانت قد عجلت بزوال النفوذ الفاطمى ببلاد المشرق . فإنها من ناحية أخرى أفادت الخلافة العباسية ؛ فقد ساعدتها على الاحتفاظ بسيادتها على البلاد الإسلامية .

---

(١) ابن خلكان : وفيات الأعيان ، ج١ ص٦٧ ٤ — ٤٦٨ .

(٢) حسن ابراهيم : الفاطميون فى مصر ، ص ٢٩٦ .

(٣) المقريزى : خطط ، ج٢ ، ٣٤٤ .

الباب السابع

علاقات الفاطميين بالأندلس والمغرب وجزيرة صقلية

(ا) علاقة الفاطميين بالأمويين فى الأندلس.

(ب) علاقة الفاطميين بالزيريين فى المغرب.

(جـ) الفاطميون وجزيرة صقلية

الباب السابع

علاقات الفاطميين بالأندلس والمغرب وجزيرة صقلية

(أ) علاقات الفاطميين بالأمويين فى الأندلس :

أخذ عبيد الله المهدى منذ أن استقرت خلافته فى إفريقية ، يبعث بدعاته إلى بلاد الأندلس لنشر الدعوة الفاطمية . لكن الجهود التى بذلت فى هذا السبيل لم تكلل بالنجاح حتى عهد المعز لدين الله ؛ فلم تجذب تلك الدعوة إليها إلا فريق ضئيل من رجال الفكر الأندلسيين(١) .

ولا شك أن قيام الخلافة الفاطمية فى إفريقية ونشاط دعاتها فى نشر المذهب الشيعى ، أصبح خطراً يهدد كيان الأمويين بالأندلس ؛ ولذلك وجه عبد الرحمن الناصر منذ ولى الحكم فى الأندلس سنة ٣٠٠ هـ اهتمامه إلى الوقوف فى وجه الفاطميين والقضاء على أطماعهم ؛ فعمل على إعداد أسطول قوى ، بلغ عدد قطعه نحو مائتى مركب(٢) ، ليستعين به فى صد هجمات الأسطول الفاطمى ، كما حرص على اجتذاب أنصار له من بين قبائل الزناتيين المعادية للفاطميين فى المغرب .

ولما وقف عبيد الله المهدى على خطورة السياسة التى يتبعها عبد الرحمن الناصر ضده ، أمر قائده مصالة بن حبوس بمحاربة الزناتيين سنة ٣١٢ هـ ؛ فخرج مصالة من تاهرت والتقى بقوات محمد بن خزر زعيم قبيلة مغراوه ، فى معركة عنيفة ، انتهت بمقتل مصالة وهزيمة جيشه(٣) .

---

(١) عبد العزيز سالم: المغرب الكبير (العصر الإسلامى) ص ٦٠٨

(٢) ابن خلدون : العبر وديوان المبتدأ والخبر . جـ١ . ص٢١١ .

(٣) ابن عذارى . البيان المغرب فى أخبار المغرب . جـ ١ . ص ٢٦٦ .

وكان عبد الرحمن الناصر وقتذاك قد استولى على سبتة ، وعزم على اتخاذها قاعدة حربية للسيطرة على بلاد المغرب الأقصى ، ومحاربة واليها موسى بن أبي العافية . غير أن هذا الوالى لم يلبث أن اضطر بعد أن تحرج مركزه إلى خلع طاعة عبيد الله المهدى ، والدخول فى طاعة عبد الرحمن الناصر الأموى بالأندلس . وفى ذلك يقول ابن خلدون(١) : « ثم انتقض موسى بن أبي العافية عامل فاس والمغرب وخلع طاعة الشيعة ، وانحرف إلى الأموية من وراء البحر ، وبث دعوتهم فى أقطار المغرب » .

ولما علم عبيد الله المهدى بانضواء موسى بن أبي العافية تحت لواء عبد الرحمن الناصر ، جهز جيشا وسيره إلى المغرب الأقصى بقيادة عامله على تاهرت حميد بن يصال ، فأوقع الهزيمة بموسى ، وتمكن من دخول فاس سنة ٣٢١ هـ وأعاد الدعوة فيها لعبيد الله المهدى ؛ لكنها لم تلبث أن أقيمت بعد وفاته باسم الخليفة الناصر الأموى .

اتخذ العداء بين الدولة الفاطمية والدولة الأموية بالأندلس مظهرا قويا فى عهد المعز لدين الله ؛ فلم يمض سنتان على توليته الخلافة حتى هاجمت إحدى السفن الأندلسية سفينة فاطمية كانت تحمل رسولا من قبل الحسن ابن على والى صقلية ؛ فجهز المعز أسطولا ، سيره إلى الأندلس بقيادة هذا الوالى سنة ٣٤٤ هـ . فلما وصل المرية ، هاجم مرساها ، وأحرق الجند جميع ما فيه من السفن ، ثم دخلوا المدينة وعاثوا فيها نهبا وقتلا ، وعادوا بعد ذلك إلى المهدية(٢) .

وبلغ من شدة العداء بين الأمويين فى الأندلس والفاطميين فى المغرب ،

---

(١) ابن خلدون : العبر وديوان المبتدأ والخبر . ج٤ . ص٣٩ — ٤٠ .

(٢) ابن الأثير الكامل فى التاريخ . ج ٨ . ص١٧٠ ، انظر أيضا : النعمان : كتاب « المجالس والمسايرات » : ج١ . ص٣٢٥ — ٣٢٦ .

أن عمد عبد الرحمن الناصر الخليفة الأموى بالأندلس إلى توطيد علاقته بأعداء الخلافة الفاطمية ؛ فتحالف سنة ٣٤٤ هـ مع الإمبراطور البيزنطى قسطنطين الثامن الذى كان يطمع فى استرداد صقلية من أيدى الفاطميين(١). كما أمر بلعن الخليفة الفاطمى من منابر بلاد الأندلس ؛ وكتب بذلك إلى جميع عماله(٢).

على أن عبد الرحمن الناصر لم يلبث أن أنفذ أحد رسله إلى حاضرة الخلافة الفاطمية بالمغرب ، ومعه كتاب إلى بعض رجال المعز ، يطلب فيه الموادعة والصلح ؛ فرفض المعز إجابة طلبه ، وقال لرسول الناصر(٣): « . . . وأما ما دعا إليه من السلم والكف والموادعة والصلح ، وهو يزعم أنه أمير المؤمنين ، — كما تسمى دون من سلف من آبائه — ، وإمام الأمة بدعواه وانتحاله . ونحن نقول : إننا أهل ذلك دونه ودون سواه ... »

« ما أنا بالمداهن فى دين الله ، ولا بالراكن بالمودة إلى أعداء الله ، ولا بالخادع فى أمر من أمور الله عز وجل . إرجع بجوابى هذا إليه ، فما له عندى سواه ، وما لى من الأمر من شىء ، إن الأمر كله لله ، عليه توكلت وإليه أنيب ... »

أخذ عبد الرحمن الناصر — برغم عدم استجابة المعز لطلب الصلح معه ، يوالى إنفاذ رسله ورسائله إليه ، رغبة فى مصالحته . لكن المعز كان يدرك ما يرمى إليه الناصر من وراء هذه المكاتبات ؛ فقال : « إنما أراد هذا الفاسق أن يقطع الزمان بهذه المراسلة والمكاتبة بيننا وبينه(٤) » .

---

(١) Dozy, Hist. des Musulmans d' Espagne, T.II, p.159

(٢) ابن عذارى . البيان المغرب جـ٢ . ص٢٣٦ .

(٣) النعمان ، كتاب « المجالس والمسايرات » جـ١ ص٢٣٠ — ٢٣٤

(٤) نفس المرجع . جـ١ ص٢٣٨ .

شرع عبد الرحمن الناصر ـ بعد أن أعرض المعز عن عقد الصلح معه ـ فى إعداد قواته البرية والبحرية ؛ ثم سير هذه القوات لمهاجمة البلاد الخاضعة لسلطان الفاطميين بالمغرب ، فأوقعت الهزيمة بالقوات الفاطمية التى تصدت لها سنة ٣٤٦ هـ . وكان ذلك مما أثار سخط أهالى بلاد المغرب الأقصى على الفاطميين ؛ فجهز المعز جيشا ضخما ، لاستعادة سلطان الخلافة الفاطمية على تلك البلاد ، أسند قيادته إلى جوهر الصقلى ، الذى مضى فى فتح مدن المغرب حتى استرد سجلماسة وفاس . ولكنه عجز عن الاستيلاء على سبتة وطنجة (١) .

ولما توفى عبد الرحمن الناصر سنة ٣٥٠ هـ ، وخلفه ابنه الحكم المستنصر ، استمر النزاع قائما بين الفاطميين والأمويين بالأندلس . وكان من مظاهره تلك الحملة التى أرسلها الحكم سنة ٣٦٢ هـ إلى بلاد المغرب الأقصى والأوسط للقضاء على الدعوة الفاطمية التى قويت شوكتها فى ذلك الوقت . ولم تلبث هذه الحملة أن تمكنت من بسط سلطان الخليفة الأموى على تلك البلاد . وخرج زعماء زناتة من مغراوة ومكناسة على طاعة المعز لدين الله الفاطمى ، وأقاموا الدعوة للحكم المستنصر من منابرهم(٢).

لم ينته العداء بين الفاطميين والأمويين فى الأندلس بعد وفاة المعز سنة ٣٦٥ هـ ؛ ويتبين لنا ذلك مما رواه ابن خلكان(٣) ؛ فقد ذكر أن الحكم المستنصر بن عبد الرحمن الناصر لدين الله ، تلقى من العزيز الخليفة الفاطمى بمصر كتابا ، يسبه فيه ويهجوه ؛ فكتب إليه الحكم المستنصر : « قد عرفتنا فهجوتنا ، ولو عرفناك لأجبناك » .

---

(١) السلاوى الاستقصا لأخبار المغرب الأقصى ج١ ص٨٦ — ٨٧ ، حسن ابراهيم وطه شرف . كتاب « المعز لدين الله » ص٤٣ — ٤٤

(٢) ابن خلدون . العبر وديوان المبتدأ والخبر ج ٤ ص ١٤٦

(٢) وفيات الأعيان . ج ٢ ص ١٥٢ .

كان الأمويون فى الأندلس يتحينون الفرص للقضاء على الخلافة الفاطمية الشيعية فى مصر ؛ وتجلى ذلك فى الثورة التى قام بها رجل يقال له أبو ركوة[١] وهو من ذرية هشام بن عبد الملك بن مروان ، نزح إلى برقة واستقر بين قبيلة بنى قرة على أثر استبداد المنصور بن أبى عامر بالسلطة دون الخليفة هشام المؤيد بالله الأموى ، وهنـاك افتتح له مكتبا يعلم فيه الصبيان القراءة والكتابة ، كما اجتذب الناس إليه بورعه وذلاقة لسانه ونبل أخلاقه .

ولمـا رأى أبو ركوة أن الفرصة قد سنحت لإظهار شخصيته دعا إلى عمه هشام المؤيد الخليفة الأموى بالأندلس ؛ فلقيت دعوته قبولا حسنا من نفوس البدو فى أنحاء برقة ، كما استجاب إليه بنو قرة الذين كانوا ساخطين على الخليفة الحاكم بأمر الله الفاطمى لإسرافه فى قتل زعمائهم وكبرائهم . ولم يلبث أن سار على رأس جيش كبير ؛ وأوقع الهزيمة بجند الحاكم ، ومن ثم تيسر له بسط سلطانه على برقة سنة ٣٩٥ هـ ، وأمر بحذف اسم الحاكم من الخطبة وتلقب بالثائر بالله ، وضرب السكة باسمه ، وأظهر الرفق والعدل فى معاملة أهالى هذه الولاية ، فهرعت إليه الوفود لتأييده .

ولمـا وصل إلى الخليفة الحاكم نبأ ما قام به أبو ركوة فى برقة ، أعد العدة لمحاربته ؛ فجهز جيشا كبيرا مكونا من خمسة آلاف فارس تحت قيادة « ينال الطويل » — أحد قواد الأتراك — ؛ غير أن هـذا الجيش ما لبث أن هزم بسبب استياء الجند المغاربة من قائدهم التركى وخروجهم على طاعته ، كما وقع ينال أسيراً وقتل واستولى أبو ركوة على مائة ألف دينار كانت معه ، فاستفحل بذلك أمره وزادت هيبته ، وأخذ يتطلع إلى امتلاك مصر .

---

(١) سمى بذلك لأنه كان يحمل ركوة (وعاء من الجلد) لوصوله على عادة الصوفية .

لم يكن يعلم الحاكم بما استقر عليه رأى أبى ركوة من الزحف على مصر ، حتى شعر بفداحة الخطر الذى يهدد ملكه ، فسير لمحاربة أبى ركوة جيشا ضخما قوامه الجنود الشامية والغلمان الحمدانية تحت قيادة الفضل ابن عبد الله فى ربيع الأول سنة ٣٩٦ هـ ؛ فالتقى الفريقان بالقرب من الاسكندرية حيث دارت بينهما معارك شديدة ، ارتد بعدها الفضل صوب القاهرة ، ثم واصل أبو ركوة زحفه حتى وصل صحراء الفيوم ، فتبعه الفضل بقواته وأوقع به الهزيمة ، وظل يطارده حتى حدود النوبة حيث ظفر به رئيس ربيعة أبو المكارم هبة الله . وانتهى أمر أبى ركوة بقتله(١) .

---

(١) أبو المحاسن . النجوم الزاهرة ج٤ . ص ٢١٥ ـ ٢١٧ .

(ب) علاقة الفاطميين بالزيريين في المغرب

لما عزم المعز لدين الله الفاطمي على الرحيل إلى مصر سنة ٣٦١ هـ، عهد بولاية إفريقية والمغرب إلى بلكين بن زيرى بن مناد الصنهاجي؛ وقال له(١): « إن نسيت ما وصيتك به، فلا تنس ثلاثة أشياء، لا ترفع الجباية عن أهل البلاد، ولا ترفع السيف عن البربر، ولا تول أحدا من إخوتك وبنى عمك، فإنهم يرون أنهم أحق بهذا الأمر منك، واستوص بالحضر خيراً ».

ظل بلكين بن زيرى مواليا للفاطميين بعد رحيلهم إلى مصر، فلما توفى خلفه ابنه الفتح المنصور. وكان يزمع الاستقلال عن الخلافة الفاطمية، ويتجلى لنا ذلك من قوله لشيوخ القيروان الذين قدموا إليه لتهنئته بالإمارة(٢): « إن أبي يوسف وجدى زيرى كانا يأخذان الناس بالسيف، وأنا لا آخذهم إلا بالإحسان، ولست ممن يولى بكتاب ويعزل بكتاب(٣)، لأني ورثته عن آبائي وأجدادي ... »

ولما وقف الخليفة العزيز بالله على رغبة هذا الأمير في الاستقلال بالبلاد التي يحكمها، عمل على إثارة قبائل البربر عليه؛ فأرسل سنة ٣٧٦ هـ داعيا من قبله يدعى أبو الفهم الخراساني إلى قبائل كتامه ليدعوهم إلى طاعته. وكان الخليفة الفاطمي، يرمى من وراء ذلك إثارة قبائل كتامة على أمراء بنى زيرى. فلما قدم عليهم هذا الداعي، التفوا حوله وكون منهم جيشاً، زوده

---

(١) ابن عذارى: البيان المغرب. جـ١. ص ٢٦٣، المقريزى اتعاظ الحنفا ص ١٤٤ - ١٤٥.

(٢) ابن عذارى: البيان المغرب جـ١. ص ٣٤٣، ابن الأثير. الكامل في التاريخ جـ٩. ص١٢

(٣) يعنى أن الخليفة بمصر لا يقدر على عزله.

بالسلاح ، فاستاء المنصور من نشاط هذا الداعى ، وكتب إلى الخليفة العزيز بذلك ، فأرسل إليه العزيز ، ينهاه عن التعرض له . لكن المنصور لم يصغ لقوله وعول على محاربة كتامة ، ثم زحف بجيوشه سنة ٣٧٨هـ إلى بلادهم ، واشتبك معهم فى موقعة ، انتهت بانتصاره عليهم(١). أما فيما يتعلق بالداعى أبى الفهم فإن المنصور ظل يتعقبه حتى قبض عليه وقتله . ولما بلغ ذلك العزيز ، أدرك أن خطته التى تنطوى على إضعاف شأن الأمير منصور ، باءت بالفشل ؛ ومن ثم آثر سياسة التودد إليه(٢) .

اتبع الخليفة الحاكم بأمر الله سياسة أبيه العزيز مع أمير زيرى فى بداية عهده . لكنه رأى — بعد أن بلغه أن الأمير نصير الدولة باديس يعمل على الاستقلال عن الخلافة الفاطمية — أن يثير الصعاب فى وجهه ؛ فأمر يانس العزيزى — واليه على برقة — بالمسير إلى طرابلس سنة ٣٩٠هـ، والاستيلاء عليها ، — وكانت وقتذاك تابعة لباديس — ، فمضى يانس فى سيره إليها . غير أن قوات باديس مالبثت أن تصدت له ؛ ودارت بين الفريقين معركة ، أسفرت عن هزيمة الجيش الفاطمى وقتل يانس(٣) .

رأى الخليفة الحاكم بأمر الله الفاطمى، بعد تلك الهزيمة التى لحقت بجيش يانس العزيزى أن يعمد إلى حيلة أخرى ، لعله يصل من ورائها إلى إضعاف نفوذ بنى زيرى فى المغرب الأدنى ؛ فأثار قبيلة زناته ضد باديس ، وحثها على التقدم إلى طرابلس والاستيلاء عليها ، فاستجابت له ، وأنفذت جيشا إلى طرابلس . لكن باديس مالبث أن زحف إليها على رأس جيش كبير ، وتمكن من دخولها فى شعبان سنة ٤٠٠ هـ ، واضطر قائد زناته إلى طلب العفو

---

(١) ابن الأثير . الكامل فى التاريخ جـ٩ ص١٨

(٢) انظر ابن عذارى . البيان المغرب جـ١ ص ٢٣٩ ، ٢٥٣

(٣) عبد العزيز سالم : المغرب الكبير ص ٦٥٥

والأمان منه ، فأجاب طلبه ، وبذلك احتفظ باديس بسلطاته على البلاد التابعة له ، الأمر الذى حمل الخليفة الحاكم بأمر الله على العودة إلى سياسة التودد مع أمراء بنى زيرى التى اتبعها أبوه العزيز من قبل ؛ فأرسل إلى الأمير باديس هدية سنة ٤٠٣ هـ كما أمر بإضافة برقه وأعمالها إليه(١) ؛ وسادت العلاقات الودية بينه وبين هذا الأمير منذ ذلك الوقت .

استمر النفوذ الفاطمى سائداً فى إفريقيـــة حتى ولى إمارة بنى زيرى المعز بن باديس الصنهاجى — وكان منحرفا عن مذاهب الشيعة ويعتنق مذهب السنة — « فحمل جميع أهل المغرب على التمسك بمذهب الإمام مالك ابن أنس رضى الله عنه ، وحسم مادة الخلاف فى المذاهب(٢) . » . وعلى الرغم من انحراف هذا الأمير عن المذهب الإسماعيلى الذى يدين به الفاطميون ، فإن الخليفة الحاكم بأمر الله لم يظهر اعتراضه على سياسته المذهبية ؛ بل عمل على استجلاب محبته ، فخاطبه بشرف الدولة فى سجل أرسله إليه سنة ٤٠٧ هـ(٣) ، كما أوفد إليه رسولا سنة ٤١١ هـ ومعه بعض الهدايا .

ولما جاء الخليفة الظاهر لإعزاز دين الله ، اقتدى بأبيه الحاكم فى الاحتفاظ بعلاقات ودية مع الأمير المعز بن باديس ، فزاده سنة ٤١٤ هـ لقباً(٤) ، وصار يعرف بشرف الدولة وعضدها ، وبعث إليه بالهدايا(٥) .

على أن علاقة هذا الأمير بالفاطميين فى مصر ما لبثت أن تبدلت فى

(١) ابن عذارى . البيان المغرب جـ١ . ص٣٧٣ ، ٣٧٤

(٢) ابن خلكان . وفيات الأعيان جـ٢ . ص ١٣٧

(٣) ابن عذارى . البيان المغرب جـ ١ . ص٣٨٨ — ٣٨٩

(٤) عبد العزيز سالم . المغرب الكبير ص ٦٥٩

(٥) ابن عذارى . البيان المغرب جـ١ . ص٣٩٢

أوائل عهد المستنصر بالله ؛ فأعلن سنة ٤٤٠هـ خروجه على طاعة هـذا الخليفة، وأمر بحذف اسمه من الخطبة والسكة والطرز ، وأقام الخطبة للقائم بأمر الله العباسي[1] (٤٢٢ - ٤٦٧هـ) ، كما أمر بلبس السواد شعار العباسيين وأعد أعلاماً سود وملابس سوداء لرجال الدولة[2] .

استاء الخليفة المستنصر بالله الفاطمي من خروج المعز بن باديس عليه وإقامته الخطبة للخليفة العباسي ، وعول على الانتقام منه . فأشار عليه الوزير أبو محمد الحسن بن علي اليازوري بأن يستعين بقبائل بني هلال[3] الذين استقروا في صعيد مصر - في محاربة بني زيري ، فإذا ما انتصروا عليهم وأصبحوا أعوانا للدعوة وعمالا للدولة في إفريقية . وإذا هزموا ضعف أمرهم وتخلصت الخلافة من عدوانهم فلقي هـذا الرأي قبولا من نفس المستنصر ، وعهد الوزير اليازوري إلى أمير الأمراء مكين الدولة أبي علي الحسن بن ملهم - الذي اشتهر بحسن رأيه وكياسته[4] - بالمسير إلى هذه القبائل بخلع سنية وأموال ؛ فوزعها عليهم ؛ ثم أباح لهم الوزير الفاطمي إجازة النيل ، وقال لهم : قد أعطيتكم المغرب وملك المعز بن بلكين الصنهاجي ، العبد الآبق ، فلا تفتقرون[5] . فسار بنو هلال إلى برقة ؛ ولما نزلوا بها فتحوا أمصارها واستباحوها ، ثم مضوا في سيرهم إلى إفريقية ، فالتقوا بجيوش المعز بن باديس التي كانت تضم عناصر من العرب والبربر

---

(١) انظر ابن الأثير الكامل في التاريخ . جـ ٩ ص ١٨٠ ، ابن خلدون جـ ٦ ص ١٥٩

(٢) ابن عذاري . البيان المغرب ص ٤١٥

(٣) تضم هذه القبائل أحياء من جشم وزغبة ورياح وربيعة وعدي . ولم يكونوا على وفاق فيما بينهم ، بل استمرت الحروب بين بعضهم مما جعل البلاد التي يقيمون فيها تتعرض لكثير من عبثهم . وفي ذلك يقول ابن خلدون «جـ ٦ ص ١٤» « وقد عم ضررهم وأحرق البلاد والدولة شررهم » .

(٤) عبد العزيز سالم . المغرب الكبير ص ٦٦٧

(٥) ابن خلدون . جـ٦ ص ١٤

والعبيد ، ودارت الحرب بين الفريقين فى ذى الحجة سنة ٤٤٢ هـ . لكن حدث أثناء القتال أن جند العرب الذين كانوا مع المعز استهوتهم العصبية العربية ، فانصرفوا عنه وآثروا الانضمام إلى عرب بنى هلال ، كما خذله أنصاره من زناته وصنهاجه ؛ فحلت به الهزيمة فى موقعة حيدران(١) . ونجا بنفسه مع بعض أتباعه إلى القيروان(٢) .

على أن بنى هلال مالبثوا أن تعقبوا ابن باديس ؛ فقصدوا القيروان وحاصروها ، وأخذوا يعيثون فيها فسادا ، وخربوا عمرانها ، كما أتوا على معالمها مما اضطر أهلها إلى الرحيل عنها(٣) .

ضعف منذ ذلك الوقت شأن بنى زيرى ؛ فأشار المعز بن باديس على رعاياه بالانتقال إلى المهدية ، واتخذها مقراً له(٤) . ولم يزل مقيما بها حتى توفى سنة ٤٥٤هـ ، فخلفه ابنه تميم الذى تقلص فى عهده ملك بنى زيرى حتى لم يعد يجاوز جزءاً من الساحل يحيط بالمهدية(٥) .

أما عن الخلافة الفاطمية فإنها لم تلبث أن واجهت كثيرا من الصعاب سواء فى مصر أو أقطار الشرق الإسلامى التى امتد نفوذها إليها . لذلك تعذر عليها الاحتفاظ بسيادتها على بلاد المغرب . وظلت الخطبة تقام للعباسيين فى هذه البلاد حتى قامت دولة الموحدين فى أوائل القرن السادس الهجرى وقطع أميرها عبدالمؤمن بن على الدعوة للخليفة العباسى المقتفى(٦)

---

(١) عبد العزيز سالم . المغرب الكبير ص ٦٦٩ ، ابن خلدون جـ٦ ص ١٠
(٢) ابن الأثير . الكامل فى التاريخ جـ٩ . ١٩٦
(٣) ابن خلدون جـ٦ ص ١٠
(٤) ابن الأثير الكامل فى التاريخ . جـ٩ ص ١٩٧
(٥) تاريخ الدولة الفاطمية ص ٢٠٤
(٦) انظر . أبو المحاسن النجوم الزاهرة جـ ٥ ص ٥١

وأخذ يوسع ملكه في شمال إفريقية فاستولى على مراكش سنة ٥٤٢ هـ. ثم تقدم شرقا. فبسط سلطانه على إقليمي الجزائر وتونس. وظل يتابع زحفه حتى حدود مصر الغربية فاستولى على طرابلس وبرقة. وبعد أن تم لعبد المؤمن فتح هذه البلاد، عاد أدراجه إلى المغرب الأقصى وأدركته الوفاة سنة ٥٥٨ هـ (١١٦٣ م).

(ب) الفاطميون وجزيرة صقلية

يرجع اهتمام المسلمين بجزيرة صقلية إلى عهد معاوية بن أبي سفيان ، فحاولوا غزوها أكثر من مرة وبخاصة فى القرن الثانى الهجرى دون أن يظفروا بفتحها . فلما ولى زيادة الله بن إبراهيم بن الأغلب إمارة الأغالبة فى إفريقية فى عهد الخليفة المأمون العباسى ، أعد جيشا وأسطولا ، يتألف من مائة مركب لغزوها بقيادة قاضى القيروان أسـد بن الفرات سنة ٢١٢ هـ[1]. وقد تمكن المسلمون من الاستيلاء على بعض حصون الجزيرة ومدنها ، لكنهم سرعان ما كانوا يتخلون عنها تحت ضغط الروم ، وظلوا على هذه الحال حتى توفى زيادة الله بن الأغلب سنة ٢٢٣ هـ ، فأخذ بعض أمراء الأغالبة من بعده فى تسيير الحملات والسرايا إلى صقلية لإتمام فتحها[2]. واستطاع المسلمون بعد أن قضوا ما يقرب من خمسين عاما فى محاربة الروم فى هذه الجزيرة ، أن يستولوا على بعض ثغورها ومدنها ، نذكر من بينها : بلرم ، وقصريانه ، ومسينا ، وقطانيـه ، وطرميس[3]. وكانت سرقوسه التى تعد من أمهات مدن صقلية ، آخر معقل سقط فى أيديهم فى عهد إبراهيم الثانى بن الأغلب سنة ٢٦٤ هـ[4].

أصبحت جزيرة صقلية منذ أن تيسر للمسلمين فتحها فى مستهل القرن الثالث الهجرى ، ولاية يتناوب حكمها ولاة من قبل أمراء الأغالبة ، واستمر الحال على ذلك إلى أن زحف أبو عبد الله الشيعى داعى الفاطميين ببلاد

---

(١) انظر : أمارى : المكتبة الصقلية . جـ١ . ص٤٢٧ ـ ٤٢٩

(٢) انظر : ابن الأثير : الكامل فى التاريخ جـ٦ ص١٦٧ ، جـ٧ ص٢، ١٩، ٢٠

(٣) ابن خلدون : جـ٤ . ص ٢٠٠ ـ ٢٠٣

(٤) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ جـ٧ ، ص١٠٥ـ١٠٦ ، تاريخ الإسلام السياسى . جـ ٣ ص ٢٧٣ ، ٢٧٦

المغرب على إفريقية وتمكن من الاستيلاء على كثير من مدنها سنة ٢٩٥ هـ، ثم التقت قواته بأصحاب زيادة الله الثالث آخر أمراء الأغالبة ، فى جمادى الآخرة سنة ٢٩٦ هـ ؛ فأوقعت بهم الهزيمة(١). واضطر هذا الأمير إلى الرحيل عن إفريقية والفرار إلى مصر ، بعد أن حمل معه ما خف وزنه وغلا ثمنه(٢). وفى مستهل رجب من هذه السنة ، دخل أبو عبدالله الشيعى رقادة، ونزل ببعض قصورها(٣). وبذلك زال نفوذ بنى الأغلب فى إفريقية .

ولما بلغ أهل صقلية ما أحرزه أبو عبدالله الشيعى من نصر على الأغالبة، ثاروا على واليهم السنى الحسن بن رباح وولوا بدله على بن أبى الفوارس سنة ٢٩٦هـ ، وكتبوا إلى داعى الفاطميين يطلبون منه أن يقرهم على مافعلوا، فأجاب طلبهم(٤) . غير أن عبيدالله المهدى - أول الخلفاء الفاطميين المغرب - مالبث أن عزل هذا الوالى وعين الحسن بن محمد بن أبى خنزير الكتامى محله سنة ٢٩٧ هـ . لكنه لم يستمر طويلا فى الولاية ؛ فقد ثار به السنيون من أهل صقلية لإساءته معاملتهم وحبسوه(٥) . فولى عبيد الله المهدى مكانه على بن عمر البلوى . ولم يكن أقل تعسفاً من سلفه ، فخرج أهل الجزيرة على طاعته - وبخاصة العناصر العربية التى ساءها أن يولى عليهم الفاطميون واليا من البربر - ، ووقع اختيار زعمائهم سنة ٣٠٠ هـ على أحمد بن قرهب(٦) - وكان عربيا - ؛ غير أن هذا الوالى لم تطل ولايته ، فقد ثار به الجند بسبب طموحه إلى تدعيم نفوذه بصقلية . ولم يلبث أن انحرف عن الفاطميين وأعلن ولاءه المقتدر العباسى ، فأقام له الخطبة بدلا من

(١) المقريزى : اتعاظ الحنفا ، ص ٨٦-٨٧

(٢) ابن عذارى : البيان المغرب ، ج١ ، ص ٢٠١

(٣) المقريزى : اتعاظ الحنفا ، ص ٨٧

(٤) انظر : أمارى : المكتبة الصقلية ج١ ، ص ٤٢٤

(٥) ابن خلدون : ج٤ ، ص ٢٠٧

(٦) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ، ج٨ ، ص ٢٣

عبيد الله المهدى ولم يكتف بذلك ، بل أنفذ أسطوله لمهاجمة سواحل بلاد المغرب واستطاع فى بادىء الأمر أن يوقع الهزيمة بالأسطول عند ساحل إفريقية . لكن الفاطميين سرعان ماضاعفوا جهدهم فى إعداد أسطولهم وأحلوا الهزيمة بقوات ابن قرعب حين شرعت فى مهاجمة إفريقية ، وقبضوا عليه وأرسلوه إلى المهدى حيث قتل(١) . وهكذا قضى على أول محاولة ترمى إلى إعادة صقلية إلى حكم العباسيين ، واستعاد الفاطميون سيادتهم عليها .

لم تستقر الحالة فى صقلية بعد أن ولى عبيد الله المهدى الخلافة ؛ فكثيراً ما كانت تقع المنازعات بين أهلها من المسلمين ، فيعزلون ولاتهم ويعينون من يشاؤون ؛ ولذلك استقر رأى هذا الخليفة على إرسال جيش مع الوالى يدفع عنه خطر الثائرين ، فضلا عن اتخاذه وسيلة لقمع الولاة إذا ماحدثتهم أنفسهم بالخروج على طاعته(١) .

وكان الفاطميون يحرصون على الاحتفاظ بسيادتهم على هذه الجزيرة ، لاتخاذها قاعدة لأسطولهم فى البحر المتوسط ، لصد الحملات التى يوجهها الروم نحو إفريقية(٢) ؛ ومن ثم استمروا فى إرسال ولاتهم إليها حتى قامت ثورة أبى يزيد مخلد بن كيداد فلما قضى على هذه الثورة ، عين المنصور الفاطمى الحسن بن على الكلبى والياً على صقلية سنة ٣٣٦ هـ(٣). وفى عهده تفاقم النزاع بينه وبين مسيحى صقلية الذين لجأوا إلى قسطنطين السابع إمبراطور الدولة البيزنطية لنجدتهم ؛ فلبى طلبهم وأنفذ قواته إلى صقلية

(١) ابن خلدون : ج ٤ ، ص ٢٠٧ ؛ حسن ابراهيم وطه شرف : كتاب « عبيد الله المهدى » ، ٢٠١ـ٢٠٢

(٢) انظر : ابن الأثير : الكامل فى التاريخ جـ٨ ، ص ٢٣ـ٢٤

(٣) تاريخ الدولة الفاطمية ، ص ٩٩

(٤) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ جـ٨ ، ص ١٠٦ ، ابن خلدون ، جـ٤ ، ص ٢٠٨

حيث اشتبكت مع قوات الحسن الكلبي وحلت الهزيمة بالجيش البيزنطي؛ واضطر الإمبراطور إلى طلب الصلح[١].

على أن الإمبراطور البيزنطي لم يحترم شروط الصلح الذى عقده مع الحسن الكلبي، وأرسل إلى صقلية سنة ٣٤٥ هـ (٩٥٦ م) حملة تمكنت من فتح بعض مدنها. لكن الروم لم يتمتعوا بثمار هذه الانتصارات التي أحرزوها في صقلية، وانسحبوا إلى قلورية[٢] (Calabria).

لم تنعم جزيرة صقلية بالاستقرار من جراء تهديد البيزنطيين لها في عهد المعز؛ فقد قامت بها الحرب بين الجيوش الفاطمية وأنصار البيزنطيين، واستطاع واليها أحمد بن الحسن الكلبي سنة ٣٥١ هـ أن يستولى على قلعة طبرمين — وهي من قلاعها المنيعة — ، ثم طرد منها أهلها وأحل محلهم جماعة من المسلمين، وأطلق عليها اسم المعزية[٣] نسبة إلى المعز لدين الله، وتبع ذلك استسلام بعض المدن للجيش الفاطمى على حين استنجدت مدن أخرى بالإمبراطور البيزنطى نقفور فوكاس؛ فجهز قوات برية وبحرية وسيرها لمحاربة الفاطميين في صقلية. وبذل والى هذه الجزيرة من ناحيته جهوداً كبيرة في سبيل إعداد الأسطول والجيش لصد القوات البيزنطية، كما أمده الخليفة المعز ببعض النجدات؛ ولكن البيزنطيين تمكنوا رغم ذلك من الاستيلاء على بعض مدن صقلية سنة ٣٥٣ هـ[٤] (٩٦٤ م).

استمرت الحرب سجالا بين قوات الفاطميين في صقلية وقوات البيزنطيين التي تفوقها في العدد. وقد تمكن الجند الفاطمي أن يثبتوا أمام تلك القوات،

---

(١) ابن خلدون: جـ٤، ص ٢٠٩.

(٢) انظر: كتاب «المعز لدين الله» ص ٥٣

(٣) ابن الأثير. الكامل في التاريخ، جـ٨، ص ١٧٩

(٤) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، جـ٨، ص١٨٣

كما أن القائد الفاطمي الحسن بن عمار استطاع بعد أن نظم جيشه أن يلتقي بالقائد البيزنطي مانويل ويقضي عليه ، وفر جنده هاربين ، وبذلك حلت الهزيمة بالبيزنطيين ، وأخذ المسلمون في صقلية يتعقبونهم حتى وقع في أيديهم كثير من الأسرى والسبي ، وغنموا منهم مغانم كثيرة . ثم مضى أحمد ابن الحسن الكلبي – والي صقلية – إلى مسينا ليقضي على فلول البيزنطيين ؛ فوجدهم قد رحلوا عنها ؛ فلحق بهم وانتصر عليهم في موقعة المجاز [1] سنة ٣٥٤ هـ[2].

أما عن الحالة الداخلية في جزيرة صقلية ؛ فإن المعز أبقى أحمد بن الحسن الكلبي واليا عليها حتى سنة ٣٥٨ هـ ، ثم ولى مكانه « يعيش » مولى الحسن الكلبي . ويظهر أن الخليفة الفاطمي كان يرى إقصاء الكلبيين عن الحكم في هذه الجزيرة حتى لا يستبدوا بأمورها . لكنه لم يلبث أن عدل عن هذه السياسة ؛ فأسند إليهم بعض المناصب الكبرى ، وولى أبا القاسم بن الحسن الكلبي ولاية صقلية في منتصف سنة ٣٥٩ هـ[3] ؛ فرحب به أهلها ، واتفقوا على طاعته ، واستقرت بذلك الأمور في الجزيرة

ولما انتقل المعز لدين الله إلى مصر واتخذها مقراً لخلافته سنة ٣٦٢ هـ ، لم يجعل لوالي إفريقية والمغرب حكما على صقلية ، بل صار يلي أمورها وال مستقل من قبل الخليفة الفاطمي ، أجيز له الرجوع إليه في تصريف شئون ولايته .

أخذ النفوذ الفاطمي في جزيرة صقلية في الضعف من أواخر القرن

---

(١) يقصد به الخليج الذي يفصل بين صقلية وإيطاليا

(٢) ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، جـ ٨ ، ص ١٨٣ ـ ١٨٤ ، كتاب « المعز لدين الله » ص ٨٥ ـ ٩٥

(٣) ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، جـ ٨ ، ص ١٠٢ ، كتاب « المعز لدين الله » ص ٦٣

الرابع للهجرى ، وغدت علاقة الخلفاء الفاطميين بهذه الجزيرة مقصورة على إرسال الولاة إليها لإدارة شئونها . لكن بعض هؤلاء الولاة مثل أحمد الأكحل أثار الانقسام بين المسلمين من أهلها بسبب التفرقة فى معاملتهم ، فاضطر جماعة منهم إلى المسير إلى المعز بن باديس أمير إفريقية سنة ٤٢٧هـ ، وشكوا إليه ما حل بهم ، وقالوا له نحب أن نكون فى طاعتك وإلا سلمنا البلاد إلى الروم(١) . . فكان ذلك الانقسام الذى طرأ على مسلمى صقلية مما شجع البيزنطيين على غزوها فى عهد الإمبراطور ميخائيل الرابع (١٠٣٤ — ١٠٤٤ م) الذى أنفذ إليها حملتين : الأولى سنة ٤٢٩هـ (١٠٣٧ م) لم تحرز أى نجاح . أما الثانية ، فكانت فى السنة التالية . وقد استطاعت هذه الحملة أن تستولى على مسينا ومعظم البلاد الواقعة على الساحل الشرقى من الجزيرة ، غير أن المسلمين سرعان ما تمكنوا من استعادة أكثر البلاد التى استولى عليها البيزنطيون (٢) .

على أن الاضطرابات مالبثت أن سادت هذه الجزيرة من جراء النزاع بين أمرائها المسلمين والحروب الداخلية . وقد مهد ذلك ، السبيل أمام النرمانديين لغزوها ، فتمكن روجر بن تنكرد النرمندى من الاستيلاء على جميع أرجائها سنة ٤٨٤ هـ (١٠٩١ م(٣)) .

---

(١) انظر : أمارى : المكتبة الصقلية جـ١ ، ٢٧٤

(٢) Cambridge Med. Hist. Vol. IV. p. 150.

(٣) Hitti, History of the Arabs, p. 606.

الباب الثامن

العلاقات بين الدولة الفاطمية والدولة البيزنطية والمدن الإيطالية

(أ) الفاطميون والبيزنطيون.

(ب) الفاطميون والمدن الإيطالية.

الباب الثامن

العلاقات بين الدولة الفاطمية، والدولة البيزنطية والمدن الإيطالية

(أ) الفاطميون والبيزنطيون :

واجه الفاطميون منذ تقدمت جيوشهم فى بلاد الشام صعوبات كثيرة من ناحية البيزنطيين الذين أخذوا يهددون حدود سورية الشمالية بغاراتهم المتتالية ، كما زحفت قواتهم على أنطاكيـــة سنة ٣٥٨ﻫ (٩٦٩م) ، واستطاعوا بعد ذلك بمدة وجيزة أن يدخلوا حلب ، وأن يرغموا حاكمها على عقد صلح معهم[١] .

اتجهت سياسة المعز لدين الله إلى استعادة المدن التى استولى عليها البيزنطيون فى شمال الشام ليقضوا بذلك على الأخطار التى تهدد نفوذهم فى تلك البلاد ؛ وقام بتنفيذ هذه السياسة القائد الفاطمى جعفر بن فلاح. لكن الحملات الفاطمية التى أرسلت لإجلائهم عن أنطاكية فشلت فى تحقيق هذه الغاية لانشغال الفاطميين بصد القرامطة والقضاء على ما بقى لهم من نفوذ بالشام[٢] .

اتخذ البيزنطيون من النزاع بين الفاطميين والقرامطة فرصة سانحة لمواصلة شن إغاراتهم ؛ فتقدم إمبراطور الروم حنا زيمسكيس (John Tzimisces) فى سنة ٩٧٥ م من أنطاكيـة إلى حمص ، ومنها إلى بعلبك ؛ واضطرت دمشق إلى التسليم ودفع الجزية له ، كما سلمت له طبرية وقيسارية،

(١) Hitti, History of Syria p. 460

(٢) انظر . كتاب النفوذ الفاطمى فى بلاد الشام والعراق ، ص٢٢

ثم سار الإمبراطور شمالا حيث استولى على بيروت وصيدا . ولما حاول الاستيلاء على طرابلس أوقعت حامية المدينة بمعاونة الأسطول الفاطمى الهزيمة بقواته ؛ ثم عادت الجيوش البيزنطية إلى أنطاكية وعاد الإمبراطور إلى القسطنطينية حيث توفى فى أوائل سنة ٩٧٦م[١]

ظل النزاع قائماً بين الدولة الفاطمية والدولة البيزنطية حتى سنة ٣٧٧ هـ (٩٨٧م) حيث قدمت إلى مصر رسل الإمبراطور باسيل الثانى (٩٧٦ - ١٠٢٥ م)، تحمل هدية للخليفة العزيز وتطلب عقد صلح بين الدولتين . واشتملت الهدية على ثمان وعشرين صينية من الذهب ، فأجاب الخليفة الفاطمى طلب هؤلاء السفراء واشترط للصلح عدة شروط منها .

١ - أن يطلق البيزنطيون سراح من عندهم من الأسرى المسلمين .

٢ - أن يدعى للخليفة العزيز بجامع القسطنطينية فى خطبة الجمعة .

٣ - أن تضع الحرب أوزارها بين الفريقين مدة سبع سنوات(٢).

لم يكن لهذه الهدنة أثر كبير فى وقف تيار الحرب بين الفاطميين والبيزنطيين لأن سعيد الدولة أبا الفضائل بن حمدان أمير الحمدانيين فى حلب ، لما علم بتوغل الفاطميين فى بلاد الشام ، استنجد بإمبراطور الروم باسيل الثانى ؛ فأمده الإمبراطور بحملة ، والتقت القوات المصرية والبيزنطية على ضفاف نهر العاصى ، ولحقت الهزيمة بالبيزنطيين سنة ٣٨١ هـ . وعاد القائد الفاطمى منجوتكين إلى دمشق لنفاد الأقوات ، فاستاء العزيز لذلك ، وأمره بفتح حلب ، وأرسل إليه المؤن ، فسار منجوتكين إليها فى العام التالى ، وحاصرها حصارا شـــديدا حتى اضطر أميرها إلى الاستنجاد بالإمبراطور البيزنطى مرة ثانية ، وكتب إليه يقول : « متى أخذت حلب ، أخذت أنطاكية ، ومتى أخذت أنطاكية ، أخذت قسطنطينية(٣) » .

(١) Cambridge Mediaeval History Vol IV p 148

(٢) أبو المحاسن ، النجوم الزاهرة جـ٤ ، ص١٠١ - ١٠٢

(٣) أبو المحاسن النجوم الزاهرة ، جـ٤ ، ص ١١٩ - ١٢٠

لما رأى باسيل الثانى الخطر الذى يهدد بلاده من جراء هجوم الفاطميين على حلب ، عوّل على المسير إليها بنفسه . فاستولى على حصن شيزر[١] ، ثم فتح حمص ، وأخذ يتابع سيره حتى وصل طرابلس . ولما تعذر عليه فتحها عاد إلى القسطنطينية سنة ٣٨٥ هـ (٩٩٥ م) بعد أن بسط سلطانه على معظم ساحل الشام[٢] .

وعندما وقف العزيز على مدى تقدم البيزنطيين فى بلاد الشام ، استقر رأيه على أن يسير بنفسه لصد قواتهم ؛ فجهز حملة برية ، كما أمر وزيره عيسى بن نسطورس بإنشاء أسطول يسير بحرا إلى طرابلس ؛ غير أن هذا الأسطول اشتعلت فيـــه النيران فى ميناء المقس بالقاهرة وأحرقت منه ستة عشر مركبا . وكان لهذا الحادث أسوأ الأثر فى نفوس المصريين ، فاتهموا الروم بتدبير مؤامرة إحراقه وخاصة أنهم كانوا يقيمون على مقربة من دار الصناعة بالمقس ، وحملوا عليهم وقتلوا فريقا كبيراً منهم ؛ وما لبث العزيز أن قضى على الاضطرابات التى حدثت بالقاهرة ، بسبب إحراق الأسطول ؛ ثم أمر بإنشاء أسطول آخر ، فلبى وزيره عيسى بن نسطورس رغبته ، وشرع فى جمع الأخشاب وأمر الصناع بالإسراع فى إنجازه[٣] . ولما تم بناؤه أبحر إلى أنطرطوس[٤] ؛ غير أن معظم سفنه لم تلبث أن تحطمت فى البحر على أثر هبوب عاصفة عليها ، وأسر الروم بعض رجال الأسطول المصرى[٥] . أما الحملة البرية ، فخرج على رأسها الخليفة العزيز بنفسه إلى بلبيس ، لكن المرض اشتد عليه فجأة فتخلف بها وتوفى سنة ٣٨٦ هـ[٦] (٩٩٦ م) .

---

(١) يقع على مقربة من معرة النعمان شمال حماه .

(٢) تاريخ يحيى بن سعيد الأنطاكى ، ص ١٦٦

(٣) المقريزى ، خطط ، جـ٢ ، ص١٩٥-١٩٦

(٤) من أعمال طرابلس بلبنان تقع على ساحل البحر .

(٥) تاريخ يحيى بن سعيد الأنطاكى ، ص ١٧٨

(٦) أبو المحاسن ، النجوم الزاهرة ، جـ٤ ، ١٢٢

ظل البيزنطيون ينتهزون الفرص للنيل من الفاطميين ؛ فلما خرج أهل صور على طاعة الخليفة الحاكم بأمر الله الفاطمي سنة ٣٨٨ هـ بزعامة رجل ملاح يعرف بعلاقة ، اتخذ عملة جديدة نقش عليها هذه العبارة : « عزا بعد فاقة للأمير علاقة »، وأعلن استقلال مدينته(١)، أرسل برجوان الذى كان يلى إذ ذاك الوصاية على هذا الخليفة حملة كبيرة بقيادة جيش بن الصمصامة الكتامى إلى صور وكان علاقة الثائر بها قد استنجد بالإمبراطور باسيل الثانى ، فبعث إليه بإمدادات فى البحر؛ ورأى برجوان من ناحيته أن ينفذ إلى مياه صور بعض سفن الأسطول المصرى . فحوصرت المدينة من البر والبحر ، ونشبت بين الفريقين معارك شديدة انتهى الأمر فيها بسقوط صور فى أيدى القوات الفاطمية وهزيمة البيزنطيين وحليفهم الأمير علاقة الذى أسر وأرسل إلى القاهرة حيث قتل . وواصل جيش بن الصمصامة الكتامى سيره إلى أفاميه(٢) (Apamea) . وهناك التقى بالبيزنطيين . فتغلب عليهم ، وأخذ يطاردهم حتى أبواب أنطاكية (٣) .

وعلى الرغم على تتابع انتصارات الفاطميين على البيزنطيين ، فإن برجوان عول على مهادنتهم ليتسنى له التفرغ للقضاء على الفتن الداخلية بمصر . فأرسل إلى باسيل يقترح عليه عقد الصلح . فرحب الإمبراطور البيزنطى بهذه الدعوة ، وأنفذ سفيراً إلى الخليفة الفاطمى ليتفق معه على شروط الصلح . وبينما كانت المفاوضات تدور بالقاهرة غزا باسيل بلاد الشام لوقف زحف القوات الفاطمية إلى أنطاكية . وكاد مشروع الصلح ينهار لولا الفشل الذى لحق الإمبراطور فى هجومه الجديد ، فارتد مسرعا

---

(١) حتى . تاريخ سورية . ص ٢١٣

(٢) مدينة حصينة ، وهى كورة من كور حمص

(٣) تاريخ يحيى بن سعيد الأنطاكى ، ج١ ، ص١٨١ — ١٨٤ ، ابن خلدون ، ج٤ ص ٥٧

نحو أرمينية وآثر استتباب السلم فى حدود بلاده الجنوبية حتى يتفرغ لمواجهة البلغار

استؤنفت على أثر ذلك المفاوضات فى القاهرة بين رجال الدولة المصرية والسفير البيزنطى . ولما تم الاتفاق على شروط الصلح ، انتدب برجوان أريسطيس بطريرك بيت المقدس لمصاحبة السفير البيزنطى فى سفره إلى القسطنطينية لعرض هذه الشروط على الإمبراطور وإقرارها منه . فقام أريسطيس بهذه المهمة ، وتم بذلك إبرام معاهدة صداقة بين مصر والدولة البيزنطية تقرر فيها ما يأتى :

١ – تظل الهدنة قائمة بين مصر والدولة البيزنطية مدة عشر سنوات .

٢ – يتمتع المسيحيون الذين يقيمون فى أنحاء الدولة الفاطمية بالحرية الدينية ويسمح لهم بتجديد كنائسهم وبنائها .

٣ – يتعهد الإمبراطور باسيل الثانى بإمداد مصر بما تحتاج إليه من الحبوب .

على أن الإمبراطور البيزنطى سرعان ما قطع علاقته بالدولة الفاطمية حين وصلته أنباء سياسة الحاكم العدائية إزاء النصارى ، وظل الحال على ذلك إلى أن توفى هذا الخليفة وخلفه ابنه الظاهر ؛ فحاولت عمته ست الملك – التى قامت بالوصاية عليه – توطيد العلاقة بين مصر والدولة البيزنطية . وتنفيذاً لهذه الرغبة ، أرسلت نيقفور بطريرك بيت المقدس سفيراً إلى باسيل الثانى ليعمل على عقد أواصر الصداقة بين الدولتين ، وليخبره بالإجراءات التى اتخذت فى القاهرة لرفع الحيف عن النصارى وتجديد بناء الكنائس . بيد أن هذه السفارة لم تأت بطائل ؛ وظلت غارات البيزنطيين تتوالى على شمال الشام حتى سنة ٤١٨ هـ (١٠٢٧ م) حيث أنفذ الظاهر سفارة إلى الإمبراطور قسطنطين الثامن لعقد الصلح : فتم الاتفاق بين الفريقين على

إبرام معاهـــدة تضمنت شروطاً التزم تنفيذها كل من الخليفة الفاطمى والإمبراطور البيزنطى ، وفيما يلى هذه الشروط[١] :

١ — أن يسمح للإمبراطور البيزنطى بإعادة بناء كنيسة القيامة فى بيت المقدس .

٢ — أن يسمح لكافة المسيحيين بإعادة بناء الكنائس التى هدمها الحاكم عدا التى حُوّلت إلى جوامع .

٣ — أن يعين الإمبراطور البيزنطى بطريقا فى بيت المقدس .

٤ — ألا يقوم الفاطميون بأى عمل عدائى نحو حلب حتى تقوم بسداد الجزية السنوية التى كانت تدفعها للدولة البيزنطية ، منذ عام ٩٧٠ م .

٥ — ألا تمد الدولة الفاطمية يد المساعدة لأى عدو من أعداء الدولة البيزنطية وخاصة أهل صقلية الذين هددوا هذه الدولة وعاثوا فى جزر بحر الأرخبيل ، وكان الإمبراطـور البيزنطى يخشى انضمام الأسطول الفاطمى إلى هؤلاء ، فيتعذر عليه إخضاعهم .

وفى مقابل هذه الشروط ، يتعهد الامبراطور بما يأتى :

١ — أن يعمل على ذكر اسم الخليفة الفاطمى فى الخطبة ، فى جامع القسطنطينية والمساجد الواقعة داخل حدود الدولة البيزنطية .

٢ — أن يعيد بناء جامع القسطنطينية .

٣ — أن يطلق سراح الأسرى المسلمين الذين فى قبضة الروم .

٤ — ألا يقدم الإمبراطور أية مساعدة لحسان بن مفرج بن الجراح صاحب الرملة الذى خرج على الخليفة الظاهر الفاطمى .

٥ — أن يسحب الإمبراطور طلبـه الخاص بالاستعاضة عن شيزر بأفامية .

(١) تاريخ يحيى بن سعيد الأنطاكى ، ص ٢٧٠ — ٢٧١

G. wiet, Hist. de Le Nation Egyptienne (L'Egypte Arabe) p. 222, 223.

على أن الأمر الذى يسترعى النظر فى هـذا الصلح أن الإمبراطور البيزنطى تعهد بإعادة بناء جامع القسطنطينية . وكان البيزنطيون قد أقدموا على هدمه حين بلغهم هدم كنيسة القيامة فى بيت المقدس . ثم أعادوا بناءه فى أيام الظاهر الفاطمى .

لم يلبث البيزنطيون أن نقضوا هـذا الصلح سنة ٤٢٢ هـ ، وانضموا إلى بعض أمراء العرب بالشام الذين كانوا يعادون الفاطميين ؛ فساروا مع حسان بن مفرج بن الجراح الطائى صاحب الرملة . وكان قد لجأ إليهم بعد أن هزمـه جند الخليفة الظاهر الفاطمى عند طبرية — ؛ وأغاروا على أفامية وغنموا منها مغانم كثيرة واستولوا على قلعتها وأسروا كثيراً من أهلها (١) .

تحسنت العلاقات بين الفاطميين والبيزنطيين فى أوائل عهد المستنصر بالله ، فعقد هذا الخليفة هدنة مع الإمبراطور ميخائيل الرابع سنة ٤٢٩ هـ (١٠٣٧ م) وسمح له بإتمـام إصلاح كنيسة القيامة على أن يطلق سراح خمسة آلاف أسير مسلم ، فأخلى الإمبراطور سبيل الأسرى وأرسل المعماريين إلى بيت المقدس ، وأنفق كثيراً من الأموال على تجديد بناء هذه الكنيسة (٢) .

ولما ولى قسطنطين التاسع الحكم حافظ على استمرار العلاقات الودية مع الفاطميين ، فبعث إلى المستنصر بالله الفاطمى سنة ٤٣٧ هـ هدية عظيمة واشتملت على ثلاثين قنطاراً من الذهب الأحمر ، قيمة كل قنطار منها عشرة آلاف دينار عربية (٣) » .

---

(١) أبو الفدا . المختصر فى أخبار البشر ، جـ٢ ، ص ١٥٨

(٢) أبو الفدا . المختصر فى أخبار البشر ، جـ٢ ، ص١٦٢

(٣) الأبشيهى . المستطرف فى كل فن مستظرف ، جـ٢ ، ص ٥٤

استغل الخليفة المستنصر بالله الفاطمى فرصة صفاء العلاقات بينه وبين الدولة البيزنطية للعمل على إنعاش الحالة الاقتصادية فى دولته ، فأرسل على أثر المجاعة التى حلت بمصر سنة ٤٤٦ هـ إلى الإمبراطور قسطنطين التاسع يطلب منه أن يمده بأربعمائة ألف أردب من القمح ؛ فأظهر الإمبراطور استعداده لإجابة هذا الطلب ؛ لكنه لم يلبث أن توفى وخلفته الإمبراطورة تيودورا ، فاشترطت لتقديم هذه المساعدة أن يمدها المستنصر بالجنود إذا ما اعتدى على بلادها أى معتد : غير أن المستنصر رفض الموافقة على هذا الشرط . فأجابته تيودورا على ذلك بأن حالت دون إرسال الغلال إلى مصر .

أثارت سياسة هذه الإمبراطورة غضب الخليفة المستنصر ، وعول على محاربتها ، فجهز حملة تحت قيادة مكين الدولة الحسن بن ملهم ؛ وما لبث هذا القائد أن نزل بالقرب من أفامية ثم تجول فى أعمال أنطاكيـــة[1] ؛ فأنفذت الإمبراطورة حملة بحرية أوقعت به الهزيمة . وأسر هو وكثير من جنده سنة ٤٤٧ هـ . وكان ذلك مما حمل المستنصر على أن يعهد للقاضى أبى عبد الله القضاعى بالذهاب إلى القسطنطينية لتسوية الخلاف بين الدولتين ؛ فلم تحفل الإمبراطورة بوجوده ، على حين رحبت برسول السلطان طغرلبك السلجوقى الذى قدم إذ ذاك من العراق ومعه رسالة من السلطان يلتمس فيها أن يصلى رسوله فى جامع القسطنطينية ، فأذنت له بذلك ؛ فدخله وصلى فيه صلاة الجمعة وأقام الخطبة للخليفة القائم بأمر الله العباسى . ولا غرو فقد كان السلاجقة فى ذلك الوقت أشد خطراً على البيزنطيين من الفاطميين الذين اضمحل سلطانهم فى بلاد المغرب وأصبحوا يواجهون فى مصر كثيراً من الصعاب .

ولما وقف الخليفة المستنصر على سياسة الإمبراطورة العدائية إزاءه

(١) المقريزى ، جـ١ ، ص ٣٣٥

والإساءة التي لحقت بسفيره ، بعث في طلب كنوز كنيسة القيامة ونفائسها؛ فأرسلت إليه[١] : وازداد بذلك التوتر في العلاقات بين الفاطميين والبيزنطيين .

عاد العداء بين الدولة الفاطمية والدولة البيزنطية سيرته الأولى ؛ وظل الحال على ذلك إلى أن وجه الصليبيون حملاتهم إلى بلاد الشام ، وأسسوا بها إمارتي أنطاكية وبيت المقدس ؛ وصاروا يشتبكون من وقت لآخر في معارك حربية مع القوى الإسلامية بتلك البلاد وبخاصة في عهد نور الدين محمود أمير حلب الذي أمره بضم دمشق إليه سنة ٥٤٩هـ (١١٥٤م)[٢] .

ولما أخذت الأخطار تواجه الفرنجة ببيت المقدس من جراء ازدياد نفوذ نور الدين محمود ببلاد الشام وطموحه إلى بسط سلطانه على مصر ، بعث أموري ملك بيت المقدس يستنجد بملوك أوربا لوقف الخطر الذي يهدد الإمارات اللاتينية بالشام ، لكنهم شغلوا عنه ؛ لذلك لم ير بداً من الاستعانة بالإمبراطور البيزنطي مانويل الذي رحب بمد يد المعونة إليه واتفق معه على المسير بحراً إلى مصر ؛ وأنفذ إليه أسطولا يعاونه حملة من الفرسان والمشاة مزودة بالمؤن والعتاد الحربي[٣] . وتوجهت هذه القوات إلى دمياط حيث أحاطت بها براً وبحراً في صفر سنة ٥٦٥هـ[٤] (١١٦٩م) . وكان الإمبراطور البيزنطي يرجو أن تحقق هذه الحملة أطماعه في التوسع ، فتصبح مصر من بين الأقطار الداخلة في دائرة نفوذه .

ولما بلغ صلاح الدين وزير الخليفة الفاطمي العاضد مسير قوات الفرنجة

---

(١) Stanley Lane - Poole, A History of Egypt in the Middle Ages p.148

ابن ميسر : تاريخ مصر ص ٧

(٢) انظر ابن الأثير الكامل في التاريخ ، جـ١١ ، ص ٧٤-٧٥

(٣) حسن حبشي : نور الدين والصليبيون ، ١٣٥

(٤) المقريزي: خطط ، جـ١ ، ص ٢١٥

والبيزنطيين إلى دمياط، وعول على النهوض لصدها، فأرسل جنده عن طريق النيل، وبعث إلى نور الدين محمود يطلب الأمداد(١)، فأجاب طلبه. كما حرص الخليفة على مده بالأموال(٢).

على أن هؤلاء المغيرين على دمياط من الفرنجة والبيزنطيين لم يقدموا على التوغل في داخل البلاد المصرية، بل اضطروا إلى الرحيل عن هذه المدينة - بعد أن ظلوا يحاصرونها نحو خمسين يوما - والعودة بجيوشهم إلى بلادهم، بسبب ما بلغهم عن شروع نور الدين في الإغارة على بلاد الإمارات اللاتينية بالشام. فضلا عن وقوع الخلاف بين قوادهم؛ وبذلك عجزت الحملة الصليبية التي عاونها البيزنطيون عن تحقيق أطماعها في مصر (٣).

(١) ابن واصل، مفرج الكروب في أخبار بني أيوب، ج١، ص ١٨١
(٢) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج ١١، ص ١٣٢، المقريزي: خطط، ج١، ص ٢١٥
(٣) حسن حبشي، نور الدين والصليبيون، ١٣٨-١٣٩

(ب) الفاطميون والمدن الإيطالية

كانت مدينة أما لفى أول المدن الإيطالية التي أنشأت علاقات مع مصر والشام في العصر الفاطمي ؛ ومن دلائل ذلك أن أحد أثرياء هذه المدينة ويدعى Maurus ، استعان بمهرة الصناع والفنانين من الإسكندرية لتزيين بعض قصوره بالفسيفساء . ومما يذكر عنه أنه لما شرع في بناء دير ببيت المقدس - وكانت إذ ذاك خاضعة للسيادة الفاطمية - ، اقتضت الضرورة إجراء محادثات مع الحكومة الفاطمية بمصر في عهد الخليفة الظاهر سنة ٤١١ هـ (١٠٢٠ م) على منحه قطعة من الأرض بالحي المسيحي بالمدينة شيد عليها دير Marie de Latina لإيواء الحجاج والتجار من أهل أمالفي [1]

كذلك حرصت مدينة بيزا على توثيق صلة المودة مع الخلفاء الفاطميين، فأرسلت سنة ١١٥٤ م سفيراً إلى بلاط الخليفة الظافر الفاطمي لتسوية بعض المشاكل الناجمة عن اعتداء بعض التجار من رعاياها في إحدى السفن على فريق من التجار المصريين بالقتل والسلب . وثارت الحكومة الفاطمية لرعاياها المصريين بمعاقبة التجار البيازنة المقيمين بمصر . فلما وصل سفير الحكومة البيزية استطاع أن يتفق مع رجال الحكومة الفاطمية على تسوية ، تضمنت تعهدا من حكومة بيزا بالاقتصاص من المعتدين والامتناع عن تقديم أي مساعدة للصليبيين في الشام ولغيرهم من أعداء مصر ، كما تضمنت تعهدا من الحكومة الفاطمية بإطلاق سراح رعايا مدينة بيزا الذين أودعوا السجن بسبب اعتدائهم على بعض المصريين ، وحماية الحجاج والتجار البيازنة الذين يسافرون في سفن غير حربية .

---

(١) Heyd. Hist. du Commerce de Levant au Moyen Age Tome I. p. 102 - 104

وبلغ من اهتمام حكومة بيزا بتوطيد علاقاتها برجال الحكومة الفاطمية أنه عندما أسندت الوزارة في مصر إلى طلائع بن رزيك، صارعت إلى إرسال وفد لتقديم تهنئتها إليه، فرحب بقدومهم وأكرم وفادتهم، ووعد بالعمل على حماية رعاياهم.

على أن حكومة بيزا لم تكن مخلصة في تقربها للفاطميين؛ ووضح ذلك حين أخذ أموري ملك بيت المقدس يهدد الفاطميين في مصر فأظهرت بيزا استعدادها لمعاونة الصليبيين، ووعدها أموري بعض الامتيازات في البلاد المصرية. ولما اتضح للبيازنة أن الصليبيين لن يتيسر لهم البقاء في مصر، وأنهم في سبيل الاتفاق مع الحكومة الفاطمية للجلاء عن البلاد، سارعت حكومة بيزا إلى الوساطة بين الطرفين، وأفادها هذا العمل. إذ منحها الخليفة العاضد الفاطمي امتيازات تجارية لكنها لم تلبث أن عادت إلى إيثار مصالحها الخاصة، فاشتركت مع الصليبيين سنة ١١٧٠ م في الهجوم على ثغر دمياط رغم الامتيازات التي منحتها لها الحكومة الفاطمية[1].

وكانت مدينة جنوة تحرص أيضاً على التودد إلى الفاطميين. وقد نمت العلاقات بينها وبين مصر في النصف الأخير من القرن الحادى عشر الميلادى؛ فعقد مندوب عنها معاهدة تجارية مع الحكومة الفاطمية عام ١٠٦٣م، كما وافق بعض الخلفاء في أواخر العصر الفاطمي على حماية رعايا هذه المدينة أثناء إقامتهم بأراضي الدولة الفاطمية(٢). وكان كثير من تجار جنوة يتوافدون إلى الإسكندرية لاستيراد بعض السلع ومن بينها الشب

(١) Heyd. Hist. du Commerce de Levant au Moyen Age Tome I. pp, 392 - 396

Stanléy Lane - Poole. A History of Egypt in the Middle Ages P. 182

(٢) Heyd. Hist. du Commerce de Levant ar Mayen Age Tome I. p, 391.

والنطرون التي احتكرت الحكومة الفاطمية تجارته، واحتفظت لنفسها بحق بيعه للروم(١).

ولم يكن اهتمام البندقية بإقامة علاقات ودية مع الفاطميين في مصر والشام أقل من غيرها من المدن الإيطالية . ففي القرن العاشر الميلادى كانت تنقل إلى العرب الخشب اللازم لبناء السفن . ولما تعرضت لتهديدات الإمبراطور البيزنطى حنا زيمسكيس (John Zimisces) بالانتقام منها إذا لم تمتنع عن مد مصر وغيرها من البلاد الإسلامية بالخشب الذى يصلح لعمارة السفن ، أصدرت أمراً بمنع تصدير هذا النوع من الخشب وسمحت بإمدادها بالخشب الذى لا يصلح لبناء السفن (٢) . وكان لهذا القرار أثر سيء في مصر ، فقد ترتب عليه أن ندر وجود خشب السفن في مصر حتى إنه لما أراد الوزير عيسى بن نسطورس أن ينشىء أسطولا يقوم مقام الأسطول الذى كان معداً لوقف تقدم البيزنطيين بالشام واحترق ، أمرت الحكومة الفاطمية بقطع الأخشاب من مختلف جهات القطر(٣).

على أن حكومة البندقية رأت ألا تضحى بمصالحها الخاصة في سبيل إرضاء أباطرة الدولة البيزنطية ، فأرسلت بعثات إلى مصر حصلت على امتيازات لسفنها(٤) ، كما أن تجارها عملوا على تنمية العلاقات التجارية مع المسلمين ، وصارت سفنهم تنقل من موانى مصر منتجات آسيا إلى أسواق أوربا.

(١) المقريزى . خطط ، ١ ، ص١٠٩
(٢) متز . الحضارة الإسلامية ، جـ ٢ ، ص ٣٦٤
(٣) تاريخ يحيى بن سعيد الأنطاكى ، ص ١٧٨
(٤) Heyd. Hist. du Commerce de Levant au Moyen Age Tome I, p. 114.

المصادر والفهارس الأبجدية

مصادر الكتاب

١ – ابن الأثير : (ت ٦٣٠ هـ ، ١٢٣٨ م) على بن أحمد بن أبى الكرم المعروف بابن الأثير الجزرى .

(ا) الكامل فى التاريخ . (١٢ جزءاً)

٢ – (ب) تاريخ دول الأتابكة .

٣ – أحمد أمين .

« ظهر الإسلام » . الجزء الأول (القاهرة ١٩٤٥)

٤ – الأدفوى : (ت ٧٤٨ هـ) كمال الدين أبو الفضل جعفر بن ثعلب ابن جعفر بن على الأدفوى الشافعى .

« الطالع السعيد الجامع لأسماء نجباء الصعيد » .

٥ – أرنولد : سير توماس Arnold : Sir Thomas. W.

The Caliphate (Oxford, 1924)

٦ – أمارى : ميشيل – Amari ; Nichel

مكتبة صقلية العربية (جزءان)

Biblioteca Arabo – Sicula. 2. Vols.

٧ – أوليرى دى ليسى : O' Leary, (De Lacy)

A Short History of the Fatimid Khalifate

٨ – إيفانو : Evanow

The Rise of the Fatimids

٩ — باخرمه : أبو محمد عبد الله بن أحمد الطيب باخرمة .
« المختار فى تاريخ ثغر عدن » صور شمسية بدار الكتب المصرية بالقاهرة » .

١٠ — البغدادى : (ت ٤٢٩ هـ ، ١٠٣٧ م) أبو منصور عبد القاهر بن طاهر .
« الفرق بين الفرق » (القاهرة ١٣٢٨ هـ ، ١٩١٠ م) .

١١ — البكرى : (ت ٤٨٧ هـ ، ١٠٦٤ م) أبو عبيد الله عبد الله بن عبد العزيز البكرى .
المغرب فى ذكر بلاد إفريقية والمغرب » .

١٢ — البندارى : (توفى فى النصف الأول من القرن السابع الهجرى)
« الفتح بن على بن محمد البندارى الأصفهانى » .
« تاريخ دولة آل سلجوق » (القاهرة ١٣١٨ هـ ، ١٩٠٠ م)

١٣ — البهاء الجندى : (ت ٧٣٢ هـ ، ١٣٣١ م) أبو عبد الله بهاء الدين ابن يوسف بن يعقوب الجندى
« أخبار القرامطة باليمن » المنقول من كتاب السلوك فى طبقات الموالى والملوك .

١٤ - إبن الجوزى (ت ٥٩٧ هـ). جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن ابن أبى الحسن على بن محمد
« المنتظم فى تاريخ الملوك والأمم »

١٥ — حتى : فيليب — Hitti Philip
(١) History of the Arabs

١٦ — (ب) History of Syria

١٧ – حسن إبراهيم حسن
(ا) الفاطميون فى مصر وأعمالهم السياسية والدينية بوجه خاص
(القاهرة – ١٩٣٢)
تاريخ الدولة الفاطمية (القاهرة – ١٩٥٩ م)

١٨ – (ب) تاريخ الإسلام السياسى (الجزء الثالث . القاهرة – ١٩٤٦)

١٩ – حسن إبراهيم حسن وطه شرف .
(ا) عبيد الله المهدى إمام الشيعة الإسماعلية ومؤسس الدولة الفاطمية فى بلاد المغرب .
(القاهرة – ١٩٤٧ م)

٢٠ – (ب) المعز لدين الله إمام الشيعة الإسماعيلية ومؤسس الدولة الفاطمية فى مصر .
(القاهرة – ١٩٤٨ م)

٢١ – حسن حبشى :
(ا) الحرب الصليبية الأولى (القاهرة – ١٩٤٧ م)

٢٢ – (ب) نور الدين والصليبيون (القاهرة – ١٩٤٨ م)

٢٣ – ابن حزم : (ت ٤٥٦ هـ ، ١٠٦٤ م) أبو محمد على بن أحمد بن سعيد ابن حزم بن غالب بن صالح الأندلسى الظاهرى .
« جمهرة أنساب العرب »
(تحقيق وتعليق أ . ليفى . بروفنسال – القاهرة ١٩٤٨ م)

٢٤ – الحمادى اليمانى : محمد بن مالك بن أبى الفضائل الحمادى اليمانى .
(من فقهاء السنة فى أواسط القرن الخامس الهجرى)
« كشف أسرار الباطنية وأخبار القرامطة » .

٢٥ – الخطيب البغدادى : (ت ٤٦٣ هـ) الحافظ أبو بكر أحمد بن على
« تاريخ بغداد أو مدينة السلام » (١٤ جزءاً)

٢٦ – ابن خلدون : (ت ٨٠٨هـ ، ١٤٠٥ – ١٤٠٦م) عبد الرحمن بن محمد
« العبر وديوان المبتدأ والخبر » (٧ أجزاء – بولاق ١٢٨٤هـ)

٢٧ – ابن خلكان : (ت ٦٨١ هـ ، ١٢٧١ م) شمس الدين أبو العباس
أحمد بن إبراهيم بن أبى بكر الشافعى
« وفيات الأعيان » (جزءان – بولاق – ١٢٨٣ هـ)

٢٨ – دحلان : (ت ١٣٠٤ هـ) أحمد زينى دحلان المكى .
« خلاصة الكلام فى أمراء البيت الحرام »

٢٩ – الدّيبع الشيبانى : (ت ٩٤٤ هـ) الفقيه وجيه الدين عبد الرحمن
ابن على بن محمد الشيبانى الشافعى المشهور بالديبع الزبيدى .
« قرة العيون فى تاريخ اليمن الميمون » (صور شمسية بدار الكتب
المصرية بالقاهرة) .

٣٠ – دى غويه : De Goeje M. C.

Memoire Sur Les Carmathes du Bahrain et Les Fatimides.
(Leyden 1886)

٣١ – سبط ابن الجوزى (ت ٦٥٤ هـ ، ١٢٥٧ م) شمس الدين أبو المظفر
يوسف بن قزأوغلى . « مرآة الزمان فى تاريخ الأعيان » .
(صور شمسية بدار الكتب المصرية بالقاهرة رقم ٥٥١ تاريخ)

٣٢ ابن سعيد : (ت ٦٧٢ هـ ١٢٧٥ م) على بن موسى المغربى .
« المغرب فى حلى المغرب والمشرق فى حلى المشرق » .

٣٣ – السلاوى : أبو العباس أحمد بن خالد الناصرى .
« الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى »
(٤ أجزاء - القاهرة ١٣١٠ - ١٣١٢ هـ) .

٣٤ – السيد عبد العزيز سالم :
« المغرب الكبير » (العصر الإسلامى) . (القاهرة ١٩٦٦ م) .

٣٥ – سيدة إسماعيل كاشف :
« مصر فى عصر الأخشيديين » (القاهرة ١٩٥٠ م) .

٣٦ – السيوطى : (ت ٩١١ هـ ، ١٥٠٥ م) عبد الرحمن بن أبى بكر جلال الدين . « تاريخ الخلفاء أمراء المؤمنين القائمين بأمر الأمة » .

٣٧ – طه شرف :
« دولة النزارية أجداد أغا خان » (القاهرة - ١٣٦٩ هـ ، ١٩٥٠ م) .

٣٨ – عبد العزيز الدورى :
« دراسات فى العصور العباسية المتأخرة » (بغداد - ١٩٤٥ م) .

٣٩ – عبد القادر الأنصارى : (الشيخ زين الدين عبد القادر بن البدرى محمد بن إبراهيم الأنصارى) من علماء القرن العاشر الهجرى .
« درر الفرائد المنظمة فى أخبار الحاج وطريق مكة المعظمة »
مخطوط بدار الكتب المصرية بالقاهرة .

٤٠ – ابن العديم الحلبى (ت ٦٦٠ هـ ، ١٢٦١ - ١٢٦٢ م) كمال الدين أبو حفص أو أبو القاسم عمر بن أحمد هبة الله .
« زبدة الحلب فى تاريخ حلب » .

٤١ ـ العرشي : القاضي حسين بن أحمد العرشي الزيدي (من علماء القرن الرابع عشر الهجري)
« بلوغ المرام في شرح مسك الختام في من تولى ملك اليمن من ملك وإمام » .
(نشر الآدب أنستاس ماري الكرملي) .

٤٢ ـ عمارة اليمني (ت ٥٦٩ هـ ، ١١٧٤ م) أبو محمد عمارة بن أبي الحسن علي بن زيدان بن أحمد الحكمي اليمني الملقب بنجم الدين .
(ا) تاريخ اليمن « (نشر Henri Cassels Kay) .
"Yaman, Its Early Mediaeval History".

٤٣ ـ (ب) « النكت العصرية في أخبار الوزراء المصرية » .
(نشر Hartwig Derenbourg - باريس ١٨٩٧ م) .

٤٤ ـ ابن العميد : (ت ٦٧٢ هـ ، ١٢٧٣ م) الشيخ المكين جرجس ابن العميد « تاريخ المسلمين » (ليدن ـ ١٦٢٥ م) .

٤٥ ـ أبو الفدا : (ت ٧٣٢ هـ ، ١٣٣١ م) إسماعيل بن علي عماد الدين صاحب حماه
« المختصر في أخبار البشر » .

٤٦ ـ فييت : جاستون فييت ـ .Wiet, G .
(ا) Histoire de La Nation Egyptienne Vol IV. (L'Egypte Arabe).

٤٧ ـ (ب) Précis de L'Histoire d'Egypte T. II. (L'Egypte Musulmane).

٤٨ ـ ابن القلانسي : (ت ٥٥٥ هـ ، ١١٦٠ م) أبو يعلى حمزة
« ذيل تاريخ دمشق » .

٤٩ — القلقشندى : (ت ٨٢١ هـ ، ١٤١٨ م) أبو العباس أحمـــد
« صبح الأعشى فى صناعة الإنشا » (١٤ جزءاً) .

٥٠ — الكندى : (ت ٣٥٠ هـ ، ٩٦١ م) أبو عمر محمد بن يوسف
« كتاب الولاة وكتاب القضاة » (ليدن — ١٩٠٨ م) .

٥١ — لامانس : Lammens ; Père Henri
La Syrie, Précis Historique, Tome 1.

٥٢ — لينبول : ستانلى . Lane - Poole : Stanley
(أ) A History of Egypt in the Midde Ages

٥٣ — (ب) The Muhammadan Dynasties

٥٤ — ابن المؤيد اليمنى : (يحيى بن الحسين)
« أنباء الزمن فى تاريخ اليمن » (صور شمسية بدار الكتب
المصرية بالقاهرة . رقم ١٣٤٧) .

٥٥ — متز : آدم . Mez . Adam
Die Renaissance des Islams.

نقله إلى العربية الدكتور محمد عبد الهادى أبو ريده بعنوان :
(الحضـارة الإسلامية فى القرن الرابع الهجرى) — (جزءان —
القاهرة ١٩٤٠ — ١٩٤١) .

٥٦ — ابن المجاور : (٦٩٠ هـ) جمال الدين أبو الفتح يوسف بن يعقوب
ابن محمد المعروف بابن المجاور الشيبانى الدمشق .

« تاريخ ابن المجاور » (صور شمسية بدار الكتب المصرية بالقاهرة
رقم ٥٣٤٢) .

٥٧ — أبو المحاسن : (ت ٨٧٤ هـ ١٣٦٤ م) جمال الدين يوسف بن تغرى بردى « النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة » (نشر دار الكتب المصرية بالقاهرة).

٥٨ — محمد جمال الدين سرور .

(أ) النفوذ الفاطمى فى جزيرة العرب . (الطبعة الرابعة — القاهرة ١٩٦٤).

٥٩ — (ب) النفوذ الفاطمى فى بلاد الشام والعراق . (الطبعة الثالثة — القاهرة ١٩٦٤).

٦٠ — مسكويه : (ت ٤٢١ هـ ، ١٠٣٠ م) أبو على أحمد بن محمد « كتاب تجارب الأمم » .

٦١ — المقدسى : (ت ٣٨٨ هـ ، ٩٩٧ م) شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبى بكر المقدسى المعروف بالبشارى .

« أحسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم » (المكتبة الجغرافية العربية — المجلد الثالث — طبعة دى غويه ليدن ١٩٠٦ م).

٦٢ — المقريزى : (٨٤٥ هـ ، ١٤٤١ م) تقى الدين أحمد بن على .

(أ) « السلوك لمعرفة دول الملوك » (نشر الدكتور زيادة).

٦٤ — (ب) « المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار » (طبعة بولاق ١٢٧٠ هـ).

٦٤ — (ج) « اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الخلفا » (نشر الدكتور جمال الدين الشيال . القاهرة ١٩٤٨).

٦٥ ــ ابن ميسر : (ت٦٧٧هـ ، ١٢٧٨ م) محمد بن على بن يوسف بن جلب
« تاريخ مصر » (طبعة هنرى ماسيه Heuri Masaé القاهرة ١٩١٩ م) .

٦٦ ــ النعمان : (٣٦٣ ، ٩٧٣ م) : أبو حنيفة المغربى .
« المجالس والمسايرات » (٣ أجزاء ـ مخطوط بمكتبة جامعة القاهرة)

٦٧ ــ النويرى : (ت٧٣٢هـ ، ١٣٣٢م) شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب
« نهاية الأرب فى فنون الأدب » (صور شمسية بدار الكتب المصرية بالقاهرة . رقم٥٤٩) .

٦٨ ــ هبة الله الشيرازى : (ت ٤٧٠هـ ، ١٠٧٧م) المؤيد فى الدين هبة الله .
« سيرة المؤيد فى الدين داعى الدعاة » .
(نشر الدكتور محمد كامل حسين ــ القاهرة ١٩٤٩ م) .

٦٩ ــ الهمدانى : حسين — Al—Hamdani, (Husain)
«Letters of Al—Mustansir Billah.»
(Billetin of the School of Oriental Studies, Vol Vll part 2. 1934)

٧٠ — هيد : Heyd, W
Histoire de Commerce du Levant au moyen Age (2 Vols. — Leipzig, 1923)

٧١ ــ ابن واصل : (ت٦٩٧هـ ، ١٢٩٧ — ١٢٩٨ م) جمال الدين محمد بن سالم بن واصل
« مفرج الكروب فى أخبار بنى أيوب » .
(نشر جمال الدين الشيال — ١٩٥٣ ، ١٩٥٧ م)

٧٢ ــ ابن الوردى : (ت ٧٥٠هـ ، ١٣٤٩ م)
« تتمة المختصر فى أخبار البشر » (القاهرة ـ ١٢٨٥هـ ، ١٨٦٨ م) .

٧٣ ــ ياقوت : (ت ٦٢٦ هـ ، ١٢٢٩ م) شهاب الدين أبو عبد الله الحموى الرومى .
« معجم البلدان » . (١٠ أجزاء ــ القاهرة ١٩٠٦ م) .

٧٤ ــ يحيى بن سعيد الأنطاكى : (ت ٤٥٨ هـ ، ١٠٦٦ م) .
صلة كتاب سعيد بن بطريق المسمى « التاريخ المجموع على التحقيق والتصديق » (جزءان ــ بيروت ١٩٠٩ م) .

٧٥ ــ اليمانى : محمد بن محمد .
« سيرة الحاجب جعفر بن على وخروج المهدى من سلميه ووصوله إلى سجلماسة (نشر إيفانو . مجلة كلية الآداب ـ جامعة القاهرة ـ ديسمبر ١٩٣٦) .

٧٦ ـ السجلات المستنصرية .
« سجلات وتوقيعات وكتب لمولانا الإمام المستنصر بالله أمير المؤمنين إلى دعاة اليمن وغيرهم » .
(نشر وتحقيق دكتور عبد المنعم ماجد سنة ١٩٥٤) .

٧٧ ـ مجموعة الوثائق الفاطمية .
(جمعها وحققها دكتور جمال الدين الشيال ـ القاهرة ١٩٥٨ م) .

٧٨ ــ Encyclopaedia of Islam.

٧٩ ــ Encyclopaedia of Religion and Ethics

٨٠ ــ تاريخ كامبردج العصور الوسطى
Cambridge Mediaeval History vol IV.

فهرس الأعلام

(ا)

الآمر بأحكام الله الفاطمى — ص ٩٧ ، ٩٨ ، ٩٩ ، ١٠٠ ، ١٠٢ ، ٢١٢ ، ٢١٣

ابراهيم بن الحسين الحامدى—ص٩٩

ابراهيم بن عبد الحميد الشيعى — ص ٧٧

ابراهيم بن محمد بن ابراهيم الزيادى — ص ٦٧

ابراهيم بن محمد الأخيضر — ص ٥٥

ابراهيم ينال — ص ١٧٩ ، ١٩٦ ، ١٩٧ ، ١٩٨ ، ١٩٩ ، ٢٠٠ ، ٢٠٤ ، ٢٠٥

أتسز التركمانى — ص ١٥٢ ، ١٥٣ ، ١٥٤

أحمد بن أبى سعيد الحسن (الملقب بأبى المنصور) — ص ٤٧ ، ٤٨ ، ١١٦ ، ١٢٢

أحمد الأكحل — ص ٢٣٦

أحمد بن بويه = معز الدولة

أحمد بن الحسن الكلبى — ص ٢٣٤ ، ٢٣٥

أحمد حميد الدين الكرمانى — ص ١٨٠ ﻫ

أحمد بن على بن ابراهيم بن الزبير الغسانى الأسوانى — ص ١٠٤

أحمد بن قرعب — ص ٢٣٢ ، ٢٣٣

أحمد بن مرزبان — ص ٦٤

الأخشيد = محمد بن طغج

إدريس بن زيرى الصنهاجى — ص ٢٤

أرتاش — ص ١٩٩

أرتق — ١٥٦

تنبيه : اعتمدنا فى ترتيب الأسماء على أول الإسم دون المبالاة بأداة التعريف ، وبلفظى الأب والابن . مثال ذلك : (ابن باديس) فقد ذكرناه فى حرف الباء ، و (ابن جفنم) تجده فى حرف الجيم ، و (أبو القاسم) فى حرف القاف . وكل اسم ورد بعد رقم يليه الحرف (ﻫ) فهو من أسماء الأعلام الواردة فى الهوامش .

أريسطيس (بطرك بيت المقدس) - ص ٢٤٣
اسحق بن عصودا - ص ١٢٠
أسد بن الفرات (قاضي القيروان) - ص ٢٣١
أسعد بن أبي يعفر - ص ٦٨
أسعد بن شهاب - ص ٨٣
أسماء بنت شهاب - ص ٨٢، ٨٣، ٨٤
اسماعيل بن ابراهيم بن جابر - ص ٦٣، ٦٤
اسماعيل بن جعفر الصادق - ص ٥٦ (٥)، ١٦٣
اسماعيل بن يوسف بن محمد الأخيضر - ص ٥٥
الأصغر بن أبي الحسن الثعلبي - ص ٥١
افتخار الدولة - ص ١٥٨
أفتكين (أبو منصور التركي الشرابي) ص ٩٣، ٩٤، ٩٥، ١٠٩، ١٢٣، ١٣٤، ١٣٥، ١٣٦، ١١٧، ١٣٨
الأفضل بن بدر الجمالي (الوزير) - ص ٩٢، ٩٣، ٩٠، ٩١، ١٥٥، ٢٠٠، ٢٠٨، ٢٠٩، ٢١٠
أموري (ملك بيت المقدس) - ص ٢٥٠
أنوشتكين الدزبري (القائد التركي) - ص ١٤٢، ١٤٩
أونوجور (ابن محمد بن طغج الأخشيد) - ص ١١٤، ١١٥
إيلغازي بن الأمير أرتق - ص ١٥٦

(ب)

باسيل الثاني (الامبراطور البيزنطي) - ص ١٤٠، ١٤٢، ١٤٤، ١٤٥، ١٦٧، ٢٤٠، ٢٤١، ٢٤٢، ٢٤٣، ٢٤٤، ٢٤٥
باديس - ص ٢٢٦، ٢٢٧
بدر (غلام عزيز الملك فاتك) - ص - ١٤٨
بدر الجمالي - ص ٨٦، ٨٧، ١٥٣، ١٥٤
برجوان - ص ١٣٩، ٢٤٢، ٢٤٣
بركياروق - ص ١٥٥
البساسيري = أبو الحارث أرسلان البساسيري .
بكجور التركي - ص ١٤٣، ١٤٤
أبو بكر أحمد بن محمد بن أيوب المعروف بابن فورك - ص ٢٠٤

أبو بكر الباقلانى ـ ١٧٤
بلكين بن زيرى بن منادالصنهاجى ـ ص ٢٢٥
ابن بلدكوز ـ ص ١٥٢
بهاء الدولة بن عضد الدولة ـ ص ١٧٣ ، ١٧٤ ، ١٧٥
بوهمند الترمندى ـ ١٥٦

(ت)

تاج الدولة تتش بن ألب أرسلان ـ ص ١٥٣ ، ١٥٤ ، ١٥٥
أبو تغلب بن ناصر الدولة بن حمدان ص ٥٧ ، ١٢٤
تميم بن المعز بن باديس ـ ٢٢٩

(ث)

ثمال بن صالح بن مرداس ـ ص ١٤٩ ، ١٩١ ، ١٩٣ ، ١٩٦ .

(ج)

جعفر الحاجب ـ ص ٧١ ، ٧٦ ، ٧٧
جعفر الصادق ـ ٥٦ (ه) ، ١٦٣ (ه) ، ٢١٤
جعفر بن فلاح الكتامى (القائد الفاطمى) ـ ٤٩ ، ٥٠ ، ٥١ ، ١١٨ ، ١١٩ ، ١٢٠ ، ١٢١ ، ١٢٢ ، ١٢٤ ، ١٢٥ ، ١٢٦ ، ١٣٠ ، ١٣١ ، ٢٣٩
جوهر الصقلى ـ ص ٢٤ ، ١١٧ ، ١١٨ ، ١٢٥ ، ١٢٦ ، ١٢٧ ، ١٣٢ ، ١٣٦ ، ١٣٧ ، ٢٢٣
جود فررى ـ ص ١٥٨
جياش ـ ص ٨١
أبو الجيش إبراهيم ـ ص ٦٨
أبو الجيش اسحق ـ ص ٦٧ ، ٧٩
جيش بن الصمصامة ـ ص ١٣٣ ، ١٣٩ ، ٢٤٢

(ح)

أبو الحارث أرسلان البساسيرى ـ ص ١٥١ ، ١٦١ ، ١٧٩ ، ١٨٥ ، ١٨٦ ، ١٨٧ ، ١٨٨ ، ١٨٩ ، ١٩٠ ، ١٩١ ، ١٩٢ ، ١٩٣ ، ١٩٤ ، ١٩٥ ، ١٩٦ ، ١٩٧ ، ١٩٨ ، ١٩٩ ، ٢٠٠ ، ٢٠١ ، ٢٠٢ ، ٢٠٣ ، ٢٠٤ ، ٢٠٥ ، ٢٠٧ ، ٢٠٩
الحافظ (الخليفة الفاطمى) ـ ص ٢٢ (ه) ، ٣٢ ، ٤٦ ، ١٠٢ ، ١٠٣ ، ١٠٤ .
الحاكم بأمر الله (الخليفة الفاطمى)ـ

ص ٢٥ ، ٢٦ ، ٢٧ ، ٢٩ ، ٣٠ ،
٣١ ، ٧٩ ، ١٣٩ ، ١٤٠ ، ١٤١ ،
١٤٧ ، ١٤٨ ، ١٧٣ ، ١٨٠ ،
٢٢٣ ، ٢٢٦ ، ٢٢٧ ، ٢٤٢
أبو حرب طغان - ص ٥٨
حسان بن مفرج بن الجراح الطائى
- ص ٢٥ ، ٢٦ ، ١٣٢ ، ١٣٩ ،
١٤٠ ، ١٤١ ، ١٤٣ ، ٢٤٤ ،
٢٤٥
الحسن بن أحمد القرمطى - ص
٤٨ ، ٤٩ ، ٥٠ ، ١٢٣ ، ١٢٤ ،
١٢٥ ، ١٢٦ ، ١٢٨ ، ١٢٩ ،
١٣٠ ، ١٣١ ، ١٣٢ ، ١٣٣ ،
١٣٦ ، ١٣٧ ، ١٣٨
الحسن بن الصباح - ص ٩٦ ،
٩٨ ، ٩٩ ، ٢٠٨ ، ٢١١ ، ٢١٢
الحسن أبو على الجنابى - ص ١٢٤
الحسن بن عبد الله بن حمدان =
ناصر الدولة بن حمدان
الحسن بن عبيد الله بن طغج
الأخشيد - ص ٢١ ، ٤٩ ، ١١٦ ،
١١٨
الحسن بن على بن أبى طالب -
ص ١٩ ، ٥٦ (ه) ، ١٦٣ (ه)
١٧٤ ، ٢٢٠
حسن بن على الزيدى - ص ١٦٨
أبو الحسن ولد ابن حوشب - ص
٧٤ ، ٧٥ ، ٧٦ ، ٧٧ ، ٧٨
حسن بن جعفر الحسنى - ص
٢٤ ، ٣٧
الحسن بن رباح - ص ٢٣٢
الحسن بن سهل - ص ٦٧
الحسن بن طاهر (مهى) - ص ٢٥
الحسن الكلبى - ص ٢٣٤
الحسن بن محمد بن أبى خنزير
الكتامى - ص ٢٣٢
حسين بن اسماعيل الأصبهانى
- ص ٩٠ ، ٩١
الحسين بن على بن أبى طالب -
ص ٢٢ ، ٥٥ ، ٥٦ (ه) ، ١٦٣
(ه) ، ١٧٤
حفص بن راشد - ص ٥٨
ابن الحلاج - ص ٥٨
الحلوانى - (الداعى) - ص ٧٠
حمدان بن الأشعث (قرمط) -
ص ٤١ (ه)
حمزة بن وحاش بن أبى الطيب
داود - ص ٢٧
حميد بن مصال - ص ٢٢٠
أبو حمير سبأ بن أحمد المظفر بن على
الصليحى - ٨٧ ، ٨٨ ، ٩١

حنا زيعسكيس ـ ص ٢٣٩ ، ٢٥١
أبو حنيفة النعمان بن أبي عبد الله محمد ـ ص ١٨٠ ، ١٨١ (هـ)
ابن حوشب ـ ص ٧٠ ، ٧١ ، ٧٢ ، ٧٣ ، ٧٤ ، ٧٥ ، ٧٧

(خ)

خمار تكين الطغرائي ـ ص ٢٠٦

(د)

داود بن عيسى بن قليته ـ ص ٣٧
أبو الدرداء محمد بن المسيب بن رافع ابن المقلد العقيلي ـ ص ١٧٣

(ر)

الراضي بن المقتدر ـ ص ٢٠ ، ٢٥ ، ٢٨ ، ٢٩ ، ١٦٦ (هـ)
أبو ربيع سليمان بن الأمير الزواحي ـ ص ٨٨
ربيعة أبو المكارم هبة الله ـ ص ٢٢٤
ابن رحيم ـ ص ٧٨
رستم بن الحسين بن حوشب ـ ص ٥٥ ، ٦٩
ابن رشد ـ ص ٦٠
رضوان بن تتش ـ ص ١٥٥ ، ١٥٦
ركن الدولة الحسن بن بويه ـ ص ١٦٦ (هـ)
أبو ركوة ـ ص ٢٢٣ ، ٢٢٤
روجر بن تنكرد الترمندي ـ ص ٢٣٦
رومانوس (أمبراطور الروم) ـ ص ٢٠
ريان الخادم (والي دمشق) ـ ص ١٣٤

(ز)

زريع بن أبي الفتح ـ ص ٩١ ، ١٠٤
زكريا بن عبد الملك الأزدي ـ ص ٦١
زيادة الله بن إبراهيم بن الأغلب ـ ص ٢٣١
زيد بن علي زين العابدين ـ ص ٦٨

(س)

سابور بن أبي طاهر ـ ص ٤٨
سبأ بن أحمد الصليحي ـ ص ٩٠ ، ٩١ ، ٩٢
ست الملك ـ ص ٢٤٣
سعادة بن حيان المغربي ـ ص ١٢٦ ، ١٣١
سعد الدولة أبو المعالي بن سيف الدولة الحمداني ـ ص ١٢١ ، ١٣٥ ، ١٤٢ ، ١٤٣ ، ١٤٤ ، ١٤٥

سعيد الأحول بن نجاح ـ ص ٨١ ، ٨٤ ، ٨٥
سعيد الدولة أبو الفضائل الحمدانى ـ ص ٤٣ ، ١٤٥ ، ١٤٦ ، ١٤٧ ، ٢٤٠
أبو سفيان (الداعى) ـ ص ٧٠
سقمان بن الأمير أرتق ـ ص ١٥٦ ، ١٥٧
سليمان بن داود بن الحسن بن الحسن ابن على بن أبى طالب ـ ص ١٩
سليمان بن عامر الزواحى ـ ص ٩٠
سنان بن عليان (أمير الكلبيين) ـ ص ١٤١
السيدة الحرة بنت أحمد بن محمد بن جعفر بن موسى الصليحى (صاحبة اليمن) ـ ص ٣٢ ، ٨٥ ، ٨٦ ، ٨٧ ، ٨٨ ، ٨٩ ، ٩٠ ، ٩١ ، ٩٢ ، ٩٣ ، ٩٤ ، ٩٥ ، ٩٦ ، ٩٧ ، ٩٩ ، ١٠٠ ، ١٠٢ ، ١٠٣ ، ١٠٤ ، ١٠٥
سيف الدولة مبارك بن منقذ ـ ص ١٠٦ ، ١١٥

(ش)

شرف الدولة مسلم بن قريش بن
بدران العقيلى ـ ص ١٥٠
الشريف أبو أحمد الموسوى ـ ص ١٧٥ ، ١٧٦
الشريف أبو طالب الحسن ـ ص ٢٩ ، ٣٠
شكر بن أبى الفتوح الحسن ـ ص ٢٧
شمس الدولة توران شاه ـ ص ١٠٦

(ص)

صالح بن مرداس أمير بنى كلاب ـ ص ١٤١ ، ١٤٢ ، ١٤٨
صدر الدين عبد الله بن مرداس الشافعى (قاضى القضاة) ـ ص ٢١٦
صدقة بن يوسف الفلاحى ـ ص ١٨٢
صلاح الدين يوسف بن أيوب ـ ص ١٠٥ ، ٢٠٢ ، ٢١٦ ، ٢٤٧

(ط)

أبو طاهر سليمان الجنابى القرمطى ـ ص ٤٣ ، ٤٤ ، ٤٥ ، ٤٦ ، ٤٧ ، ٤٨ ، ٤٩ ، ٥٠ ، ٥٧ ، ١٢٨ ، ١٦٤ ، ١٦٥

طاهر بن مسلم ـ ص ٢١

الطائع لله (الخليفة العباسى) ـ ص ٢٠ ، ٢١ ، ٢٤ ، ٢٥ ، ٢٩ ، ٣٠ ، ٣١ ، ٤٨ ، ٥١ ، ١١٩ ، ١٢٦ ، ١٣٥ ، ١٦٤ ، ١٦٥ ، ١٧١ ، ١٧٢ ، ١٨٥

طغرلبك السلجوقى ـ ص ٣٠ ، ١٥١ ، ١٧٩ ، ١٨٠ ، ١٨٢ ، ١٨٦ ، ١٨٧ ، ١٩٢ ، ١٩٤ ، ١٩٥ ، ١٩٦ ، ١٩٧ ، ١٩٨ ، ١٩٩ ، ٢٠٠ ، ٢٠٤ ، ٢٠٥ ، ٢٠٦ ، ٢٠٧ ، ٢٤٦

ابن الطفيل ـ ص ٨٧

طلائع بن رزيك ـ ص ٣٢ ، ٣٣ ، ٢٥٠

أبو الطيب داود بن عبدالرحمن بن عبدالله داود ـ ٣٧

(ظ)

ظالم بن موهوب العقيلى ـ ص ١٢٠ ، ١٢٤ ، ١٣٣ ، ١٣٤ ، ١٣٥

الظاهر لإعزاز دين الله (الخليفة الفاطمى) ـ ص ٢٧ ، ١٢٦ ، ١٤١ ، ١٤٨ ، ١٤٩ ، ١٧٧ ، ١٨٢ ، ٢١٦ ، ٢٢٧ ، ٢٤٤ ، ٢٤٥ ، ٢٤٩

(ع)

العاضد بالله (آخر الخلفاء الفاطميين) ـ ص ٣٣ ، ٢٠٢ ، ٢١٦ ، ٢٥١

عامر بن عبد الله الزواحى ص ٧٩ ، ٨٠

ابن عباس الشاورى ـ ص ٧٦

العباس (بن عبد المطلب) ـ ص ١٩٥

العباس بن عمرو الغنوى ـ ص ٤٢

العباس بن المكرم الهمدانى ـ ص ١٠٣ ، ١٠٤

عبد الرحمن الناصر ـ ص ٢١٩ ، ٢٢٠ ، ٢٢١

عبد الله بن الحسن بن على بن أبى طالب ـ ص ٥٥

أبو عبد الله الدامغانى ـ ص ٢٠٦

عبد الله بن عباس الشاورى ـ ص ٧٤ ، ٧٥ ، ١٠٧

أبو عبد الله الحسين بين أحمد بن زكريا المعروف بالشيعى ـ ص ٦٩ ، ٧٠ ، ٢٣١ ، ٢٣٢

عبد الله بن على العلوى ـ ص ٦١ ، ٦٢

عبد الله بن عمر بن الخطاب ـ ص ٣٠

عبد الله بن قحطان بن أبي يعفر ـ ص ٧٨ ، ٧٩

أبو عبد الله القضاعي ـ ص ٢٤٦

أبو عبد المأمون البطائحي ـ ص ٩٧ ، ٩٨ ، ٩٩ ، ٢١٢

عبد الله بن محمد الأخضر ـ ص ٥٥

أبو عبد الله بن ناصر الدولة بن حمدان ـ ص ١٤٩

عبد المجيد بن محمد بن المستنصر (الحافظ لدين الله) ص ٣٢ (ه) ٨٧ ، ٨٨ ، ٨٩ ، ٩٠ ، ١٠٢

عبد المؤمن بن علي (أمير دولة الموحدين) ـ ص ٢٢٩ ، ٢٣٠

عبد النبي بن مهدي ـ ص ١٠٦

عبد الوهاب بن أحمد بن مروان (أمير عمان) ص ٥٧ ، ٥٨

عبيد الله المهدي (الخليفة الفاطمي) ـ ص ٣٠ ، ٤٤ ، ٤٥ ، ٤٧ ، ٥٧ ، ٦٩ ، ٧٠ ، ٧١ ، ٧٢ ، ٧٣ ، ٧٤ ، ٧٥ ، ١٦٣ ، ١٦٤ ، ١٦٥ ، ١٨١ ، ٢١٩ (ه) ، ٢٢٠ ، ٢٢٢ ، ٢٢٣

عز الدولة بختيار (أمير بني بويه) ـ ص ١٤٣ ، ١٤٤

العزيز بالله (الخليفة الفاطمي) ـ ص ٢٤ ، ٧٨ ، ٧٩ ، ١٣٦ ، ١٣٧ ، ١٣٨ ، ١٤٣ ، ١٤٤ ، ١٤٥ ، ١٤٦ ، ١٤٧ ، ١٧٠ ، ١٧١ ، ١٧٢ ، ٢٢٢ ، ٢٢٥ ، ٢٢٦ ، ٢٢٧ ، ٢٤٠ ، ٢٤١

عزيز الملك فاتك الحداني (أمير الأمراء) ـ ص ١٤٨

عضد الدولة بن ركن الدولة البويهي ـ ص ٢٤ ، ٥٨ ، ٥٩ ، ١٧٠ ، ١٧١ ، ١٧٢

عضد الدين أبو الحسن جوهر المستنصري ـ ص ٨٧

علي بن ابراهيم بن نجيب الدولة ـ ص ٩٧ ، ٩٨ ، ٩٩

علي بن أبي طالب (رضي الله عنه) ـ ص ١٩ ، ٢٢ ، ٣٠ ، ٥٥ ، ٥٦ (ه) ، ١٦٣ (ه) ، ١٧٤ ، ١٧٥ ، ١٧٦ ، ١٧٨ ، ٢١٤

أبو علي أحمد بن الأفضل ـ ص ٣٢ (ه) ٧٢ ، ١٠٢ ، ٢١٤

علي بن بويه (عماد الدولة) ـ ص ١٦٦ (ه)

علي بن أبي تغلب بن ناصر الدولة بن حمدان ـ ص ١٢٤

علي بن جعفر بن فلاح ـ ص ١٤١

أبو علي الحسن بن ملهم (مكين الدولة)ـ ص ١٤٩ ، ١٥٠ ، ٢٢٨

علي سبأ بن أبي السعود بن ذريع ـ ص ١٠٤

علي بن السلار ـ ص ٢١٦

علي بن عيسى (وزير الخليفة المقتدر بالله) - ص ١٦٥، ١٦٦
علي بن الفضل اليماني - ص ٥٥، ٦٩، ٧١، ٧٢، ٧٣، ٧٤، ٧٥، ٧٦، ٧٩
علي بن عبد الله بن حمدان (سيف الدولة) - ص ١٠٧، ١١٣، ١١٤
علي بن عمر البلوي - ص ٢٢٢
علي بن أبي الفوارس - ص ٢٣٢
علي بن محمد الصليحي - ص ٢٨، ٦١، ٧٩، ٨٠، ٨١، ٨٢، ٨٣، ٨٤، ٨٩، ١٠٣، ١٠٤، ١٠٧
علي بن هطال - ص ٥٩، ٦٠
عمارة اليمني - ص ٢٢، ٣٢
عمر بن الخطاب - ص ١٦٣ (هـ)
عمر بن نبهان الطائي - ص ٥٨
عميد الملك الكندري (وزير السلطان طغرلبك) - ص ١٩٥، ١٩٦، ٢٠٥
عيسى بن جعفر (أمير مكة) - ص ٢٥، ٢٧
عيسى بن فايته (الأمير) - ص ٢٣
عيسى بن نسطورس - ص ١٤٦، ٢٤١، ٢٥١

(غ)

أبو الغارات بن مسعود - ص ١٠٤

(ف)

فاتك (غلام ملهم) - ص ١١٨
فاطمة بنت الرسول (صلى الله عليه وسلم) - ص ١٧٨، ٢١٤
أبو الفتح عثمان بن سعيد الكلابي - ص ١١٣
أبو الفتوح الحسن بن جعفر الحسني (أمير مكة) - ص ٢٥، ٢٦، ٢٧، ٣٧، ٦٠، ١٤٠، ٢١٥
أبو الفرج عبد الله بن محمد البابلي (الوزير) ص ٢٠٣
الفضل بن عبد الله - ص ٢٢٤
أبو الفوارس - ص ١٧٧
أبو الفهم الخراساني - ص ٢٢٥، ٢٢٦
فيروز - ص ٧٢، ٧٣

(ق)

القادر بالله (الخليفة العباسي) - ص ٤٥، ٥٠، ٨٠، ١٤٧، ١٧٣، ١٧٤، ١٧٥، ١٧٦، ١٧٧، ١٧٨، ١٨٨، ٢٠٠، ٢٢٨

أبو القاسم بن أبى يعلى العباسى ـ ١٢٠
أبو القاسم أحمد (المستعلى بالله) ـ ص ٨٣ ، ٩٢ ، ٩٣ ، ٩٤ ، ٩٥، ٩٦ ، ١٠٣، ١٥٦ ، ١٥٨، ٢١١، ٢١٤
أبو القاسم حسن بن على المغربى ـ ص ٢٥ ، ٢٦ ، ٢٧ ، ١٣٩ ، ١٤٠
أبو القاسم الطيب ـ ص ٢١ ، ٢٢ (ه)، ٥٩ ، ١٠٠ ، ١٠١ ، ١٠٢، ١٠٣ ، ١٠٤ ، ١٠٥
أبو القاسم على بن المسلمة (رئيس الرؤساء) ـ ص ١٨٥ ، ١٨٦ ، ١٩٥ ، ٢٠٠ ، ٢٠١
أبو القاسم على بن ناصر الدولة الحسين بن مكرم (أمير عمان) ـ ص ٥٩
قاسم بن محمد بن جعفر الحسنى ـ ص ٣١ ، ٣٧
القاسم بن هاشم بن فليته ـ ص ٢٣، ٢٧
القائم بأمر الله «الخليفة العباسى» ـ ص ٧٧ ، ١٥١ ، ١٧٨ ، ١٧٩ ، ١٨١ ، ١٨٢ ، ١٨٣، ١٨٤، ١٨٦، ١٨٧ ، ١٨٨ ، ١٨٩ ، ١٩٥ ، ١٩٦ ، ٢٠١ ، ٢٠٣ ، ٢٠٤ ، ٢٠٥ ، ٢٠٦ ، ٢٠٧ ، ٢٠٨ ، ٢٠٩ ، ٢١٠ ، ٢١٤ ، ٢٢٨ ، ٢٤٦
قتلمش «ابن عم طغرلبك» ـ ص ١٩٤
قرعويه ـ ص ١٢١
قرواش بن المقلد «أمير بنى عقيل» ـ ص ١٧٣ ، ١٧٥
قريش بن بدران ـ ص ١٨٦، ١٩٤، ١٩٦ ، ١٩٧ ، ١٩٨ ، ١٩٩ ، ٢٠٠ ، ٢٠١ ، ٢٠٢ ، ٢٠٤ ، ٢٠٥
قسطنطين السابع «إمبراطور الدولة البيزنطيه» ـ ص ٢٢١ ، ٢٣٣، ٢٣٤
قسطنطين التاسع ـ ص ٢٤٥
قسطنطين الثامن ـ ص ٢٤٣

(ك)

كافور الأخشيدى ـ ص ٢١، ١١٥ ، ١١٨
أبو كاليجار (أمير بنى بويه) ـ ص ٦٠، ١٧٧ ، ١٧٩ ، ١٨٠، ١٨١، ١٨٢ ، ١٨٣ ، ١٨٤

(ل)

لؤلؤ بن مالك ـ ص ٨٤

لؤلؤ الخادم ـ ص ١٤٥، ١٤٦، ١٤٧

(م)

الإمام مالك بن أنس ـ ص ٢٢٧
المأمون العباسى ـ ص ٦٧ ، ١٦٣، ٢٣١
مانويل (القائد البيزنطى) ـ ص ٢٢٥، ٢٤٧
المتقى بالله (الخليفة العباسى) ـ ص ٥٧
محمد (رسول الله صلى الله عليه وسلم) ـ ص ٥٦ (ه) ، ١٠١ ، ١٦٣ (ه) ١٧٢ ، ١٧٦ ، ١٩٣
محمد بن إبراهيم الزبادى ـ ص ٦٧
محمد الأخيضر ـ ص ٥٥
محمد بن جعفر (أمير مكة) ـ ص ٢٨، ٢٩ ، ٣٠ ، ٢٠٨
محمد الحبيب (إمام الإسماعيلية) ـ ص ٦٩ ، ٧٠ ، ٧٣
أبو محمد الحسن اليازورى ـ ص ١٨٩، ١٩٠ ، ١٩١ ، ٢٠٣ ، ٢٢٨
محمد بن خلف النيرمانى ـ ص ١٦٤
محمد بن رائق الخزرى ـ ص ١١١، ١١٢ ، ٢١٩
محمد بن سبأ الزريعى ـ ص ١٠٤ ، ١٠٥
محمد شكر بن أبى الفتوح الحسن ـ ص ٢٧
محمد بن طغج الأخشيد ـ ص ٢٠ ، ١١١ ، ١١٤ ، ١١٥
محمد بن القاسم ـ ص ٥٦
محمد المنتظر ـ ص ١٢٤
أبو محمود بن جعفر بن فلاح ـ ص ١٢٣ ، ١٣٤ ، ١٣٥
محمود بن صالح بن مرداس ـ ص ١٥٢
محمود بن محمد بن ملكشاه (السلطان السلجوقى) ـ ص ٢١٥
محمود بن نصر بن صالح بن مرداس ـ ص ١٤٩ ، ١٥٠
محيى الدين مهارش بن المجلى العقيلى ـ ص ٢٠٢ ، ٢٠٤ ، ٢٠٥
مرداويج بن زيار الديلمى ـ ص ١٦٦ (ه) ، ١٦٨ (ه)
مرزبان بن إسحق بن مرزبان ـ ص ٦٣ ، ٦٤
المسترشد بالله (الخليفة العباسى) ـ ٣١ ، ٣٢ ، ٢٠٨ ، ٢١٥
المستضىء بأمر الله (الخليفة العباسى) ص ١٠٦ ، ٢٠٢

المستكفي بالله (الخليفة العباسي) — ص ١١٢ ، ١١٣
المستنجد بالله (الخليفة العباسي) — ص ٣٢ ، ٣٣
المستنصر بالله (معد أبو تميم) (الخليفة الفاطمي) — ص ٢٧ ، ٢٨ ، ٢٩ ، ٣٠ ، ٦١ ، ٦٣ ، ٧٩ ، ٨١ ، ٨٢ ، ٨٣ ، ٨٤ ، ٨٥ ، ٨٦ ، ٨٧ ، ٨٨ ، ٨٩ ، ٩٠ ، ٩١ ، ٩٢ ، ٩٤ ، ٩٥ ، ٩٦ ، ١٠٠ ، ١٠٣ ، ١٤٩ ، ١٥٢ ، ١٥٣ ، ١٥٤ ، ١٨٠ ، ١٨٣ ، ١٨٧ ، ١٨٩ ، ١٩٠ ، ١٩١ ، ١٩٢ ، ١٩٣ ، ١٩٥ ، ٢٠٠ ، ٢٠٢ ، ٢٠٣ ، ٢٠٤ ، ٢١٠ ، ٢١١ ، ٢٢٢ ، ٢٢٨ ، ٢٤٥ ، ٢٤٦ .
مسعود بن المكرم الهمداني — ص ١٠٣ ، ١٠٤ ، ٢١٥
مصالة بن حبوس — ص ٢١٩
المطهر بن عبد الله — ص ٥٨
المطيع لله (الخليفة العباسي) — ص ٢١ ، ١٢٢ ، ١٢٥ ، ١٢٦ ، ١٣٠
معاوية بن أبي سفيان — ص ٢١١
معز الدولة أحمد بن بويه — ص ٢١ ، ٥٧ ، ٥٨ ، ١٣٤ (هـ) ١٦١ (هـ) ، ١٦٦
المعز بن باديس الصنهاجي — ص ٢٢٧ ، ٢٢٨ ، ٢٤٦
المعز لدين الله (الخليفة الفاطمي) — ص ٢٢ ، ٢٤ ، ٤٩ ، ٧٨ ، ١١٧ ، ١٢٥ ، ١٢٧ ، ١٢٨ ، ١٢٩ ، ١٣١ ، ١٣٢ ، ١٣٣ ، ١٣٤ ، ١٣٥ ، ١٣٦ ، ١٤٢ ، ١٥٣ ، ١٦٧ ، ١٦٨ ، ٢١٩ ، ٢٢٠ ، ٢٢١ ، ٢٢٢ ، ٢٢٥ ، ٢٣٤ ، ٢٣٥ ، ٢٣٩
مفرج بن دغفل بن الجراح — ص ٢٧ ، ١٣٩ ، ١٤٠
المفضل بن أبي البركات بن الوليد الحميري — ص ٩٦ ، ٩٧ ، ١٠٤
المقتدر بالله (الخليفة العباسي) — ص ١٩ ، ٣٠ ، ٤٤ ، ١١٢ ، ١٦٤ ، ٢١٥ ، ٢٣٢
المقتدي بأمر الله (الخليفة العباسي) — ص ٣٠ ، ٥٢ ، ٢٠٧ ،
المقتفي لأمر الله (الخليفة العباسي) — ص ٣٢ ، ٢٢٩
المكتفي بالله (الخليفة العباسي) — ص ٧٠ ، ٧١ ، ١١٢

مكثر بن عيسى بن فليتة ـ ص ٢٧
المكرم أحمد بن محمد الصليحي ـ ص ٦١ ، ٦٢ ، ٨٤ ، ٨٥ ، ٨٦ ، ٨٧ ، ١٠٣ ، ١٠٤
مكين الدولة الحسن بن ملهم ـ ص ٢٤٦
ملكشاه (سلطان السلاجقة) ـ ص ١٥٠ ، ١٥٢ ، ١٥٤ ، ٢٠٧ ، ٢٠٨
الملك الرحيم البويهي ـ ص ١٨٧ ، ١٨٨
أبو المنجا القرمطي ـ ص ١٣٢ ، ١٣٣
منجوتكين التركي ـ ص ١٤٥ ، ١٤٦ ، ٢٤١
المنصور (الخليفة الفاطمي) ـ ص ٢٣٣
المنصور بن أبي عامر ـ ص ٢٢٣
أبو منصور عبد القاهر البغدادي ـ ص ١٧٢
منصور بن لؤلؤ الخادم ـ ص ٦٠ ، ١٤٧ ، ١٧٥
منصور بن المفضل بن أبي البركات ـ ص ١٥
ابن منيع الخفاجي ـ ص ٢٠٦
موسى بن أبي العافية ـ ص ٢٢٠
الموفق بن الخياط ـ ص ٩٩
مؤنس الخادم ـ ص ٤٤
المؤيد في الدين هبة الله الشيرازي ـ ص ١٨٠ ، ١٨١ ، ١٨٢ ، ١٨٣ ، ١٨٦ ، ١٨٩ ، ١٩٠ ، ١٩١ ، ١٩٢ ، ١٩٣ ، ١٩٤ ، ١٩٥ ، ١٩٦ ، ١٩٧ ، ١٩٨ ، ١٩٩ ، ٢٠٠
ميخائيل الرابع (الإمبراطور البيزنطي) ـ ص ٢٣١ ، ٢٤٥

(ن)

ناصر الدولة الحسين بن حمدان التغلبي ـ ص ٨٦ ، ١١٣ ، ١٤٩ ، ١٥٠ ، ٢١٠ ، ٢١١
ناصر خسرو ـ ص ٣٦
نجاح ـ ص ٨٠ ، ٨١
أبو النجم المستنصري ـ ص ٦٢
نزار بن المستنصر بالله الفاطمي ـ ص ٩٢ ، ٩٣ ، ٩٤ ، ٩٥ ، ٩٦ ، ٩٨ ، ١٥٥ ، ٢١١
نصر الحاجب ـ ص ١٨٣
نصر الدولة أحمد بن مروان ـ ص ١٩٢

نصر بن صالح بن مرداس ـ ص ١٤٢ ، ١٤٩ ، ١٥٣
نصير الدولة باديس (الأمير) ـ ص ٢٢٦
نقفور فوكاس (الإمبراطور البيزنطي) ـ ص ١٢١ ، ٢٣٤ ، ٢٤٣
نور الدولة دبيس بن مزيد ـ ص ١٨٧ ، ١٩٤ ، ١٩٦
نور الدين محمود ـ ص ٢٤٧ ، ٢٤٩

(هـ)

هاشم بن فليتة (أمير مكة) ـ ص ٣٢
أبو هاشم محمد بن جعفر بن محمد (تاج المولى) ـ ص ٣٧
ابن هبيرة ـ ص ٢١٥
هشام المؤيد بالله ـ ص ٢٢٢
هشام بن عبد الملك بن مروان ـ ص ٢٢٣

(ى)

ياسر بن بلال ـ ص ١٠٥ ، ١٠٦
يانس العزيزى ـ ص ٢٢١
يحيى بن القاسم الرسى (الملقب بالهادى) ـ ص ٦٨
أبو يزيد مخلد بن كيداد ـ ص ٦٧ ، (هـ) ، ٢٢٣
يعقوب بن كلس ـ ص ١٣٦ ، ١٤٣
يوسف بن الأسد ـ ص ٧٨ ، ٧٩
يوسف بن أحمد بن أبى الساج ـ ص ١٦٤ ، ١٦٥
يوسف بن وجيه (أمير عمان) ـ ص ٥٧

فهرس الأمم والقبائل والعشائر والطوائف

(أ)

آل البيت ـ ص ٧١ ، ١٧٨ ، ١٩٤

آل زريع ـ ص ١٠٣ ، ١٠٤ ،
١٠٥

آل الزواحى ـ ص ٨٩ ، ٩١

آل الصليحيين ـ ص ٨٢ ، ٨٨ ،
٨٩ ، ٩١ ، ١٠٣ ، ١٠٥ ، ١٠٧

الأتراك ـ ص ٣٠ ، ٤٦ ، ٤٧ ، ٥٥ ،
١٣٠ ، ١٣١ ، ١٣٤ ، ١٤٠ ، ١٥٢ ،
١٥٩ ، ١٦٦ ، ١٧٧ ، ١٧٩ ، ١٨٤ ،
١٨٥ ، ١٨٦ ، ١٩٣ ، ١٩٤ ، ١٩٩ ،
٢١٠ ، ٢١١ ، ٢٢٣

الأتراك البغداديون ـ ص ١٩٦

الاثنا عشرية ـ ص ١٦٦

الأخشيديون ـ ص ٢١ ، ٢٢ ، ٤٩ ،
١١١ ، ١١٢ ، ١١٥ ، ١١٦ ، ١١٧ ،
١١٨ ، ١١٩ ، ١٢٠ ، ١٢١ ، ١٢٣ ،
١٢٤ ، ١٢٧

الإسماعيليون ـ ص ٣٢ (هـ) ، ٤٧ ،
٥٥ ، ٥٦ ، ٦٢ ، ٦٥ ، ٦٧ ، ٧٠ ،
٧٣ ، ٧٤ ، ٧٧ ، ٧٨ ، ٧٩ ، ٨٠ ،
٨٢ ، ٨٥ ، ٩٥ ، ٩٦ ، ٩٧ ، ١٠٣ ،
١٠٤ ، ١٦٣ ، ١٦٥ ، ١٨٠ ، ٢٠٨ ،
٢٠٩ ، ٢١١ ، ٢١٢ ، ٢١٣ ،
٢١٤ ، ٢١٥ ، ٢١٦ ، ٢٢٧

الأعراب ـ ص ٤١ ، ١٨٥ ، ١٩٣

الأكراد ـ ص ١٨٥ ، ١٩٣ ، ١٩٤

الأمامية ـ ص ٢١٢

الأمويون ـ ص ٢١٧ ، ٢١٩ ، ٢٢٠ ،
٢٢٢ ، ٢٢٣ ، ٢٢٩

الأندلسيون ـ ص ٢١٩

(ب)

البربر ـ ص ٢١٠ ، ٢٢٥ ، ١٢٨

بنو الأغلب ـ ٢٣٢

بنو الأخيضر ـ ٥٥ ، ٥٦

بنو الأصفر ـ ص ١٣٠

بنو البريدى ـ ص ٥٧

البريديون ـ ص ١١٢

بنو بويه ـ ص ٢١ ، ٤٧ ، ٤٩ ، ٥٠ ،
٥١ ، ٥٩ ، ٦٠ ، ٦١ ، ١٢٣ ،
١٦٦ ، ١٦٨ ، ١٧٠ ، ١٧٢ ،
١٧٧ ، ١٧٩ ، ١٨٠ ، ١٨٣ ،
١٨٥ ، ١٨٦ ، ٢٠٧

بنو تغلب ـ ص ٥١ ، ٥٢

بنو الجراح - ص ٢٧ ، ١٠٩ ،
١٣٣ ، ١٤٩ ، ١٤٠ ، ١٥١
بنو جعفر بن أبي طالب - ٢٣
بنو الحسن بن علي بن أبي طالب -
ص ٢٣ ، ٢٤ ، ٢٥ ، ٢٦
بنو الحسين بن علي بن أبي طالب -
ص ٢٢ ، ٢٣ ، ٢٤ ، ٣٠ ، ٥٦
(ه) ، ١٦٢ (ه)
بنو حمدان - ص ١١٣ ، ١٤٨ ،
١٧٣ (ه)
بنو زياد - ص ٨٠ ، ١٠٣
بنو زيرى - ص ٢٢٥ ، ٢٢٦ ، ٢٢٧
٢٢٨ ، ٢٢٩
بنو سليمان - ص ١٩ ، ٢٢ ، ٢٩
بنو طيء - ص ١٣٢ ، ١٣٣ ، ١٤٠
١٤١
بنو عامر بن عوف بن عامر بن
عقيل - ص ٥١ ، ٥٢ ، ١٧٢ ،
(ه) ، ١٩٦ ، ٢٠٠
بنو العباس - ص ١٩ ، ٣٢ ، ٢٤ ،
٥٩ ، ٦٧ ، ٦٨ ، ٨٠ ، ١٢٨ ،
١٢٩ ، ١٦٤ ، ١٧٢ ، ٢٠٢ ، ٢٠٣
بنو قرة - ص ٢٢٣
بنو كلاب - ص ١٤١ ، ١٤٣ ، ١٤٤
١٤٨ ، ١٧٣ (ه) ، ١٩٣

بنو مرداس - ص ١٥٠ ، ١٥١
بنو معن بن زائدة - ص ١٠٣
بنو نمير - ص ١٧٣ (ه)
بنو هلال - ص ٢٢٨ ، ٢٢٩
بنو يعفر - ص ٦٩
البغداديون - ص ٨٦ ، ١٨٩ ،
١٩٢ ، ١٩٣ ، ١٩٧
البيزنطيون - ص ١٢١ ، ١٧٠ ،
٢٣٤ ، ٢٣٥ ، ٢٣٦ ، ٢٣٧ ،
٢٣٩ ، ٢٤٠ ، ٢٤١ ، ٢٤٢ ،
٢٤٣ ، ٢٤٥ ، ٢٤٦ ، ٢٤٧ ،
٢٤٩ ، ٢٥١
التركمان - ص ١٥٢ ، ٢٠٠
تغلب - ص ١١٢

(ح)

الحمدانيون - ص ٢٤ ، ١٠٩ ، ١١٢
١١٤ ، ١١٥ ، ١١٦ ، ١٢١ ،
١٢٤ ، ١٣٥ ، ١٤٢ ، ١٤٤ ،
١٤٧ ، ١٤٨ ، ١٥٠ ، ١٧٣ (ه)

(خ)

الخوارج - ص ٥٨ ، ٦٠ ، ٦١ ، ٦٢ ،
١٧٥
الخولانيون - ص ٩٧

(د)

الدولة الأموية ـ ص ٢٢٠
الدولة البيزنطية ـ ص ١٢١ ، ٢٢٧ ، ٢٢٩ ، ٢٤٣ ، ٢٤٤ ، ٢٤٦
الدولة الزيادية ـ ص ٦٩
دولة السليمانيين ـ ص ١٩
الدولة العباسية ـ ص ٤٢ ، ١٥٢ ، ١٧٧
الدولة الفاطمية ـ ص ٦٤ ، ٨٦ ، ٩٢ ، ٢١٦ ، ٢٢٠ ، ٢٢٧ ، ٢٤٣ ، ٢٤٤
دولة القرامطة ـ ص ٤٣ ، ٤٤ ، ٤٧ ، ٤٨ ، ١٦٥ (هـ)
دولة الموحدين ـ ص ٢٢٩
الديلم ـ ص ٦٠ ، ١٤٤ ، ١٦٨ ، ١٦٩ ، ١٨٠ ، ١٨٤ ، ١٨٦

(ر)

الرافضة ـ ص ١٦٦
الروم ـ ص ٤٦ ، ١١٧ ، ١٢١ ، ١٢٥ ، ١٣١ ، ١٤٤ ، ١٤٥ ، ١٤٦ ، ١٥٢ ، ٢١٠ ، ٢٣١ ، ٢٣٤ ، ٢٣٦ ، ٢٤٤ ، ٢٤٨

(ز)

زناته ـ ص ٢١٩ ، ٢٢٦ ، ٢٢٨
الزنج ـ ص ٥٨
الزيدية ـ ص ١٦٨
الزيريون ـ ص ٢١٧ ، ٢٢٥

(س)

السلاجقة ـ ص ٣٤ ، ١٥٠ ، ١٥١ ، ١٥٢ ، ١٥٣ ، ١٥٤ ، ١٥٦ ، ١٥٧ ، ١٥٩ ، ١٦١ ، ١٨٠ ، ١٨٧ ، ١٨٨ ، ١٨٦ ، ١٩٥ ، ١٩٦ ، ١٩٧ ، ٢٠٤ ، ٢٠٥ ، ٢٠٧ ، ٢٠٨ ، ٢٠٩ ، ٢١٣ ، ٢١٤ ، ٢١٥ ، ٢٤٦
السنيون ـ ص ٧٩ ، ٨٠ ، ١٢٩ ، ١٧٣ ، ٢٠٨ ، ٢١١ ، ٢١٤

(ش)

الشيعة ـ ص ٢٩ ، ٣٤ ، ٥٦ (هـ) ، ٩٧ ، ١١٧ ، ١٢٦ ، ١٦٨ ، ١٦٩ ، ١٧٢ ، ١٧٣ ، ١٧٥ ، ٢٠٠ ، ٢٠٦ ، ٢٠٨ ، ٢١٤ ، ٢١٥ ، ٢٢٧

(ص)

الصليبيون ص ١٥٦ ، ١٥٧
١٥٨ ، ١٥٩ ، ٢٤٧ ، ٢٤٩
٢٥٠

(ع)

العباسيون ـ ص ١٩ ، ٢٠ ، ٢١ ،
٢٢ ، ٢٣ ، ٢٤ ، ٣٠ ، ٣١ ، ٣٤ ،
٣٥ ، ٣٦ ، ٤١ ، ٤٤ ، ٤٦ ، ٤٧ ،
٤٨ ، ٥٥ ، ٥٦ ، ٦٥ ، ٦٧ ، ٨٢ ،
١٠٦ ، ١١٧ ، ١٢١ ، ١٢٣ ،
١٢٥ ، ١٦٤ ، ١٦٦ ، ١٦٩ ،
١٧٩ ، ١٨٠ ، ١٨٣ ، ١٩٥ ،
١٩٨ ، ٢٠٧ ، ٢٠٩ ، ٢١٣ ،
٢١٥ ، ٢٢٨

العرب ـ ص ٢١ ، ٤٢ ، ٥٦ ،
١٢٧ ، ١٣٨ ، ١٤٠ ، ١٤١ ،
١٤٣ ، ١٤٤ ، ١٥٠ ، ١٥٢ ،
١٥٣ ، ١٥٨ ، ١٨٤ ، ١٨٥ ،
١٩٤ ، ١٩٥ ، ٢١٠ ، ٢٢٨ ،
٢٢٩ ، ٢٤٥ ، ٢٥١

العقيليون ص ١٢٤ ، ١٧٢ (ه)

العلويون ـ ص ١٩ ، ٢١ ، ٢٢ ،
٢٣ ، ٤٦ ، ٤٧ ، ١٢٦ ، ١٦٩ ،
١٧٠ ، ١٧٢ ، ١٧٥

(غ)

الغز ـ ص ١٥١
الغلمان الحمدانية ـ ص ٢٢٤

(ف)

الفاطميون ـ ص ١٧ ، ١٩ ، ٢٣ ،
٢٤ ، ٢٥ ، ٢٧ ، ٢٨ ، ٢٩ ، ٣١ ،
٣٢ ، ٣٤ ، ٣٥ ، ٣٦ ، ٣٩ ،
٤١ ، ٤٤ ، ٤٦ ، ٤٧ ، ٤٨ ،
٤٩ ، ٥٠ ، ٥٣ ، ٥٥ ، ٦١ ، ٦٣
٦٥ ، ٦٧ ، ٧٦ ، ٧٧ ، ٨٣ ، ٩٢ ،
٩٦ ، ١٠٠ ، ١٠٥ ، ١٠٩ ، ١١١
١١٧ ، ١٢١ ، ١٢٢ ، ١٢٣ ، ١٢٤
١٢٥ ، ١٢٦ ، ١٢٨ ، ١٢٩ ، ١٣١
١٣٢ ، ١٣٣ ، ١٣٤ ، ١٣٥ ، ١٣٦
١٣٧ ، ١٣٨ ، ١٣٩ ، ١٤١ ،
١٤٢ ، ١٤٣ ، ١٤٤ ، ١٤٥ ،
١٤٦ ، ١٤٧ ، ١٤٨ ، ١٤٩ ،
١٥ ، ١٥١ ، ١٥٢ ، ١٥٣ ، ١٥٤
١٥٦ ، ١٥٧ ، ١٥٨ ، ١٥٩ ،

١٦١ ، ١٦٣ ، ١٦٤ ، ١٦٥ ،
١٦٦ ، ١٦٧ ، ١٦٨ ، ١٧٠ ،
١٧٢ ، ١٧٤ ، ١٧٥ ، ١٧٦ ،
١٧٧ ، ١٧٨ ، ١٨٠ ، ١٨٢ ،
١٨٣ ، ١٨٦ ، ١٨٧ ، ١٩١ ، ١٩٥ ،
١٩٧ ، ١٩٨ ، ١٩٩ ، ٢٠٢ ،
٢٠٣ ، ٢٠٨ ، ٢١٣ ، ٢١٤ ،
٢١٧ ، ٢١٩ ، ٢٢٠ ، ٢٢٣ ،
٢٢٥ ، ٢٢٦ ، ٢٢٧ ، ٢٣١ ،
٢٣٢ ، ٢٣٣ ، ٢٣٤ ، ٢٣٥ ،
٢٣٦ ، ٢٣٧ ، ٢٣٩ ، ٢٤١ ،
٢٤٢ ، ٢٤٤ ، ٢٤٥ ، ٢٤٦ ،
٢٤٧ ، ٢٤٩ ، ٢٥٠ ، ٢٥١

الفرس ـ ص ١٨١

الفرنج ـ ص ١٥٩ ، ٢٤٧ ، ٢٤٨

(ق)

قبائل كتامه ـ ص ٢٢٥ ، ٢٣٦

قبائل خولان ـ ص ٩٧

قبيلة سليم ـ ص ٢٦

قبيلة عوف بن عامر ـ ص ٢٦

قبيلة مغراوه ـ ٢١٩

قبائل بنى هلال ـ ص ٢٢٨ ، ٢٢٩

القرامطة ـ ص ١٩ ، ٢٠ ، ٣٥ ،
٣٩ ، ٤١ ، ٤٦ ، ٤٧ ، ٤٩ ، ٥٠ ،
٥١ ، ٥٢ ، ٥٦ ، ٥٧ ، ١٠٩ ،
١١٦ ، ١١٧ ، ١٢٠ ، ١٢٤ ،
١٢٥ ، ١٢٧ ، ١٢٨ ، ١٣٢ ،
١٣٣ ، ١٣٦ ، ١٣٧ ، ١٣٨ ،
١٥٣ ، ١٦٣ ، ١٦٤ ، ١٦٥ ، ٢٠٩

(ك)

الكافورية ـ ص ١٢٧

الكلابيون ـ ص ١١٣

الكلبيون ـ ص ١٤١ ، ١٩٤

(م)

المجوسيه ـ ص ١٦٩ (هـ)

المرادسيون ـ ص ١٠٩ ، ١٤٨ ، ١٥٠

المصريون ـ ص ١١٥ ، ١٢٧ ،
١٤٦ ، ١٩٩ ، ٢٠٠

المغاربة ـ ص ٩٤ ، ١١٩ ، ١٢٤ ،
١٣٣ ، ١٣٤ ، ١٣٦ ، ١٤٤ ،
١٤٦ ، ٢٢٢

(ن)

النزارية ـ ص ٩٥ ، ٩٦ ، ٩٨ ، ٩٩ ،
١٥٩ ، ٢١١ ، ٢١٢ ، ٢١٣

(هـ)

الهواشم ـ ص ٢١ ، ٣٠

فهرس البلاد والمدن والمواضع والأنهار

(أ)

الأحساء ـ ص ٤١ ، ٤٣ ، ٤٥ ، ٤٧ ، ٥٠ ، ٥١ ، ٦٢ ، ١٢٠ ، ١٢٧ ، ١٣٢

أذربيجان ـ ص ١٥١

أرجان ـ ص ١٦٦ (٨)

أرض الطباله ـ ص ٢٠٣

أرمينية ـ ص ١٠٢ ، ٢٤٣

الاسكندرية ـ ص ٩٢ ، ٩٣ ، ٩٤ ، ٩٥ ، ١٥٥ ، ٢١٠ ، ٢١٦ ، ٢٢٤ ، ٢٤٩ ، ٢٥٠

أصبهان ـ ص ١٧٩

أفاميه ـ ص ٢٤٤

إفريقية ـ ص ٥٢ ، ٨٣ ، ٢٢٥

ألموت ـ ص ٢١٢

أمالفى ـ ص ٢٤٩

الأنبار ـ ص ١٧٣ ، ١٨٦

الأندلس ـ ص ٢١٧ ، ٢١٩ ، ٢٢٠ ، ٢٢١ ، ٢٢٢ ، ٢٢٣

أنطاكيه ـ ص ١٢١ ، ١٢٢ ، ١٢٥ ، ١٤٤ ، ١٤٥ ، ١٥٦ ، ١٥٧ ، ١٥٩ ، ٢٢٩ ، ٢٤٠ ، ٢٤١ ، ٢٤٢ ، ٢٤٦ ، ٢٤٧

أنطرطوس ـ ص ١٤٦ ، ٢٤٠

الأهواز ـ ص ٥٧ ، ١٦٦ (٨) ، ١٧٩ ، ١٨٥

(ب)

باب البصرة ـ ص ٥١

باب عسقلان ـ ص ١٣٧

بابل ـ ص ٤٦

بالس ـ ص ١٩٦

بخارى ـ ص ١٥١

برقة ـ ص ٤٦ ، ٢٢٣ ، ٢٢٦ ، ٢٢٨ ، ٢٣٠

البصرة ـ ص ٤٣ ، ٤٤ ، ٥٧ ، ١٧٧ ، ١٨٤ ، ١٨٥ ، ١٩٦ ، ٢١٥

بعلبك ـ ص ١٣٥ ، ٢٣٩

بغداد ـ ص ٢ ، ٢١ ، ٢٩ ، ٤٤ ، ٤٧ ، ٤٩ ، ٥٨ ، ٥٩ ، ١١١ ، ١١٣ ، ١٢٣ ، ١٥١ ، ١٦١ ، ١٦٣ ، ١٦٤ ، ١٦٧ ، ١٦٨ ، ١٦٩ ، ١٧١ ، ١٧٢ ، ١٧٣ ،

١٧٥ ، ١٧٧ ، ١٧٩ ، ١٨٥ ،
١٨٦ ، ١٨٧ ، ١٨٨ ، ١٨٩ ،
١٩٥ ، ١٩٦ ، ١٩٨ ، ١٩٩ ،
٢٠٠ ، ٢٠١ ، ٢٠٢ ، ٢٠٣ ،
٢٠٥ ، ٢٠٦ ، ٢٠٧ ، ٢٠٨ ،
٢١٠ ، ٢١٥
بلاد البحرين ـ ص ١٩ ، ٣٩ ، ٤١ ،
٤٢ ، ٤٣ ، ٤٤ ، ٤٧ ، ٤٨ ، ٥٠ ،
٥١ ، ٥٢ ، ٥٦ ، ٥٧ ، ١١٦ ،
١٢١ ، ١٢٢ ، ١٢٣ ، ١٢٥ ،
١٣٦ ، ١٦٥
بلاد الجزيرة ـ ص ١٥٥
بلاد الجبل ـ ص ١٩٦ ، ١٩٨
بلاد الحجاز ـ ص ١٧ ، ١٩ ، ٢١ ،
٢٢ ، ٢٣ ، ٢٤ ، ٢٦ ، ٣٠ ، ٣١ ،
٣٣ ، ٣٤ ، ٣٥ ، ٣٦ ، ٤٦ ، ٨٠ ،
٨٤ ، ١٠٣ ، ١٥٣ ، ١٩٥
بلاد الديلم ـ ص ١١٦ (٥) ، ١٦٨
بلاد السواد ـ ص ١٦٣
بلاد الشام ـ ص ٣٠ ، ٣٦ ، ٤٨ ،
٤٩ ، ١٠٩ ، ١١١ ، ١١٢ ، ١١٦ ،
١١٧ ، ١٢٠ ، ١٢١ ، ١٢٢ ، ١٢٣ ،
١٢٥ ، ١٢٦ ، ١٢٧ ، ١٣٠ ، ١٣٣ ،
١٣٤ ، ١٣٥ ، ١٣٦ ، ١٣٧ ، ١٣٨ ،
١٤٠ ، ١٤١ ، ١٤٢ ، ١٤٧ ، ١٥١ ،
١٥٣ ، ١٥٢ ، ١٥٤ ، ١٥٥ ، ١٥٦ ،
١٥٧ ، ١٥٨ ، ١٥٩ ، ١٦٤ ، ١٦٨ ،
٢١٠ ، ٢٣٩ ، ٢٤٠ ، ٢٤١ ، ٢٤٧
بلاد الصعيد ـ ص ١٥٣
بلاد العراق ـ ص ١٦١ ، ١٦٣ ،
١٧٣ ، ١٧٥ ، ١٧٧ ، ١٨٥ ، ١٨٧ ،
١٨٩ ، ١٩١ ، ١٩٦ ، ١٩٧ ، ٢٠٣ ،
٢٠٤ ، ٢٠٧ ، ٢٠٩ ، ٢١٣ ، ٢١٤
بلاد الفرس ـ ص ١٨٠ ، ١٨١ ،
١٨٣ ، ٢٠٨ ، ٢٠٩ ، ٢١١
بلاد الكرج ـ ص ١٦٦ (٥)
بلاد ما وراء النهر ـ ص ١٩٨
بلاد المشرق ـ ص ٩٦ ، ٩٩ ، ١٦٧ ،
١٨٣ ، ٢١٢ ، ٢١٦
بلاد المغرب ـ ص ٣٠ ، ٤٤ ، ٤٦ ،
٤٧ ، ٤٨ ، ٥٧ ، ٦٩ ، ٧٠ ، ٧١ ،
٧٢ ، ٧٣ ، ٧٥ ، ٧٧ ، ٧٨ ، ١٦٤ ،
١٦٥ (٥) ، ١٦٦ ، ٢٢٣ ، ٢٤٦
بلاد المغرب الأقصى ـ ص ٢٢٠ ،
٢٢٢ ، ٢٣٠
البلاد المصرية ـ ص ٥٠ ، ١٤٦ ،
١٥٣ ، ٢٤٩
بلاد اليمن ـ ص ٥٨ ، ٦٢ ، ٦٥ ،
٦٧ ، ٦٨ ، ٦٩ ، ٧٢ ، ٧٣ ، ٧٤ ،

٧٥ ، ٧٧ ، ٧٨ ، ٧٩، ٨٢ ، ٨٣،
٨٤ ، ٨٥ ، ٩٠ ، ٩٢، ٩٥ ، ٩٦،
٩٧، ١٠٠ ، ١٠٣ ، ١٠٤، ١٠٦،
١٠٧ ، ١٦٨ ، ٢١١
بلبيس ـ ص ١٤٧ ، ٢١٣ ، ٢٤١
بلرم ـ ص ٢٣١
البندقية ـ ص ٢٥١
بيت المقدس ـ ص ١٥٢ ، ١٥٦ ،
١٥٧ ، ١٥٨ ، ١٥٩ ، ٢٤٤ ،
٢٤٥ ، ٢٤٧ ، ٢٥٠
بيروت ـ ص ٢٤٠
بيزا ـ ص ٢٤٩ ، ٢٥٠

(ت)

تاهرت ـ ص ٢١٩ ، ٢٢٠
تدمر ـ ص ١٢٠
تركستان ـ ص ١٥١
تعز ـ ص ١٠٦
تنيس ـ ص ١٢٧
تهامه ـ ص ١٢٧
التهايم ـ ص ٦٧ ، ٨٢
تونس ـ ص ٢٣٠

(ج)

جرجان ـ ص ١٩١
الجزائر ـ ص ٢٢٠
الجزيرة ـ ص ١٧٣ (٥) ، ٢٣٢ ،
٢٣٥ ، ٢٣٦
جزيرة أوال ـ ص ٤٨ ، ٤٩
جزيرة الروضة ـ ص ٢١٣
جزيرة صقلية ـ ص ٢١٧ ، ٢١٩،
٢٢٠، ٢٢١، ٢٣١، ٢٣٢، ٢٣٤،
٢٣٥ ، ٢٣٦ ، ٢٤٤
جزيرة العرب ـ ص ٣٤ ، ٤١ ،
٤٢ ، ٤٣ ، ٤٤ ، ٤٨، ٥١، ٥٥ ،
٥٦ ، ٦٤ ، ١٦٥ (٥) ، ١٦٨ ،
٢٠٩
جناب ـ ص ١٨٣
جنوه ـ ص ٢٥٠

(ح)

الحجاز ـ ص ٢٠ ، ٢٣ ، ٢٧ ،٢٨،
٢٩ ، ٢١٣
الحرم المكي ـ ص ٢٣
الحرمان الشريفان ـ ص ٢٤، ٢٦،
٣٠ ، ١٧٥
حصن شيزر ـ ص ١٤٥ ، ٢٤١
حصن مسار ـ ص ٨٠
حضرموت ـ ص ٦٧
الحضرمة ـ ص ٥٥
حلب ـ ص ١١٣ ، ١١٤ ، ١١٥ ،
١٢١ ، ١٣٥، ١٤١، ١٤٢، ١٤٣،

١٤٤ ، ١٤٥ ، ١٤٦ ، ١٤٧ ، ١٤٨ ،
١٤٩ ، ١٥٠ ، ١٥١ ، ١٥٢ ،
١٥٤ ، ١٥٥ ، ١٥٦ ، ١٩١ ،
١٩٢ ، ١٩٦ ، ١٩٧ ، ١٩٨ ، ١٩٩
٢٠٨ ، ٢٣٩ ، ٢٤٠ ، ٢٤١ ، ٢٤٤
٢٤٧

حلة بنى مزيد ـ ص ١٨٧
حلوان ـ ص ١٩٧
حماة ـ ص ١٤٥ ، ١٤٩ ، ١٥٧
حمص ـ ص ٧٠ ، ١١٢ ، ١٢٥ ،
١٣٦ ، ١٤٢ ، ١٤٣ ، ١٤٤ ، ١٤٥
١٥٤ ، ١٥٧ ، ١٩١ ، ٢٣٦ ،
٢٤١
حوران ـ ص ١٢٠
حيدران ـ ص ١٢٩
الحيرة ـ ص ١٧١

(خ)

خراسان ـ ص١٥٢ ، ١٧٩ ، ١٩٨
خوزستان ـ ص ١٨٤

(د)

الدكة ـ ص ١٢٥
دمشق ص٤٩ ، ٥٠ ، ١١٤ ، ١١٥

١١٨ ، ١١٩ ، ١٢٠ ، ١٢١ ، ١٢٣ ،
١٢٦ ، ١٣٠ ، ١٣١ ، ١٣٣ ، ١٣٤ ،
١٣٥ ، ١٣٦ ، ١٣٧ ، ١٤١ ، ١٤٣ ،
١٤٥ ، ١٤٦ ، ١٥٠ ، ١٥٢ ، ١٥٣ ،
١٥٥ ، ١٥٦ ، ١٩٤ ، ٢٠٨ ، ٢١٠ ،
٢٢٩ ، ٢٤١ ، ٢٤٧
دمياط ـ ص ٢١٠ ، ٢٤٧ ، ٢٤٩
الدلتا ـ ص ١٥٣
دهلك ـ ص ٨٥ ، ٩٧
ديار بكر ـ ص ١١٢ ، ١٩٢
ديار ربيعة ـ ص ١١٢ ، ١١٣
ديار كنده ـ ص ٦٧

(ر)

الرحبة ـ ص ١٢٤ ، ١٤٩ ، ١٨٧ ،
١٨٩ ، ١٩٢ ، ١٩٣ ، ١٩٤ ، ١٩٠ ،
١٩٧
الرها ـ ص ١٥٤ ، ١٥٦
الرى ـ ص ١٦٦ ، ١٧٩ ، ١٨٨ ،
٢٠٠

(ز)

زبيد ـ ص ٣٢ ، ٦٧ ، ٦٨ ، ٧٩ ،
٨٠ ، ٨٣ ، ٨٤ ، ٨٥ ، ١٠٣ ،
١٠٦

(س)

ساحل الشام ـ ص ١٥٤ ، ٢٤١
سبتة ـ ص ٢٢٢
سجستان ـ ص ٨٠ ، ٢٠٠
سجلماسه ـ ص ٢٢٢
سرقوسه ـ ص ٢٣١
سلميه ـ ص ٦٩ ، ٧٠ ، ٧١ ، ٧٢ ، ١٦٣ ، ١٦٤
سنجار ـ ص ١١٢ ، ١٩٤ ، ١٩٨
السند ـ ص ٥٦
سورية ـ ص ١٢١ ، ١٤٢ ، ٢٢٩

(ش)

الشام ـ ص ٢١ ، ٢٨ ، ٣٣ ، ١٠٩ ، ١١١ ، ١١٢ ، ١١٣ ، ١١٤ ، ١١٥ ، ١١٨ ، ١١٩ ، ١٢٨ ، ١٣٢ ، ١٣٣ ، ١٤١ ، ١٤٥ ، ١٤٦ ، ١٤٨ ، ١٧١ ، ١٧٣ (ه) ، ١٨٧ ، ١٩١ ، ١٩٨ ، ٢٠٥ ، ٢٣٩ ، ٢٤٣ ، ٢٤٥ ، ٢٤٧ ، ٢٤٩ ، ٢٥١
شمال إفريقية ـ ص ٢٣٠
شيراز ـ ص ١٥٧ ، ١٦٥ ، ١٦٦ (ه) ، ١٨١ ، ١٨٢ ، ٢٤٤

(ص)

صحار ـ ص ٥٨
صعدة ـ ص ٦٨
صنعاء ـ ص ٦٧ ، ٦٨ ، ٧٨ ، ٨٤
صيدا ـ ص ٢٤٠

(ط)

الطائف ـ ص ٤٣
طبرستان ـ ص ١٥١
طبرية ـ ص ١١١ ، ١١٨ ، ١١٩ ، ١٣٨ ، ١٤٢ ، ٢٣٩ ، ٢٤٥
طرابلس ـ ص ١٣٤ ، ١٤٤ ، ١٤٥ ، ١٤٦ ، ١٤٧ ، ٢٢٦ ، ٢٣٠ ، ٢٤٠ ، ٢٤١
طرميس ـ ص ١٢١
طنجة ـ ص ٢٢٢

(ع)

عانة ـ ص ١٤١
العراق ـ ص ٢٤ ، ٥١ ، ٦٠ ، ٦١ ، ١٢٣ ، ١٣٤ (ه) ، ١٥٢ ، ١٦١ ، ١٦٥ ، ١٦٧ ، ١٧٠ ، ١٧٩ ،

١٨٠، ١٨١، ١٨٣، ١٨٤، ١٨٥،
١٩٣، ١٩٦، ١٩٨، ١٩٩، ٢٠٠،
٢٠١، ٢٠٤، ٢٠٥، ٢١٠، ٢١١،
٢١٥

العريش – ص ١١١

عدن – ص ١٠٣، ١٠٤، ١٠٦

عسقلان – ص ١٢٧، ١٥٨

عمان – ص ٥٣، ٥٥، ٥٦، ٥٧، ٥٨،
٥٩، ٦٠، ٦١، ٦٢، ٦٣، ٦٤، ٧٨،
٩٢

عين شمس – ص ١٢٦

(غ)

غزة – ص ١٥٣

(ف)

فارس – ص ١٥٥، ١٧٩، ١٨٠،
١٨٤، ٢٢٠

فاس – ص ٢٢٠، ٢٢٢

الفسطاط – ص ١٨٨، ٢١٠

فلسطين – ص ٩١، ١١٨، ١٢١،
١٢٤، ١٣٩، ١٤٠، ١٤١، ١٥١

الفيوم – ص ١٠٠، ٢٤٤

(ق)

القاهرة – ص ٢٣، ٣٢، ٣٢، ٥٠، ٧٨،
٩٧، ٩٩، ١٠٠، ١١٧، ١١٩، ١٢٦،
١٢٧، ١٣٢، ١٣٧، ١٤٦، ١٥٣،
١٦٧، ١٨٢، ١٨٩، ٢٠٢، ٢٠٣،
٢١٠، ٢١١، ٢١٢، ٢٤٠، ٢٤٢،
٢٤٣

قبة زمزم – ص ٤٥

قسطنطينية – ص ١٤٥، ١٤٦، ٢٤٠،
٢٤١، ٢٤٣، ٢٤٦

قصريانة – ص ٢٣١

قسطانية – ص ٢٣١

القطيف – ص ٤٣

قلعة أفامية – ص ١٥٤

قلعة طيرمين – ص ٢٣٤

قلعة عرقة – ص ١٥٤

قلعة ألموت – ص ٩٨

قلنسرين – ص ١١٤، ١١٥

القيروان – ص ٤٥، ٤٦، ١٦٧ (ه)،
٢٢٩

قيسارية – ص ٢٣٩

(ك)

كرمان ـ ص ١٥١ ، ١٧٩ ، ١٨٣

الكعبة ـ ص ٢٤ ، ٢٨ ، ٢٩ ، ٤٥ ، ٤٧

كنيسة القيامة ـ ص ٢٤٤ ، ٢٤٧

الكوفة ـ ص ٤٤ ، ٥٠ ، ١٢٤ ، ١٦٤ ، ١٧٣ ، ٢٠٥ ، ٢٠٦

(ل)

لحج ـ ص ٦٧

(م)

المجاز (خليج يفصل بين صقلية وايطاليا) ـ ص ٢٣٥

المدائن ـ ص ١٧٣

المدن الإيطالية ـ ص ٢٣٧ ، ٢٣٩ ، ٢٤٩

المنصورية ـ ص ٢٦٧

المدينة المنورة ـ ص ٢٠ ، ٢١ ، ٢٣ ، ٢٤ ، ٢٥ ، ٣٠ ، ٣٤ ، ٣٥ ، ٣٦ ، ١٦٨

المرية ـ ص ٢٢٠

المسجد الأقصى ـ ص ١٥٨

المسجد الأموى بدمشق ـ ص ١١٤ ، ١١٩

مسينا ـ ص ٢٣١

مراكش ـ ص ٢٣٠

مرو ـ ص ١٥١

مصر ـ ص ٢٠ ، ٢١ ، ٢٢ ، ٢٣ ، ٢٤ ، ٢٥ ، ٢٩ ، ٣٠ ، ٣١ ، ٣٢ ، ٣٣ ، ٣٤ ، ٣٥ ، ٤٦ ، ٤٧ ، ٤٨ ، ٥٠ ، ٥٢ ، ٥٦ ، ٦١ ، ٧٢ ، ٨٣ ، ٨٤ ، ٨٦ ، ٩٥ ، ٩٦ ، ٩٧ ، ٩٨ ، ٩٩ ، ١٠٠ ، ١٠٣ ، ١٠٥ ، ١٠٦ ، ١١١ ، ١١٢ ، ١١٤ ، ١١٥ ، ١١٧ ، ١١٨ ، ١٢٠ ، ١٢٣ ، ١٢٤ ، ١٢٥ ، ١٢٦ ، ١٢٧ ، ١٢٨ ، ١٣٢ ، ١٣٦ ، ١٣٩ ، ١٤١ ، ١٤٩ ، ١٥٠ ، ١٥٢ ، ١٥٣ ، ١٥٤ ، ١٥٥ ، ١٥٦ ، ١٥٧ ، ١٥٨ ، ١٥٩ ، ١٧٢ ، ١٧٥ ، ١٧٧ ، ١٨٢ ، ١٨٧ ، ١٩١ ، ١٩٤ ، ١٩٧ ، ١٩٨ ، ٢٠٢ ، ٢٠٣ ، ٢٠٥ ، ٢٠٩ ، ٢١٠ ، ٢١١ ، ٢١٢ ، ٢١٣ ، ٢١٦ ، ٢٢٢ ، ٢٢٤ ، ٢٢٥ ، ٢٣٠ ، ٢٣٢ ، ٢٣٤ ، ٢٣٥ ، ٢٤٠ ، ٢٤٣ ، ٢٤٦ ، ٢٤٧ ، ٢٤٩ ، ٢٥٠ ، ٢٥١

معرة النعمان ـ ص ١٥٧

مغراوة ـ ص ٢٢٢
المغرب ـ ص٤٤، ٥٦، ١١٧، ١٢٥، ١٧٥، ٢١١، ٢١٧، ٢١٩، ٢٢٠، ٢٢١، ٢٢٢، ٢٢٥، ٢٢٧، ٢٢٨
المقس ـ ١٢٦، ٢٤١
مكناسة ـ ص ٢٢٢
مكة ـ ص ١٩، ٢٠، ٢١، ٢٢، ٢٣، ٢٤، ٢٥، ٢٦، ٢٧، ٢٨، ٢٩، ٣٠، ٣١، ٣٢، ٣٣، ٣٤، ٣٥، ٣٦، ٤٤، ٤٥، ٤٦، ٤٨، ٥٦، ٧٠، ٨٤، ١٣٩، ١٤٠، ١٦٨، ١٧٩، ١٨٧، ١٩١، ٢٠٨
المهدية ـ ص ١٦٧، ٢٢٠، ٢٢٩
الموصل ـ ص ١١٣، ١٢٤، ١٥٠، ١٧٣ (هـ)، ١٧٤، ١٨٦، ١٩٥، ١٩٧، ١٩٨، ١٩٩
ميافارقين ـ ص ١٩٢

(ن)

نصيبين ـ ص ١١٢، ١٩٩
نهر العاصى ـ ١١٤، ١٩١، ٢٤١
نهر الفرات ـ ص ٥١، ١١٣، ١٤١، ١٤٣، ١٩٤
النهروان ـ ص ٢٠٥
نيسابور ـ ص ١٥١

(هـ)

هجر ـ ص ٤١، ٤٣، ٤٤، ٤٦
همذان ـ ص ٨٠، ١٦٦(هـ)، ١٩٦، ١٩٧، ١٩٩، ٢١٥
الهند ـ ص ٥٦، ٦٢، ٦٣، ٩٢

(و)

واسط ـ ص ٥٧، ٥٨، ١٦٤، ١٧٧، ١٩٦

(ى)

يازور ـ ص ١٨٩ (هـ)
يافا ـ ص ١٢٦، ١٢٧، ١٣٠
اليمامة ـ ص ٤٢، ٥٣، ٥٥، ٥٦
اليمن ـ ص ٢٨، ٣٢، ٦١، ٦٣، ٦٩، ٧٠، ٧١، ٨٠، ٨٧، ٨٨، ٩٠، ٩١، ٩٤، ٩٦، ٩٨، ٩٩، ١٠٤، ١٠٥، ٢٠٩، ٢١٣

دار المناهل للطباعة
٧ ش يوسف البنداري - أرض اللواء
بولاق الدكرور

